وثيقة الصهيونية في العهد القديم

الدكتور جورجي كنعان

توزيع دار النهار للنشر

طبعة اولى 1977

طبعة ثانية 1982

اشارات

1. عمدت إلى تكرار بعض النصوص، وبعض الأفكار، والعبارات. فإذا ما نسبتني إلى التكرار والترداد، وإلى التكثير والجهل بما في المعاد من الخطل. فربما كان الغرض الذي إليه نزعنا، والغاية التي إليها قصدنا، انه كتاب يحتاج إليه المتوسط العامي، كما يحتاج إليه الخاص. ويحتاج إليه الريّض، كما يحتاج إليه الحاذق.
2. اكتفيت بذكر رقم الاية الأولى في النصوص التي استشهدت بها من كتاب العهد القديم. واقتصرت أحياناً على رقم الفصل "الاصحاح". وقد اعتمدنا نسخة (مفقود من النص الأصلي)

اسمحوا لي أن أقدم كتابي بمحبة،

إلى سائر الادمغة المغسولة في العالم

مقدمة

ـ هل تعلم أن وثيقة الصهيونية في استملاك أرض فلسطين، قائمة في كتاب العهد القديم، الجزء الأول من الكتاب المقدس، لدى جميع الطوائف المسيحية؟

ـ وهل تعلم ان كتاب العهد القديم "المقدس"، قد رسّخ جذور الصهيونية في عقول المسيحيين قبل اليهود؟

ـ وهل تعلم ان كتاب العهد القديم، هو تاريخ بني إسرائيل. وهذا التاريخ لا يحمل غير معالم الحياة القبلية، البدائية. وأن نصوصه "الدينية" التي تفيض وحشية، وعنصرية، وحقداً، وكراهية، لا تعدو ان تكون خيوطاً سياسية لمملكة ارضية؟

ـ ماذا تجد في كتاب العهد القديم "المقدس"؟

يقال: انغلاق على الذات، وانعزال عن العالم، تحدوهما انانية بغيضة، وعنصرية حاقدة. ويواكبهما احتقار لكل الشعوب، وحقد على جميع الأمم. خلاصته: شراهة لامتلاك الأرض، واغتصابها بشتى السبل والوسائل. يربي في النفوس اخلاقاً دينية تستبيح ابادة الآخرين، أو تشريدهم..

فهل صحيح؟ وهل فكرت يوماً ان تسلط بقعة ضوء على هذا الكتاب؟

ـ لماذا نقبل نصوصه على أنها مسلمات غير قابلة للنقاش؟

ـ ولماذا نردد، كالصدى، ما سمعناه. ونتقبل ما يلقى الينا، دون محاولة للفهم أو التعمق أو الشك؟

ـ إلامَ نبقى عميانا يقودون عميانا؟

ـ هل حاولت يوماً التحرر من تأثير الميول والعواطف، والركون، قدر المستطاع، إلى المنطق والعقل؟

ـ أما أذهلك يوماً ما تفرضه عليك التقاليد والعادات، والسلطات الدينية والاجتماعية؟

ـ لماذا تقبل ما يفرض عليك من دون مناقشة؟ وهل ما يفرض عليك هو الحقيقة، أو ما اتفقوا على تسميته "بالحقيقة". أم هو خرافات غايتها استعباد العقل البشري؟

انا ؟

أحسست بفكري يستيقظ من نوم جهالة عمياء، وينشط بعد ركود طويل، ويتحفز للوثوب. وكان سؤال ملحاح: الحقيقة! من يتقبلها؟

أدركت ان الغالبية ممن يسمون أنفسهم بشراً، لا ترفض تقبل الحقيقة، فحسب. بل أنها تحاربها بعنف، وبجميع الوسائل. فاسمح لي يا قارئي العزيز، ان كنت جباناً حين فكرت بازاحة الغطاء عن بعض جوانب الحقيقة، لمن هم صم، بكم، عمي، فهم لا يعقلون. وخوفي كان من ناحية بسيطة وتافهة. واعتقد أن اساريرك تنفرج حين تعلم النقطة التي جبنت عن اعلانها.

وأنت؟

اما زال وعيك ارضاً بكراً، تمطرها سحب الوقائع الشائهة، وتجتاحها رياح الدعاية المخادعة، تهوم في اجوائها غيوم التضليل المتعمد؟

وهم؟

إلامَ يستعذبون الرقود في كهوف الجهل ويستحسنون السير في دهاليز الغفلة والسذاجة؟

ونحن؟

لماذا فرض، وكيف فرض، ومن فرض علينا ان نعتقد كالعميان بما يسمى "بالكتاب المقدس"؟

- هل تعلم ان مقارنة كتاب العهد القديم بالنصوص المكتشفة في بلاد ما بين النهرين، ومصر، وسوريا، تؤدي إلى نتائج مذهلة؟
- وهل تعلم ان ما ورد في كتاب العهد القديم من شرائع ومزامير وأمثال وأناشيد وقصص وأساطير، يرجع إلى أصل قديم. وقد وجد الباحثون أصوله في مدونات بابل وأشور وسومر وكنعان مصر وأوغاريت؟
- هل ظننت يوماً أن يكون المسيحيون، في القرن العشرين بعد المسيح، عصر الرقي والتمدن وغزو الفضاء، لا يزالون يقدسون مجموعة اساطير، مسختها القبيلة اليهودية من اساطير الأمم التي احتكوا بها أو عاشوا بينها؟
- هل حاولت يوماً القاء شعاع من الشك المنهجي على كتاب العهد القديم، لتتبين ماهية الصلة التي تربط اليهود بأرض فلسطين؟
- وهل تعلم ان فلسطين، هي أرض الفلسطينيين باعتراف كتاب العهد القديم ذاته، قبل مجيء إبراهيم إليها، وان هذا الكتاب يسميها "أرض غربة" بالنسبة لابراهيم، وان هذا الكتاب يسميها "أرض غربة" بالنسبة لابراهيم، ولاحفاده من بعده؟
- لماذا تريد إسرائيل العودة "وعادت بالقوة" إلى فلسطين، واعادة بناء هيكل سليمان، الذي لم تتجاوز فترة حكمه مع ابيه داود ثمانين سنة، وفي اجزاء محدودة من فلسطين؟ ولمذا لا يطلب العرب العودة إلى اسبانيا التي حكموها ثمانية قرون.
- وهل تعلم أن اليهود الغزاة لم يخلفوا في أرض فلسطين، بعد قذفهم خارجها، غير التدمير والتخريب والمذابح والتحريم؟ وان العرب صنعوا في اسبانيا حضارة لا مثيل لها؟
- لا تعتقد ان الغرب الاوروبي والامريكي، يعاني من تخلف انساني وانحطاط خلقي مريع؟ وأنه تنكر لجميع معطياتنا الحضارية. ولا تزال قواه الغاشمة،

المضللة،المخدوعة، تساعد اليهود اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، بفعل الاضاليل التي استحكمت في النفوس وتجذرت في الصدور، على تجديد بربرية التوراة، وخرافاتها، في دولة عسكرية، عرقية؟

ـ الا تظن ان الغرب الاعمى لم يفهم حتى اليوم حقيقة هذا اليهودي الزنيم الذي ما فتئ طيلة تسعة عشر قرناً، يستغله اقتصادياً، ويخربه اجتماعياً وفكرياً، ويقزمه معنوياً وانسانيا وحضارياً؟

ـ هل تعلم ان هذه الموجة البربرية "الصهيونية" تختلف عن موجات السلاجقة والصليبيين والتتر والعثمانيين، التي اجتاحت بلادنا، في أنها استعبدت الغرب الاوروبي والاميركي اقتصادياً واعلامياً، دفقت في وجدانه وعقله خرافاتها وأساطيرها، فكانت اليهودية دينه ووحشية التوراة اخلاقه؟

ـ الا تعتقد ان حضارة الغرب القائمة على رابية من جماجم الاموات، عادت إلى حقدها الوثني واجتياحها البربري، حين ارادت احياء بربرية اليهود وتجديد وحشيتهم؟

ـ هل تعلم ان حضارة سوريا، ومصر، وبلاد ما بين النهرين، القديمة، قد حررت الغرب من بربريته، وأعتقته الرسالة المسيحية ـ الإسلامية من وثنيته. ولكنها فشلت في خلق انسانه الجديد. لأن رسالة القيم والفضائل والمفاهيم الإنسانية لم تستطع ان تفجر إنسانية الغربي، أو ترفعه إلى سمو المبادئ والمفاهيم المسيحية ـ الإسلامية؟

ـ الا تعتقد ان اميركا الصهيونية تريد عالم اتباع، يسيرون في ركابها، ويحققون مطامعها، ويعيشون على فتائت موائدها. تريد العالم قطعاناً من العبيد، يخدم السادة الاشراف. تماماً كما يريده اليهود، وكما عبرت عنه توراتهم؟

ـ هل سألت نفسك يوماً: لماذا أراد اله التوراة "يهوه" تأسيس مملكته في أرض معينة "فلسطين"؟ وأراد ان يعمر بيته على جبل صهيون؟ وأراد للأمم. كل الأمم، ان تأتي إليه، تقدم الطاعة والخضوع؟ وهل تعتقد أن مملكة الله تكون في الأرض؟

- ولماذا اختار الله اليهود من بين سائر الأمم؟ وكان الهاً خاصاً بهم؟ ولماذا اصطفى فلسطين وطناً لهم، وموطناً لبيته وسكناه؟
- ولماذا لا تتم عبادة يهوه الا على جبل صهيون؟ ولماذا لا يجد اليهودي الهه الا في فلسطين، وفي هيكل اورشليم، وعلى جبل صهيون؟
- هل تعلم ان اله التوراة خطط حدود إسرائيل الحسية في ما بين الفرات والنيل، في قوله "لنسلك اعطي هذا الأرض. ومن نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات. تكوين 15/18). أما حدودها المعنوية فتشمل أربع ناحيات الأرض، كما وعدهم يهوه في قوله (وبنو الغريب يبنون اسوارك، وملوكهم يخدمونك؟ ليؤتى إليك بغنى الأمم. وتقاد ملوكهم. لأن الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبيد، وخراباً تخرب الأمم. اشعيا 60/10).
- متى، واين، وكيف يكون الاتيلاء على أرض الآخرين، وابادة سكانها بحد السيف، شريعة الهية؟
- اكنت تعتقد ان اليهاً يخاطب عبه بمثل ما خاطب يهوه شعبه الخاص "إسرائيل" في قوله: (وقالت صهيون: قد تركني الرب، وسيدي نسيني. هل تنسى المرأة رضيعها، فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين، وأنا لا أنساك. هوذا على كفي نقشتك.. ارفعي عينيك حواليك وانظري. كلهم قد اجتمعوا، اتوا إليك. اشعيا 49/14).

وقوله: (يجمع الرب منفيي إسرائيل، ويضم مشتتي يهوذا من أربعة اطراف الأرض.. وينقضان على أكتاف الفلسطينيين غرباً، وينهبون بني المشرق معا.. اشعيا11/12).

وقوله: (وبنو الغريب يبنون اسوارك، وملوكهم يخدمونك.. تنفتح ابوابك دائماً.. ليؤتى إليك بغنى الأمم، وتقاد ملوكهم. اشعيا 60/10).

وقوله: (ويقف الأجانب ويرعون غنمكم، ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم. أما انتم فتدعون كهنة الرب. تأكلون ثروة الامم، وعلى مجدهم تتآمرون. اشيعا 61/5).

ـ هل تعلم ان دعوات الصهيونية، تسربت إلى نفوس المسيحيين، بفعل نصوص العهد القديم من كتابهم المقدس؟

ـ وهل تدري ان الجذور الدينية لفكرة تجميع اليهود، واقامة دولة إسرائيل في فلسطين، راسخة في أغلب النفوس المسيحية، أن لم نقل جميعها.

ـ هل تعلم ان أهم ما قامت وتقوم به الحركة الصهيونية، هو استغلال جهل الناس، وسطحيتهم، وأخذهم بالامور التقريرية. فليس في نفوسهم باعث أو دافع لمطالعة الدراسات التحليلية، والعميقة؟ فهل أنت كذلك؟

ـ وهل تعلم أن لا شيء يدمي قلوب الصهاينة، ويفتت اكبادهم، مثل الكتاب ـ المشعل، الذي يمزق حجب الجهل، ويبدد ظلام التضليل عن عيون الأمم والشعوب التي طبخوا أفكارها في افرانهم، وحولوا عقولها في مخابرهم؟

تمهيد

كتب وايزمن فـي مذكراته يقول[1]: (لما بلغت الرابعة من عمري ذهبت إلى مدرسة الدين اليهودي. وهذا ما لا غنى عنه لأي طفل يهودي. وخلال السنوات التي قضيتها فـي مدارس الدين تلك، كان عليَّ ان ادرس أشياء كثيرة من اصول اليهودية. والذي ملك علي لبي هو "سفر الانبياء" ... ولما بلغت الخامسة من عمري انتقلت من بيت ابي إلى بيت جدي. وكان جدي رجلاً متدينا، يحافظ على الصلاة والفروض. وكان لا يفتأ يقص عليَّ قصص رؤساء الدين، ومبلغ أثرهم فـي إسرائيل).

هذا ما كتبه وايزمن اليهودي الصهيوني. ولو طلب اليَّ أن أكتب مذكرات طفولتي لقلت فـي ما قلت. (لما بلغت الرابعة من عمري ذهبت إلى مدرسة الدين المسيحي. وهذا ما لا غنى عنه لأي طفل مسيحي. وخلال السنوات التي قضيتها فـي مدارس الدين تلك، كان عليَّ ان ادرس أشياء كثيرة من أصول اليهودية. والذي ملك علي لبي هو "سفر الانبياء".. ولما بلغت الخامسة من عمري انتقلت من بيت ابي إلى بيت جدي. وكان جدي رجلاً متديناً، يحافظ على الصلاة والفروض، وكان يقص عليَّ قصص رؤساء الدين، ومبلغ اثرهم فـي إسرائيل).

اسمح لي ان أقول بثقة وجرأة وتأكيد،أنه لو طلب إلى أي مسيحي، فـي الشرق والغرب، أن يكتب مذكراته طفولته، لما خرج عن هذا القول. صحيح أني ذهبت إلى مدرسة الدين المسيحي كما ذهب وايزمن إلى مدرسة الدين اليهودي. ولكن كان علي كما كان عليه، أن ادرس اشياء كثيرة من أصول اليهودية. وكما ملك عليه لبه "سفر الانبياء" كذلك عبدك الفقير أنا. وكما كان جده يحافظ على الصلاة، كذلك كان جدي. واضيف بأن جدي كان يحفظ مزامير داود عن ظهر قلب. بينما لا يحفظ من انجيل المسيح غير القليل

[1] حاييم وايزمن 1874 ـ 1952 هو أول رئيس لدولة إسرائيل.

القليل. وكما كان جده يقص عليه قصص رؤساء الدين، كذلك كان جدي، وجد كل مسيحي، وجد لويد جورد رئيس وزراء بريطانيا، رائم وعد بلفور، الذي قال في إحدى خطبه: (لقد تربيت في مدرسة، تعلمت فيها عن تاريخ اليهود أكثر بكثير مما تعلمته من تاريخ بلادي أنا. وفي وسعي أن اخبركم بجميع ملوك إسرائيل، ولكني اشك في مقدرتي على أن اسمي لكم ستة من ملوك انكلترا. لقد تشبعنا كل التشبع بتاريخ الجنس العبري).

مع فارق بسيط. هو ان وايزمن نشأ وتربى على تراث يهودي خالص. بينما ينشأ المسيحي ويتربى على التراثين: اليهودي والمسيحي.

لماذا؟

لأن تراث اليهود أو ما يسمى "التوراة" اخذه المسيحيون، واطلقوا عليه أسم "العهد القديم". كما اطلقوا على انجيلهم اسم "العهد الجديد" وجمعوا العهدين في ما يسمى "الكتاب المقدس".

ولذلك ينشأ المسيحي، كما نشأت، وفي نفسه اعتقاد قوي جازم ان "العهد القديم"، أي التوارة، كتاب مقدس. وأن المسيح يهودي، جاء يكمل ما بدأه انبياء التوراة. وان المسيحية شديدة الارتباط باليهودية.

أو قل هي استمرار لها. وأن اليهود شعب الله المختار. وان عودتهم إلى فلسطين ضرورية لتحقيق ارادة الله، أو وعده، وأن..

تعتبر الحركة الصهيونية من أهم الدعائم التي استند عليها قيام دولة اسرائيل.والصهيونية دعوة يهودية. واليهودية دين . فالاساس الذي ارتكزت عليه إسرائيل الفكرة واسرائيل الدولة، هو أساس ديني. وما دمنا نجهل حقيقة الدعائم في هذا الاساس، ومصدر القوة فيها، فمن الصعب ، إن لم يكن من المحال، القول بأننا قادرون على هدم الكيان السياسي الذي قام فوق هذه الدعائم.

كأني بك تقول، وقد ارتسمت على شفتيك ابتسامة العارف: ومن يجهل الدعامة التي قامت عليها دولة إسرائيل؟الم يكن وعد بلفور هو الاساس الذي ارتكزت عليه الحركة الصهيونية في العقد الثاني من القرن العشرين؟

صحيح. ولكن لا تنس ان الاساس الذي بني عليه وعد بلفور، هو وعد "الله" لابراهيم، باعطائه أرض كنعان ميراثاً ابدياً. وبين الوعدين ما يقرب من أربعة آلاف عام. كانت اليهودية، أو الصهيونية. لا فرق. فهما وجهان لعملة واحدة.. والاحسن ان أقول: كانت اليهودية ـ الصهيونية، خلال هذه الاجيال، تعمل على غرس التوراة، كتاب اليهودية، في وجدانات البشر، على أساس انه كتاب مقدس، وكل ما ورد فيه مقدس: فالوعد من الله، وتحقيق الوعد تنفيذ لارادة الله. وكل من يساعد الصهيونية، في العودة إلى "أرض الميعاد" وبناء الوطن القومي اليهودي، فراداً كان أم جماعة أم دولة، انما هو يعمل بما هو مكتوب في الكتاب المقدس، وقد اصطفاه الله ليكون تحقيق الوعد على يديه.

وبفعل ربط التوراة بالانجيل، رسخ في الاذهان تقريباً في الشرق والغرب، ان عودة اليهود إلى فلسطين، واقامة دولة لهم، وإعادة بناء الهيكل. انما هو حق ديني وارادة الهية.

وقد نجحت اليهودية ـ الصهيونية في اقناع البشر بقداسة التوراة. ودخلت توراتها إلى كل بيت مسيحي. مضحك ان أقول ذلك، أو مؤلم سيان. والاجدر أن أقول: تغلغلت مبادئها في كل عقل. وكل وجدان زاخم بشحنات من المعتقدات التوراتية. فإذا لنا هذا السيل الجارف من الكتب التي تتناول ديانة اليهود، وحياتهم في مراحل التاريخ المختلفة. وكلها تنبع من مصدر واحد وتصب في بركة واحدة: فهم من انقى الشعوب عنصراً، وأقوى صلة بالله من سائر الامم. فتاريخهم دين، وأرضهم منبع اشعاع غذى الحضارات، وعقيدتهم اسمى العقائد و..

لقد كتب الكثير في تاريخ اليهود، واختص العديد من المفكرين والمؤرخين في الابحاث الدائرة في فك اليهود: دينهم وتاريخهم. حتى لتأخذك الدهشة من الآلاف المؤلفة من الكتب والابحاث والمعاجم التي تبحث في تاريخ اليهود وكتبهم المقدسة. واعتبر بعض هذه الكتب في المناهج المقررة في المدارس والجامعات. فيتخرج المتعلم والباحث،وقد انطبع في ذهنه بأن اليهود هم دعاة عقيدة التوحيد في العالم، وهم بناة الحضارة الإنسانية وهم.

أما مؤلفو هذه الكتب والمعاجم فهم من رجال الدين اليهود، والغالبية من النصارى،الذين يعتقدون بأن التوراة هي الأساس في دينهم، وان الانجيل جاء مكملاً للتوراة.

وهناك فريق آخر من العلماء والباحثين، تشعر لأول وهلة أنهم اخذوا على أنفسهم عهداً بتقصي الحقائق والنظر إلى الدين والتاريخ نظرة علمية مجردة من العواطف والميول. ولكن اكثرهم انجرفوا في تيار رجال الدين وأصبحوا، ربما من حيث لا يشعرون، ينفخون في أبواقهم ويرددون آياتهم. ولعل السبب الذي جعل الباحثين ورواد العلم يتعثرون في دروب البحث والتحقيق هو أن أكثر المراجع التي اعتمدوا عليها هي أبواق لليهود واليهودية.

وهناك فئة قليلة من الباحثين، تسلحت بفكر حر تزودت بعقل باحث. بدأت تلقي الاضواء منذ اوائل القرن العشرين، على اليهود ديناً وتاريخاً. لكنهم لم يستطيعوا التحرر الكامل من قبضة الفكر الصهيوني. فالمؤرخون والباحثون الغربيون يذكرون في مؤلفاتهم اسم "بلاد اليهود" بدلاً من "أرض فلسطين" عن قصد، أو بفعل اللاشعور الذي خلفته في نفوسهم المؤثرات اليهودية من كتب دين أو أبحاث أو محاضرات وندوات، كونت قاعدة فكرية عندهم. منها يستمدون مفاهيمهم، وعليها يرتكزون في أبحاثهم..

خذ مثلاً الباحث والمؤرخ الشهير الذي يسمي أرض فلسطين "بلاد اليهودية" مع أنه يرى في كتابه الواسع الانتشار "معالم تاريخ الإنسانية"، بعد بحث وتدقيق، أن أرض فلسطين هي بلاد الكنعانيين والفلسطينيين.

كأني بك تقول بحدة وانفعال: لا

مؤلم أن ننكر الحقيقة يا أخي. فالتوراة في كل بيت مسيحي، وفي كل كنيسة، وكل مجمع، وكل مدرسة، وكل ناد.. والفكر الديني متأصل في ذواتنا. ينعكس فعله في الكثير من تصرفاتنا، ويظهر تأثيره في طبيعة تفكيرنا. ولا يزال يعلب في حياتنا الدور الذي كان له منذ أربعة آلاف عام. فكثير من تصرفاتنا وأفكارنا، انما يعود إليه ويرتبط به. وهذه الافكار الدينية لا يزال لها التأثير الكبير في حياة الإنسان المعاصر، توجه سلوكنا في الحياة، وتقود

خطوات الكثيرين منا. ولبعضها من القوة والتأثير والفعل في النفوس ما يجعل الإنسان يعيش في قلب الماضي ويعاصر احداثه.

فالعالم الذي شكلته التوراة، والانسان الذي كونته، والاحداث التي رافقت مرحلة التكوين. هي التي تؤلف القاعدة الفكرية في ذهن كل منا، وتحد الكثير من معالم شخصيتنا، وتفعل فعلها في نفوسنا وفي سلوكنا خاصة البسطاء والسذج، وهم الغالبية العظمى في مجتمعنا، يغرقون في احداث الماضي الاسطورية. ويضفون هالة من التقديس على ما حدث في أزمنة البدء. فهم يعيشون بمفهوم اسفار البدء بما تتضمنه من احداث خارقة وآيات معجزة. يفسرون الحياة بهذا المفهوم. ولشدة ارتباطهم بأحداث الازمنة الأولى، كانت عقليتهم امتداداً للعقلية اليهودية القديمة. وهذه المفاهيم والافكار تلقن للاجيال الطالعة في الجامعات الأوروبية والاميركية عن طريق كتب التاريخ القديم التي يضعها اليهود أو المسيحيون المتهودون الذين يتعصبون للتوارة أكثر من اليهود أنفسهم. وقد كان العرب، وما زالوا، يقبلون هذه الاقوال الشائهة. يرددون ما تلقنه اساتذتهم ويعلكون ما أخرجته مطابعهم من دون تمحيص أو امعان او تأمل.

ومن المؤسف القول: أنه من الصعوبة بمكان تغيير المفاهيم التاريخية، والدينية التي ترسخت في أذهان الناس، بفعل التوراة، منذ أكثر من الفين من الاعوام.

أما الطوائف المسيحية، خاصة البروتستانتية وما تفرع عنها من الطوارئ، كالانجيليين، والمتجددين، وشهود يهوه، والسبتيين، والى آخر ما هنالك من جماعات ودعوات، التوراتيون أكثر من أصحاب التوراة أنفسهم، فلنا معهم جولة مناقشات في كتاب آخر.

فكيان إسرائيل الديني كان، ولا يزال، متجذراً في صدور المسيحيين الغربيين، للعلاقة القائمة بين التوراة وبين الانجيل. وأخذ هذا الكيان ينمو ويكبر مع نشوء القوميات في القرن التاسع عشر، حتى صار كياناً سياسياً.

عملت انكلترا على زرعه فـي فلسطين، وجاءت اميركا تسقيه وترويه من عيون ابنائها ومن دمائهم.

وفـي حرب السادس من تشرين الأول 1973 أظهرت اميركا، بوجه وقح، مدى ارتباطها بدولة إسرائيل، والتزامها الشديد بالمحافظة على الكيان المسخ الذي وضعته وحضنته بريطانيا، وقدمته للمربية اميركا ترعاه وتحميه.

رب سائل: ما السر الذي جعل السياسة البريطانية العاهر، تضع نتيجة ليلة سفاح مع الصهيونية، هذا المسخ الاشوه "إسرائيل".

ومن ثم تسلمه إلى اميركا ترأمه وتعطف عليه، لدرجة تمنع الطعام عن افواه بنيها لكي تشبعه حتى التخمة؟

يجيبك وايزمن، رئيس دولة إسرائيل، بقوله (من حقك ان تسأل: ما هي أسباب حماسة الانكليز لمساعدة اليهود، وشدة عطفهم على أماني اليهود فـي فلسطين؟ والجواب أن الإنكليز، لا سيما اصحاب المدرسة القديمة، هم أشد الناس تأثراً بالتوراة. وتدين الإنكليز هو الذي ساعدنا فـي تحقيق آمالنا، لأن الانكليزي المتدين يؤمن بما جاء فـي التوراة، من وجوب عودة اليهود إلى فلسطين. وقد قدمت الكنيسة الإنكليزية من هذه الناحية أكبر المساعدات)[2].

وازلة الكيان السياسي لا تتم قبل ازالة الكيان الديني من عقول الغربيين ومن عواطفهم. لأن الدول الكبرى، وعلى رأسها اميركا وانكلترا، مؤمنة بهذا الكيان، مقتنعة بشروطه ومبادئه وتوسعاته. ويصعب على العرب مقارعة هذه الدول العين بالعين والسن بالسن. فلا يبقى غير عملية غسل الدماغ الغربي من الاباطيل التي حشتها فيه اليهودية المتصهينة، وتنقية عواطف الغربيين التي أفسدها عهر اليهود ودعارتهم، وشوهها الدجل والدهاء والخلابة والفجور والعقوق. أصابع الصهيونية الخمس تقبض بها على عنق اميركا. واميركا تستقطب كره العالم لها، وتضرب بمصالحها الاقتصادية عرض الحائط، فـي سبيل المحافظة على الكيان المسخ، طفلها المدلل إسرائيل.

---

[2] مذكرات وايزمن ص 18.

وقضية تنقية العواطف من فساد التوراة، وتنوير العقول المظلمة، بالوعي والحق والمعرفة، وتفتيح العيون الكليلة على حقيقة التوراة، ليست بالامر السهل. لأن هذه التوراة متجذرة في نفوس 99 في المائة من العالم المسيحي، وأقول بتحفظ، في نفوس العالم الإسلامي. وقليلون من عرفوا حقيقة التوراة ووقفوا على قصصها الخرافية وحكاياتها الاسطورية. وقليلون من ردوها إلى أصولها في بلاد كنعان، وما بين النهرين، ومصر. وبينوا كيف مسخ اليهود هذه القصص التي سرقوها عن الامم، وشوهوها بأنفاس الحقد والكراهية، ووضعوها على لسان الههم "يهوه" فجاءت آيات في الحقد والرعب والدم والجنس والخيانة والغدر والخلابة والفجور..

إلى آخر ما هنالك من الموبقات والمنكرات التي يخجل من ذكرها الإنسان. وإذا كان لنا من عزاء في أن الذين عرفوا التوراة وردوها إلى أصولها وكشفوا عما فيها من سم زعاف، هم كتاب، وان كتبهم تملأ المكتبات، ففي نفوسنا يعربد أسف ضارم وحزن شديد، لأن 99 في المائة من العالم لم يسمعوا بهذه الكتب، ولم يروها. لا لأن الصهاينة اخفوا بعضها من المكتبات فور صدوره، ولا لأن الدعاية الصهيونية أقوى منها. بل لأن أكثر الناس لا يعطون للقراءة أي وقت، أو أي ثمن. وقسم آخر لا يأبه لمثل هذه الدراسات لأنها تتناول كتاباً "مقدساً" لا ينتابه الشك من خلفه أو من بين يديه. فكيف بالكلمة المكتوبة، المؤيدة بالحجج والبراهين والادلة والمنطق العقلي الصارم. هي مرفوضة سلفاً قبل ان تمر عليها العين أو تطرق ابواب السمع.

اما التوراة الجزء الأول من كتاب المسيحيين المقدس، الذي يطلقون عليه اسم "العهد القديم"، فهي في كل كنيسة، وفي أكثر البيوت، وفي أغلب المدارس. واخص بالذكر مدارس الطوائف المنشقة عن البروتستانتية، كالانجيليين، والمتجددين، والطوائف التي أنشأها اليهود، وطفروا في العالم ينشرون مبادئها بين الناس، كالسبتيين، وشهود يهوه. أقول أن هذه الطوائف تحفظ وتقرأ وتبشر من التوراة أكثر مما تفعل من الانجيل. وتحاول، بأساليب

ملتوية والسنة كما للأفاعي، ان تقنعك بأن التوراة كتاب مقدس، وأنها في أصل الانجيل، وان المسيح يهودي، وان الانجيل مكمل للتوراة، و...

وتخرج أنت من الكنيسة، أو تتخرج من المدرسة، وفي صدرك يقين بقدسية التوراة، والايمان بكل ما جاء فيها..

مؤلم أن تكون الغالبية العظمى من امتنا، ان لم نقل جميعها، تعتقد ان عدونا ينحصر في الأفراد الصهاينة الذين يشكلون دولة إسرائيل. ومما يؤسف له ان كثرة من مفكرينا تأخذ بالاعتقاد هذا. وإذا كان هناك قلة من المفكرين تربط بين صهاينة إسرائيل وبين الصهيونية العالمية، فهم يرون في الصهيونية العالمية حركة سياسية ولدت في أواخر القرن التاسع عشر، وتجسدت، بعد وعد بلفور، في كيان سياسي، هو ما يسمى دولة إسرائيل في العام 1948.

أما المفكرون الذين يعرفون ويبحثون، اولاً يبحثون، في الصهيونية كحركة دينية ولدت مع موسى، واتخذت العقيدة الدينية لباساً لها. وحملها اليهود في ذواتهم، واغلب أفراد الطوائف المسيحية، خاصة المتهودة منها، فهم قلة نادرة. وأصواتهم تضيع في هذا الصخب العاتي، فلا يسمعهم أحد. وإذا صدف مرة وسمعهم واحد من الناس، كما حدث لي، ادرك ان بصيرته كانت عمياء،وتفتحت للنور.

أن عدونا الحقيقي، لا ينحصر في صهاينة إسرائيل، ولا في الصهيونية العالمية، التي توجه دفة الحكم، وتسيّر مركبة الاقتصاد والاعلام في أكبر دولة في العالم. ولها تأثير كبير في أغلب الامم، خاصة الدول الغربية. ان عدونا يكمن في الباعث الذي دفع الصهيونية إلى الظهور على مسرح الاحداث في أواخر القرن التاسع عشر، في المحرك المخبوء وراء هذه الظواهر السياسية. وهو بمثابة الدعم الذي يبث فيها الروح ويحفظ لها الحياة.

وهذا المحرك هو...

هل عرفته؟

لقد زحف علينا الصهاينة بفكرة عقائدية عمرها ثلاثة آلاف عام. وما فتئوا يزرعونها فـي أفكار الشعوب طوال هذه الاجيال. وهنا تكمن قوتهم رغم قلة عددهم. فالصهيونية دعوة سياسة من أشد العقائد السياسية ضراوة وفتكاً، فـي اطار من عقيدة دينية، تعتبر من أبشع العقائد التي عرفها تاريخ الانسانية، من حيث تعصبها الذميم، وعزمها على الفتك بجميع الامم.

وقد استطاعت الصهيونية ان تخدع سائر الامم التي تمت بصلة إلى أحد الكتب الدينية الثلاثة: التوراة، والانجيل، والقرآن أو إلى جميعها، خاصة شعوب العالم الغربي. واستطاعت ان تلجم الفكر، وتقوده بالتالي إلى النهيق من على منابرها.

خطأنا الأكبر كان يوم فسرنا تحركات الصهيونية من خلال ما نعتقده نحن. وعمينا. اعمانا الجهـل والتخلف وضحالة الوعي. أعمانا التسامح والمحبة التي هي روح المسيحية والمحمدية. أعمانا تقديسنا لتوراتهم، وجهلنا لماضينا، أعمانا..

أني أُرثي. وأرثي بمحبة فائقة، لحال الذين يقبلون اليهودية كدين، ويرفضون الصهيونية كقومية. ويحاربون الكيان السياسي الذي تجسدت فيه دولة إسرائيل. لأن بذور الصهيونية مطمورة فـي كتاب العهد القديم. وما شق أرض التاريخ عن هذه البذور غير العهد القديم. وما جمّع الصهاينة وأعادهم إلى فلسطين الا كتاب العهد القديم،وما القلب الذي يدفق دم الحياة فـي جسد الصهيونية المحلية فـي فلسطين، والعالمية، غير كتاب العهد القديم.

ماذا يترتب علينا بعد هذا النوم الطويل فـي أحضان الجهل والتخلف وضحالة الوعي و..؟ ان نبحث فـي الباعث المخبوء، الذي جعل من الصهيونية خلية دم تتسرب إلى افكارنا ووجداناتنا من حيث لا نشعر ومن حيث لا ندري. أن نحفز القدرة الواعية فينا، لنكون قادرين على تفسير تحركات الصهيونية، من خلال معتقداتهم ونواياهم. والاهداف التي يرمون إليها. عندها ترى العجب العجاب.

وكأني بك تصرخ بألم وتحسر مرير: يا الله. كم كنت أعمى البصيرة؟ ويومها ما أمر الملك، وما اضرى حسرتك، حين ترى الناس كل الناس في مجتمعك العربي "ما لنا وللغرب"، لا يبذلون أدنى نصيب من الجهد لمعرفة حقيقية هذا الاخطبوط الذي رجع إلى ديارنا رجوعاً دينياً قاهراً. تسنده في استيلائه على أرضنا وابادة شعبنا، قوة غاشمة باطشة، تفتك بايعاز من أوامر "يهوه" العنيفة المسطرة في كتاب العهد القديم.

وترفع اصبعك بوجهي احتاجاً: أنى لنا ان نعرف وأين حقيقة هذا الاخطبوط الذي استولى على عقولنا قبل ان يستولي على أرضنا. وقد خرج منا، منا نحن، من يحارب فينا الفكر الحر، أو يشلح غطاء الفعلة والنسيان وعدم الاهتمام على ثمار الفكر الحر. أو يرفض تقبل الكتب ـ المشاعل ـ اعني بها الكتب التي تحلل الذات اليهودية، أو التي تنقص اسس العلاقة القائمة بين التوراة وبين الانجيل. أو التي تبحث في جذور المعتقدات اليهودية واصولها.

أقول: يرفض تقبل الكتب ـ المشاعل، لأنها تنقض الاساس في وجدانه، وتخلخل القاعدة في فكره.

وقد هدفت من هذه الدراسة المتواضعة إلى تسليط ضوء العقل الكاشف على مضامين العهد القديم في الكتاب المقدس آملاً، بتواضع جم، ان يكون لي شرف المساهمة مع بعض مفكري العالم، في قشع الغشاء الكثيف الذي يحجب نور الحق عن البصائر العمياء. علّ العالم الغربي المشرع الوية الوثنية اللا إنســانية، يعصي حاديه "يهوه" اله الصهيونية الحقود. ويشرع وجهه للالهة المحبة، المضحية. التي عرفت بشارتها في أرضنا المعطاء، وأنارت شعوب العالم. وحاولت جاهداً التحرر من تأثير الميول والعواطف. وركنت، قدر المستطاع، إلى المنطق والعقل، آخذاً بالطريقة العلمية المبنية على الحجة والبرهان، للوصول إلى الحقيقة التي ننشدها جميعاً.

ورحت اتساءل بمرارة قاتمة: ترى استطيع تعرية افكار الشعوب عن اعظم فضيحة في التاريخ، بقيت تسكر وتعربد وتتماجن في عقول الناس وعواطفها مدى نيف وثلاثة آلاف عام، وبالتحديد منذ صعد موسى إلى طور سيناء

ليستلم الواح العهد التي خطها "يهوه" بيده "الكريمة، الفاضلة، المحبة، المتسامحة..".

فإذا استطعت ان أمسح الغشاوة عن بعض العيون، فنعم وتمت. وإذا مرت على كلماتي عيون رمداء وعقول جامدة، فالمحاولة نصف الطريق. ولابد ان تنجب البشرية اطباء كثراً يمسحون العيون الرمداء بنفس القوة التي زرع فيها اليهود هذا المرض في عيون الناس.

لقد حسب العرب، أنهم امام دولة سياسية. راحوا يسلطون الاضواء الكاشفة على هذا الجسم الغريب الذي زرعه الاستعمار في أرضنا. وما زال يكلأهُ بالعناية والرعاية. يحللون ويدرسون أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحزبية، وفي القليل الدينية. معتقدين أنهم قادرون على تنظير هذا المرض السرطاني الذي راح يمتد في أرضنا، محاولاً أن يستنزف جهودنا وينهك قوانا. أو على اكتشاف نقطة الضعف في هذا الكيان. عندئذ تسهل مهاجمته والقضاء عليه.

وغاب عن ظنهم، وهذا خطأ فاحش، ان هذه الدويلة صنعتها الصهيونية بمساعدة الغرب المسيحي المتهود. وفي اعتقاد القوتين الصانعتين ان مساعدة اليهود في العودة، واقامة الدولة اليهودية، وبناء هيكل سليمان و... انما هو تحقيق لنبوءات التوراة، وتنفيذ لرؤيا الخلاص و...

وخفي عن بالهم ان القضاء على هذا المرض السرطاني، لا يكون في تنظير المرض، ومعالجته بالادوية التي هي أقرب ما تكون إلى المسكنات. بل يكون في بحث أسباب المرض، والقوى المختلفة التي تساعده على الامتداد والانتشار والسيطرة على اجزاء أخرى من الجسم العربي. وفي البواعث التي تدفعه لينشط ويتحفز ويثب في الوقت المناسب والظرف الملائم.

اعني العودة إلى الجذور، إلى العوامل المكونة والاسباب الدافعة. وهذا ما سأحاوله في هذه الدراسة الموجزة، وفي الدراسات اللاحقة. فإن قصرت، وما أكثر الأسباب المثبطة والعوامل العائقة، فعذري ان في المحاولة نصف الطريق.

هناك مئات الكتب، ان لم نقل الآلاف، عالجت الصهيونية كظاهرة سياسية، برزت إلى الوجود في أواخر القرن التاسع عشر. وراح الدارسون يتتبعون اطوارها، ويقف الباحثون عند أسباب حياتها ووسائل نموها، من مؤتمرات ومؤامرات وجاسوسية وخيانة وغدر وخداع... وما رافق ذلك من تغاضي الدول الكبرى كانكلترا واميركا، عن هذه الأسباب وتعامي الآخرين. حتى استطاعت الصهيونية ان تقف على قدميها بمساعدة انكلترا أولاً وأميركا ثانياً، وتأخذ شكل كيان سياسي. هو ما يدعوه العالم "دولة إسرائيل" . اما صهيونية التوراة المتجذرة في يقين المسيحيين وايمانهم، بفعل لا وعي، سببته العلاقة القائمة بين التوراة وبين الانجيل، في كتاب مقدس واحد. وتبني الغرب المسيحي لمشكلة تجسيد الكيان الديني في كيان سياسي، هو دولة إسرائيل. بتأثير التوراة التي تجري، من خلال تقديسها، في اعراق المسيحيين. فمسألة لم يلتفت إليها من الدارسين الا نفر قليل.

المسيحي الغربي يؤمن بأن عودة اليهود إلى فلسطين، وبناء هيكل سليمان، واقتلاع أصحاب الأرض من مسكنهم، ليحل محلهم "شعب الله المختار"، هو أمر حتمي. طالما وعدهم "الله" به. وكرر وعده في التوراة "المقدسة" التي تشربت بها نفس الغربي مع نموه في أحضان اليهودية، في البيت، والمدرسة، والكنيسة، والنادي والمجتمع، عبر الكتاب المقدس، بجزئيه: التوراة والانجيل. ويؤمن بأن المساعدة في تحقيق نبوءات التوراة واجب ديني وفرض مقدس. تحتمه نفسه التي شبت على مبادئ التوراة، وتشريبتها، حتى لا تستطيع منها تحرراً أو فكاكاً.

ومن هنا غزا المبشرون العالم، وطوف الرسل في ارجاء المعمورة، وترددت في قباب الكنائس اصداء المواعظ، وعلت في النوادي والمحافل اصوات المحاضرين. وجميعهم يدعون إلى الايمان العميق بنبوءات التوراة، والمساعدة في تحقيقها. لأن فيها خدمة للكنيسة وللرب. فتشرب الجميع مبادئ الصهيونية المضمنة في التوراة بلا شعور. وآمنوا بها من حيث لا يعون. حتى صارت جزءاً من ذواتهم. وكان البعض يعملون عن وعي، ويخططون

بصمت وتآمر، لتحقيق هذه الاهداف، لانهم يهود اعتنقوا المسيحية بغرض التخريب والتشــويه والتزييف، أو لأن الدم اليهودي يجري فـي اعراقهم، والتراث الصهيوني يكون جبلة افكارهم. أو لأن الصهيونية استطاعت شراءهم بالمال، وسخرتهم لخدمة هذه الغايات ونشرها بين الناس.

ومن المؤسف ان تبقى التوراة. رغم النصوص المكتشفة فـي بلاد الشرق القديم، هي المرجع الوحيد للباحثين، فـي تاريخ فلسطين والشرق العربي. فاعتبارها من الكتابات القديمة جداً. وزاد من أهميتها كونها كتاباً مقدساً تتناقلها الايدي وتحفظه الصدور فـي البيت والمدرسة والمعبد والمنتدى. وجميع ما تضمنته اسفارها من شرائع واحداث وقصص وأشعار وتنبوءات، يتقبله الناس، ويقبله الدارسون دون بحث أو تحقيق، لأن هالة القدسية تظلله، ولأن المصادر الاساسية التي استقيت منها التوراة كانت لا تزال طي القبور، وعلى جدران الهياكل والقصور، لم تمتد إليها يد ولم يسلط عليها نور.

وعندما تمت الاكتشــافات فـي بلاد ما بين النهرين، وسوريا، ومصر، تبين للباحثين والدارسين ان اسفار التوراة "المقدسة" منقولة برمتها نسخاً أو مسخاً عن الاداب والشرائع المصرية. والكنعانية، والبابلية. فظهرت الابحاث المتعددة، تلقي الاضواء على التوراة، وتكشف صلتها بالاداب والشرائع المتقدمة عليها.

ورغم ان عشرات المجلدات تناولت مصادر التوراة وأصولها، فقد بقيت كتاباً مقدساً، وبقي العهد القديم "التوراة" يطبع مع العهد الجديد "انجيل المسيح" فـي كتاب واحد بعنوان "الكتاب المقدس"، بجميع اللغات، وعند مختلف الطوائف، وفـي جميع انحاء العالم.

والاعجب من ذلك أنه فـي عصر الاكتشافات وعصر دراسة التوراة، واعادتها إلى المصادر التي مسخت عنها، عظم انتشار التوراة فـي محاولة لترسيخ الايمان بها فـي كل صدر فـي الشرق والغرب، عن طريق البعثات والرسل والجمعيات والكتب التي تصدرها أوروبا وأميركا إلى العالم. وما تحمل

هذه البعثات والكتب من روح صهيونية. هي قائمة في قلوب الغربيين، توجهها كيف تشاء وتنطقها بما تريد.

وابشع الاوهام التي انطلت على المسيحية، ان اليهود شعب مختار من الله، وان توراتهم كتاب علوي مقدس، وان...

وسرت هذه الاضاليل في نفوس المسيحيين، فإذا هم يعتبرون مسيحهم يهوديا، وان المسيحية هي استمرار لليهودية، أو اكمال لها. وكانت الآية الواردة في انجيل متى[3] حجة لهم وبرهاناً على أن المسيح جاء يكمل شريعة موسى وسواه من انبياء اليهود. وبسبب هذه الاضاليل التي ضمنوها في التوراة، وأوهموا الناس بقدسيتها وجلالها، راح العالم يمد يد المساعدة والعون لهذا الشعب المشتت، المضطهد، المشرد عن "أرضه"، إلى "أرض الميعاد". الأرض التي يعتقدون ان ربهم "يهوه" اقتلع منها شعبها، ووهبها لليهود، شعبه الخاص. حتى لنرى بن غوريون رئيس حكومة إسرائيل يقف بتبجح وغرور، في الولايات المتحدة، الدولة العمياء، أو التي تتعامى عن الحقيقة، ليقول أمام ممثلي جميع وسائل الإعلام: (ان اليهود لا يحتلون شبراً واحداً من أرض العرب. ولا يزال العرب يحتلون مساحات واسعة جداً من الأرض اليهودية. الأرض التي وعدهم بها الله).

"الأرض التي وعدهم بها الله"؟ كذا.. وعدهم بها الله. فهم كما يقول كتاب العهد القديم، شعبه المختار، وهو الههم الخاص. يبيد الشعوب أو يطردها من أمامهم، ويملكهم اراضيهم. وقد وعدهم بأرض كنعان ميراثاً أبديا.

ولكن. هل يسمح لي بن غوريون، واي بن غوريون آخر، بسؤال بسيط: متى كانت الأرض التي وعدهم بها الله "ارضاً يهودية" كما يقول؟ اليست هي أرض الكنعانيين والفلسطينيين واليبوسيين والحوريين و.. كما يقول العهد القديم، كتابهم وكتاب الشعوب الاميركية، المقدس.

[3] في انجيل متى 5/17 يقول المسيح (لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس والانبياء ما جئت لانقض، بل لاكمل).

ثم، متى يعلن ذلك بن غوريون؟ وأين؟ في منتصف القرن العشرين، وفي أكبر دولة تدعي الحضارة والرقي، وأمام وسائل الإعلام، وجه الدولة، هل ان اضاليل اليهود لا تزال تتجذر في عقول أهل القرن العشرين؟ أم...

هنا قد ينبري احدهم قائلاً: ان اليهود يسيطرون في اميركا على قوة اعلامية هائلة. تحتضن كل ما يصدر عن زعماء إسرائيل من بيانات وتصريحات، وتنشرها على الملأ في العالم. ولو ملكنا مثل هذه القوة لنقضنا هذا الادعاء، واستهجنا هذه التصريحات.

لا يا أخي. لا تستطيع نقض هذا التصريح، أو كشف دعواه الباطلة. لانك لا تستطيع نقض القاعدة الفكرية والخلفية الدينية،التي هي بمثابة تربة ينمو فيها عقل المسيحي الغربي، ويتغذى منها.

ولا تزال هذه الخدع تأخذ من النفوس مكانها ومن القلوب اوطانها. ذلك ان الدعــوات التبشيرية المتعددة التي تفرعت عن البروتستانتية، كالانجيلية، وشهود يهوه، والسبتية، وسواها، تغرس هذه الخدعة في نفوس الصغار والسذج و...

فالصهيونية المتجسدة في دولة إسرائيل ليست بنت وعد بلفور، كما يدعي ، للأسف الشديد، معظم الدارسين. وانما هي بنت الوعد الأول، وعد "الله" لابراهيم، في حدود القرن التاسع عشر قبل الميلاد. وليست صنيعة هرتزل، نبي الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر. بل هي صنيعة موسى، نبي الصهيونية الأول.

الصهيونية حركة دينية ودعوة قومية. قطعت على نفسها عهداً بتحقيق العهد الاول الذي قطعه "الله" لبني إسرائيل، وتحقيق الرؤى الدينية والآمال اليهودية.

وعندما ولدت الصهيونية كفكرة دينية أراد المفكرون العقائديون الاوائل من مثل ليو بنسكر وتيودور هرتزل وأحد هاعاغم وناحوم سوكولوف وحاييم وايزمن، أن يجسدوها في كيان سياسي، فكان لهم ما أرادوا.

المهم انها ولدت فكرة دينية، وأربابها الاوائل هم مفكرون عقائديون. وعندما شبت الصهيونية السياسية، بقيت مرتبطة أوثق ارتباط بالدين اليهودي. ومن الواضح انه كلما كانت الحاسة الدينية قوية في اليهود، كلما كانت الصهيونية السياسية أكثر استفحالاً وأشد ضراوة. العكس بالعكس.

فالصهيونية حركة عدوانية توسعية، حركة دينية سياسية. تستند في دعواها الدينية إلى وعد "يهوه" لآباء اليهود بتمليكهم أرض كعنان.

ومن هنا، القضية الفلسطينية قضية عقائدية قبل أن تكون قضية سياسية. والصراع الدائر بين الفلسطينيين، أصحاب الأرض، وبين الدخلاء الصهاينة، لهو اخطر صراع عرفته البشرية. وأظن أنها لن تعرف أخطر منه. ذلك أنه، وإن اتخذ شكلاً سياسياً طارئاً، عميق الجذور بعيد الافاق، يعود إلى أكثر من الفي سنة، يمتد بقوة أكبر من القوة التي حفظته حتى اليوم.

فقد التقى جماعة لصوص من ديار مختلفة، وسحن متباينة، وجنسيات شتى، ولغات تربو على الثمانين، واجتمعوا في أوكار العهر والحقد، وأسسوا عصبة لاحتكار الله، وابتزاز الأموال، وسرقة الأرض، متسترين بالدين، متسلحين بوعد الههم "يهوه" اله العهد القديم، الجزء الأول من الكتاب المقدس لدى جميع الطوائف المسيحية.

ومن هنا فإن الجذور الدينية لفكرة تجميع اليهود، واقامة دولة إسرائيل، راسخة في أغلب النفوس المسيحية، ان لم نقل جميعها. لأن مفاهيم العهد القديم تكوّن القاعدة الفكرية عند بعض الفئات، وتشكل جوانب فكرية وروحية هامة عند الفئات الأخرى.

وكتاب العهد القديم هو في الأصل كتاب اليهود الديني يربط اليهود، بعقيدة معينة، من خلال ما يرويه من أحداث تأريخهم.

وإذا أردت الوقوف على حقيقة هذا الكتاب، ومعرفة خلاصة هذه العقيدة، لوقعت على وثيقة سياسية، تلبست ثوب الدين، واستخدمت الله والانبياء لتنفيذ مخططها المرسوم ومنهجها الموضوع. أنه الوثيقة التي تستند إليها الصهيونية في ما تدعيه من حق في هذا الجزء من الوطن العربي.

وفـي هـذه الـدراسـة الـموجزة سـأحـاول الـقـاء بقعـة مـن الـضـوء عـلـى كـتـاب العهد القديم، لأتبين الصلة التي تربط اليهود بأرض فلسطين، وأتعرف على القرابة التي تشدهم إليها.

أن نقطة الانطلاق فـي صورة العدو، والأرض ـ ربه الجديد، استعيره من رواية صهيونية، ومن روائية، من زعماء ذلك القبيل .. موشي دايان. ادركتها حرفة الادب، ولها الآن أكثر من رواية. وفـي روايتها الثانية "طوبى للخائفين" تروي "يعيل" من خلال عائلة عفري، المهاجر الصهيوني، فـي إحدى المستعمرات، الصورة الخلفية للتكوين الصهيوني القائم فـي الأرض المحتلة اليوم. وفـي الرواية بعض ما يروى. إذ يتصدى الاب عفري، الذي يمثل الصهيوني الحديث، مستعمر الأرض، لابنه الفتى نمرود، وقد عرف انه يتردد على الكنيس للصلاة بتأثير يهودي عتيق. فيقول عفري لابنه فـي حدة: فـي القديم، حين كنا فـي روسيا كان لا بد من اطاعة التلمود، والمحافظة على الدين، أما الآن فقد أصبح لدينا شيء أهم: الأرض. لقد تركت فـي روسيا كل ما يتعلق بي من متاع وأقارب، ووجدت هنا رباً جديداً، هذا الرب الجديد هو خصب الأرض، هو زهر البرتقال، ألست تشعر بهذا؟ ويتناول عفري حفنة من تراب الأرض يسكبها فـي كف الصبي، ويقول: امسك هذا التراب، اقبض عليه، تحسسه، تذوقه. هذا هو ربك الوحيد.

هذه الفقرة الكافرة تفتح نافذة على الجذر الاعمق والاخفى فـي الفكر الصهيوني. تفضح فـي نسيجه المكون نقطة الغور التي شغلت خط الصهاينة منذ هرتزل الأول حتى دايان الأخير. بن غوريون يعترف بهذا، يعترف بأن (ما يربط اليهود ليس الدين اليهودي، فاليهود الملحدون يهود أيضاً. وليس العرق، فهم ليسوا من عرق واحد. وليس اللغة، فهم يجهلونها وتكاد تكون لغة متحجرة. ولكن رؤيا العودة، العودة إلى أرض الميعاد).

ويضيف العجوز الذي تعطيه شيبته فـي عيون اليهود، ملامح قضاة اليهود الاولين (كل الشعوب نشأت وتكونت ملتصقة بأرض معينة، الا اليهود. بينما الدين اليهودي هو دين ذو أرض. هو أول دين ذو أرض معينة).

ويقول ايغال الون نائب رئيسة الوزراء في دولة إسرائيل (جاء اليهود إلى البلاد، لكي يستردوا الأرض التي يعتقدون انها كانت أرض أبائهم. الأرض التي وعدها الله لهم ولذراريهم في العهد القديم المبرم قبل آلاف السنين بين الله وبين إبراهيم[4]. ما فعلت الصهيونية كي تصل إلى هذه الأرض، قصة تمتد على أعناق ثمانين عاماً. هجرة تحف ومال يجمع، ووعود تعطى، وكلب استعماري، وضياع عربي جهول، وضجيج بكل أفق.. تعرفون، بلى تعرفون المأساة. بعضكم عاشها بأعصابه ودم أهله. الصرخة التي جمدتها الفأس على فم الطفل فما تنطلق. والامعاء التي رشقتها القنبلة على شجرة تهتز، والرعب الذي تحجر عيناً مستديرة بوجه العجوز إلى الابد.

ان الحركة الصهيونية التي بدأت بهرتزل ونوداو، ثم ركبها وايزمن وبن غوريون، وانتهت اخيراً بجيل دايان ورابين، قد انتصرت. "نريد ارضاً" كانت هي الصيحة. ثم تحولت إلى "نريد هذه الأرض".ثم ثم صارت "نريد المزيد من الأرض". ثم أضحت اخيراً "نريد الحدود الطبيعية لأرضنا".. وأن صيحة أخرى لتتهيأ منذ الآن منادية بالمدى الحيوي.. خطوة خطوة. تحركوا.. أما نحن فقد مشيناها.. حائط المبكى القديم، ملاحكم الاضطهاد وأساطيره، أرض الاجداد، تاريخ اليهود0 الفريد، مزاريب المال، الاحتلال، التعصب الوحشي، الفؤوس في الجماجم.. كل ذلك إنما وضعوه لخدمة فكرة واحدة: امتلاك الأرض. وايزمن قال "ان بريطانيا تعهدت له بتسليم أرض فلسطين خالية من سكانها العرب". وبرندس مستشار الرئيس الاميركي ويلسون، فسر وعد بلفور بأن القصد منه هو أن يصبح اليهود أكثرية في فلسطين. وعلى العرب أن يرحلوا إلى الصحراء. والكونغرس الاميركي طالب عام 1942 باجلاء السكان العرب عن فلسطين ان هم عارضوا في انشاء الدولة المقترحة.

ما حسب أحد حساب العرب. كمية مهملة كانوا، والمد الاستعماري في الاوج.

---

[4] Allon Yigal - Shield of David The Story of Israels Armed Forces. Weidenfield And Nicolson. 1970. P. 15.

هل بينكم من قرأ البيان الذي أعلن قيام دولة إسرائيل منذ عام 1948؟ الكلمة الأولى فيه تبدأ هكذا "أرض إسرائيل هي مهد الشعب اليهودي".

أنه يتألف من تسع عشرة فقرة. ثلاث منها فقط لا تتحدث عن تلك الأرض. الزعماء الصهيونيون الثمانية والثلاثون الذين وقعوا البيان ما شغلهم في ست عشرة فقرة منه الا حديث الأرض.. "الرب الجديد" الذي وجدوه أخيراً.

والآن..

ما هي أرض اسرائيل، أو ما هي أرض الدين اليهودي؟ وماذا فعلت الصهيونية كي تصل إلى هذه الأرض؟

في الأزمات المصيرية تبدو العودة للبديهيات نوعاً من الكشف للمجهول. ويبدو تثبيت بعض القيم والمفاهيم قريباً من الخطر والشأن من اخراج المعجزة ومن الحاح الخبز اليومي. بلى .. أكرر. ان الأرض هي القضية[5]. وهل في كتاب العهد القديم من حديث غير حديث الأرض؟ وهل من عمل ليهوه، اله العهد القديم، غير الأرض؟ وهل شغل كتاب العهد القديم، وأنبياءه وملوكه، غير الأرض؟

فما هي قصة الأرض كما رواها كتاب العهد القديم؟

[5] من مقال للدكتور شاكر مصطفى في مجلة الاداب البيروتية عدد آذار 1966

قصة الأرض
في كتاب العهد القديم

الأرض، الأرض، الأرض.

رأينا في ما تقدم نماذج من اقوالهم وتصريحاتهم. وهي صدى خافت لما يتردد في هيكل ربهم ـ الأرض.

هذا حديثاً. وقديماً كانت الأرض ربهم. فتاريخهم "التوراة" أو ما يسمى "بالعهد القديم"، تدور جميع اخباره وقصصه وشرائعه حول محور واحد، الأرض. وجميع أناشيده واشعاره تتغنى بالارض. والهم الوحيد الذي ظل أبداً يعاودهم قبل غزوهم أرض كنعان، وبعد تشريدهم ونفيهم منها، الأرض.

ـ أي أرض؟

ـ ماذا يقول كتاب العهد القديم؟

لعنة نوح

لا يفرد سفر التكوين في كتاب العهد القديم، لمسألة الخلق والتكوين الا جزءاً يسيراً "ثلاث صفحات" إذا قيس بما افرده الكتاب المذكور "مئات الصفحات" لسرد تاريخ اليهود، وأصولهم القبلية، وتفصيل أخبار الحروب التي خاضتها قبيلة بني إسرائيل مع أصحاب الأرض.

وفي الفصل السادس يطلع علينا كتاب السفر بخبر مفاده (ان أبناء الله رأوا بنات الناس انهن حسنات. فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا.. ودخل بنو الله على بنات الناس، فولدن لهم اولاداً .. ورأى الرب ان شر الإنسان قد كثر في الأرض.. فحزن الرب انه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه. فقال الرب امحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته.. لاني حزنت اني عملتهم.. وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب. تكوين 6/2).

ولم يسكن غضب الرب حتى اغرق الأرض، وأخمد فيها انفاس الحياة. (فظهرت رؤوس الجبال.. واستقر فلك نوح على جبال أراراط.. وخرج نوح وأولاده الثلاثة: سام وحام ويافث. وابتدأ نوح يكون فلاحاً. وغرس كرماً، وشرب من الخمر، فسكر، وتعرى داخل خبائه. فأبصر حام أبو كنعان عورة ابيه، وأخبر أخويه خارجاً. فأخذ سام ويافث الرداء، ووضعاه على اكتافهما، ومشيا إلى الوراء، وسترا عورة ابيهما، ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة ابيهما. فلما

استيقظ نوح من خمره، علم بما فعل ابنه الصغير، فقال: ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لاخوته. وقال: مبارك الرب اله سام، وليكن كنعان عبداً لهم. تكوين (9/20).

كنا نظن ان الطوفان التوراتي كان لمحو العالم الغارق في الخطيئة. واعادة خلق عالم جديد، صاف ونقي، يتعاون بالتسامح والاخاء، ويعمر الأرض اجيالاً واجيالاً بالمحبة.، قبل ان ينتاب روحه الشر أو تفسده الخطيئة. ولكننا نفاجأ بيهوه التوراة، بعد ان أخذ وعداً على نفسه بأنه لن يخرب الأرض بطوفان جديد، يقسم الشعوب في العائلة البشرية الأولى، بين سادة وعبيد. فكان ميراث شعبه حقد ضار وكراهية عمياء لجميع الشعوب، خربوا بها الأرض بأعنف وأقسى مما خربها الطوفان. وكان مهر شعب باللعن وتتويجه بالعبودية، أسهل على يهوه من اطعام جائع أو مواساة مريض.

وجاء الاب الأول، نوح، الناطق باسم يهوه، يوزع البركات واللعنات بين ابنائه، بعد ليلة سكر وتعر. يجلل واحداً بالسيادة، ويصم آخر بالعبودية. وكأن الاحساس الانساني نضب في صدر الإنسان الأول بعد الطوفان. فكانت اللعنة الأولى باعثاً للعداء والحقد والكراهية. وكانت وصمة يلصقها اليهود، بأمر يهوه، في وجه كل من يريدون اقصاءه من الاشخاص والقبائل والشعوب. ففي العائلة البشرية الأولى بعد الطوفان، يبدأ نوح بلعنة أحد ابنائه، وماركة آخر. ويصنف ابناءه بين ملعون يبقى عبداً لاخيه، وبين مبارك يظل سيداً لاخيه. فكان من الطبيعي، وهم يسلسلون نسبهم ان يعيدوا اصولهم إلى الابن المبارك. ويجعلوا أصحاب الأرض أبناء الابن الملعون.

ومنذ عملوا، في سفر تكوينهم، على ربط نسبهم بالاب الأول، عملوا في الوقت ذاته، على حشر اتجاهاتهم السياسية والقومية في تاريخهم الديني، وضمنوه نزعاتهم العنصرية وميولهم العوانية، نحو كافة الامم والشعوب.. فنوح يلعن، باسم يهوه، أب الكنعانيين، ويبارك أب اليهود. وغالباً ما تمثلت اتجهاتهم السياسية في اضفاء البركة على أب، ووصم الآخر بلعنة. وكان تفسيرهم للبركة أو اللعنة، انها أبدية، تلحق ذريته إلى أخر الدهر.

ففـي سفـر التكوين سـردوا قصـة الخلـق بشـكل مقتضب، وسلسلوا آباء البشر بايجاز مبتسر. الغاية منه ربط نسبهم بأقدس شخصية عرفتها تلك الأزمان، على ما يظهر، أعني به إبراهيم. وارساء أسس العداء بين الشعوب، عن أصولهم عبر توزيع الشعوب في مختلف بقاع الأرض. فجعلوا أصلهم كريماً، اختاره الله من بين جميع الامم، ودفق عليه البركات. بينما لم يكن نصيب الفروع الأخرى غير الدعوة بالعبودية، واللعنات.

ترى لماذا صب اللعنة على كنعان. ونوح هو الذي سكر وتعرى. وحام هو الذي ابصر عورة ابيه؟ ألأن الكنعانيين سبقوا اليهود في مضمار الحضارة، أم لانهم اعطوا العالم الروح والمحبة والحكمة؟

أم لأن الكنعانيين هم أصحاب الأرض، التي فكر نبيهم وقائدهم، موسى بغزوها، بعد ان انهكه وقبيلته التبدي في الفيافي والقفار.

كانت لعنة نوح أول تعبير عن حقد موسى على شعوب كنعان. فموسى البس كنعان اللعنة، وموسى ألصق بوجهه وصمة العبودية.

لم يكن لموسى غير هذا الاسلوب، يعبر به عن نقمته وحقده على كنعان.

وقد التزم كتاب العهد القديم بالاسلوب ذاته حتى آخر فصل فيه. لأن القاعدة التي ارساها موسى ارتكزت عليها عمارة العهد القديم كلها. ولا يزال اليهود حتى اليوم بالروح نفسها، ويعبرون بالأسلوب ذاته.

فطوفان نوح كان لهدم العالم الغارق في الخطيئة. ولكنهم لم يعيدوا العالم إلى الكمال الذي كان له في البدء. وانما ارسوا اسس العداء بين الشعوب.

الوعد ـ الوثيقة

ثم يسرد كاتب العهد القديم انساب بني نوح. وما ان ينتهي الفصل الحادي عشر بذكر "ابرام"، الحفيد التاسع في سلسلة أبناء سام، حتى يطلع علينا في الفصل الثاني عشر بقوله "وقال الرب لابرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت ابيك، إلى الأرض التي اريك.. فذهب ابرام كما قال له الرب..

فأتوا إلى أرض كنعان.. وظهر الرب لابرام وقال: لنسلك اعطي هذه الأرض. تكوين 12/1".

لماذا أراد الرب ان يقتلع ابرام من ارضه، ويخلعه من عشيرته. ووعده بأن يزرعه ونسله في أرض أخرى. أرض معمورة بأصحابها، عامرة بأمجادهم وحضاراتهم؟

لماذا اختار الرب ابرام ونسله من بعده؟

يفسر رجال الدين المسيحي هذا الاختيار بوجود "قصد الهي". ولو سألتهم: ما تفسيركم "للقصد الالهي"؟ وما الدافع الذي يكمن وراء هذا العطاء السخي، الدامي. لأن فيه ابادة شعب، واعطاء ارضه لشعب آخر؟ لداروا في معميات، لا اثر فيها للمنطق المعقول.

هي من نوع اللعب بالالفاظ: الله كبير.. نحن حشرات.. لا نفهم، لا نعرف قصده.. خلاص.. اختيار .. شعب مكرس.. ارادة الله..

وهكذا.. تدور وتدور حتى تشعر بأعصابك وقد أضحت فريسة الخدر والعياء.

هل كان ابرام نبياً؟ أم أنه "وجد نعمة في عيني الرب" كما وجدها لماذا ولماذا؟

من يدري!

أليست هي مقاصد الله، كما يقول العامة، وعلماء الدين واللاهوت؟ ويتساءل المرء بدهشة بالغة: من الذي اختار الآخر؟ أهو الرب الذي اختار شعبه؟ أم هو الشعب الذي اختار ربه؟

لماذا اختار الله شعباً خاصاً من دون سائر الشعوب؟ أليست بقية الشعوب من خلق الله؟

لماذا ارتضى ان يكون الهاً خاصاً بقبيلة معينة؟ أليس هو رباً للجميع والهاً للكل؟

ولماذا اصطفى فلسطين وطناً لهم وموطناً لبيته وسكناه؟ وقصر همه على قطعة أرض. ينزوي في بيت صغير فيها. يغذي في شعبه الخاص روح الحقد والانتقام والختل والخيانة والغدر والخديعة؟

واله المحبة والرحمة والعدل، رجمته الصهيونية، كما ترجم الزانية.

ولا تزال تعيش بانتظار اله جبار يضع الامم تحت أقدامها.

لماذا خص الرب ابرام بوعده؟

أهذا وعد اله محبة وشمول انساني. أم هو وعد اله قومي، عنصري؟

لماذا اختار الله إبراهيم؟ الأنه كان يؤمن بالتوحيد؟

التوراة نفسها تنقض هذا الادعاء في قولها "عشيرته عبدت الهة أخرى. يشوع 24/2". في وقت كان شعب كنعان قد عرف الالهه الواحد قبل إبراهيم بآلاف السنين. أم "ان الله أراد اختياره، فطلب منه ان يؤمن باله واحد"[6]. فنزل إبراهيم عند رغبة الرب، وآمن.

ولماذا اراد الله اختياره، ولماذا انتقته الارادة الالهية من بين سائر البشر؟ وهل تميز ارادة الله بين هذا وذاك؟ ولماذا؟ وكيف؟

أما أن نقول "ان الله لم يختر إبراهيم لانه كان يؤمن بالتوحيد، ولكن آمن بالتوحيد لأن الله اختاره من بين ذويه"[7] فأننا نكون كمن يرتجف خوفاً، ويحاول اقناع نفسه بأنه غير خائف.

لماذا اختاره الله؟ ولماذا لم يختر هذا وذاك وتلك؟ أمن العدل أن يختار الله واحداً من البشر، ويصطفي سلالته شعباً مختاراً. يخطط لهم في الحروب، ويقودهم في المعارك، ويأمرهم بابادة الشعوب، وابسال كل نسمة حياة؟

[6] من المؤسف ان يسقط قلم بعض الدارسين في مثل هذه الزلات. أمثال الدكتور كمال يوسف الحاج في كتابه "الصهيونية بين تاريخين" بالاشتراك مع عبد الله النجار. بيروت 1972 ص 243.

[7] المرجع السابق ص 243.

أم ان القضية لا تعدو ان تكون حظاً ونصيباً، كما يعبر العامة، عن رفعة شأن واحد من الناس، واتضاع آخر.

يقول كتاب العهد القديم ان إبراهيم قد خرج على تقاليد قومه. ونسأل كتاب هذا العهد، وجميع المؤمنين به: هل الخروج على التقاليد يحتم الخروج من الأرض؟ وإذا كان إبراهيم قد عرف الهه في أرض الكلدانيين. فلماذا لم يقم شعائر العبادة حيث تكشف له الهه؟ ولماذا اراد أن يرفع هذه الشعائر في أرض كنعان؟ وهل تكون عبادة الله أو الاتصال به محصورة في أرض خاصة أو في بقعة معينة؟

يقول الكاتب "وحدث جوع في الأرض. فانحدر ابرام إلى مصر ليتغرب هناك. لأن الجوع في الأرض كان شديداً. تكوين 12/10". ثم عاد "وسكن في أرض كنعان.. فقال له الرب: ارفع عينيك، وانظر من الموضع الذي انت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً. لأن جميع الأرض التي انت ترى، لك اعطيها، ولنسلك إلى الابد. تكوين 13/14".

وفي أرض كنعان تكلم الرب مع ابرام مرات عديدة. وفي كل مرة يؤكد له الوعد. ففي الفصل الخامس عشر من سفر التكوين "قال له: أنا الرب الذي أخرجك من "أور" الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها". وفي الفصل ذاته (قطع الرب مع ابرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك اعطي هذه الأرض. من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات). (وقال الرب لابرام: اعلم يقيناً ان نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم. ويستعبدون لهم، فيذلونهم أربع مئة سنة. ثم .. الأمة التي يستعبدون لها، انا أدينها).

رب سائل: لماذا حكم يهوه على نسل إبراهيم "شعبه المختار". بالتغرب في أرض مصر؟ ولماذا قضى عليهم بأن يكونوا عبيداً اذلاء للمصريين؟ ولماذا أراد لهم التغرب أربع مئة سنة، ما دام قد وعدهم بأرض كنعان ملكاً أبدياً. ولماذا حكم على الأمة المصرية بالادانة؟

ولماذا لم يترك يهوه قومه المختارين في أرضهم، في ما بين النهرين ويدفق عليهم الخيرات ماء وأنهاراً وخصوبة أرض؟

لماذا لماذا؟

الا تعتقد أن اليهود، حين بدأوا كتابة هذه الاسفار في القرن الخامس قبل الميلاد لم يجدوا غير هذا الاسلوب في النيل من الامم التي استعبدتهم، والحكم عليها بالادانة؟ وكأن هذا الحكم كان تعويضاً عن الآلام التي اكتووا بها من المصريين.

وفي الفصل السابع عشر "ظهر الرب لابرام، وقال له.. أقيم عهدي بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك، في اجيالهم عهداً أبدياً، لأكون الهاً لك، ولنسلك من بعدك. وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك. كل أرض كنعان ملكاً أبدياً".

وليتك تجيبني على سؤال: هل الدين يحدد الأرض أم القومية؟ وهل تعتقد أن العدالة الالهية تقتلع جذور شعب من أرضه، بالفتك والابادة. لتهب الأرض إلى شعب آخر، وهل تسميها عدالة ، أم ظلماً. ومن أبشع ضروب الظلم في تاريخ البشرية؟

لماذا حكم الرب على شعوب كنعان بالافناء في حرب ابادة؟

تقول: كفروا. وكتاب التوراة اليهودية يدّعون أن يهوه يعطي الأرض لليهود، ويبيد أصحابها الاصليين. لأن اليهود شعب مقدس، مؤمن بالله. أما أصحاب الارض فانجاس، كفار عبدوا الهاً غيره. هم يلصقون هذا الادعاء في وجوه البشر، في محاولة لرفع التهمة عن يهوه، بأنه غير عادل، حين يكرم شعباً، وينزل الحيف والظلم بشعب آخر.

ولكن المعتقدات التي خلفها الكنعانيون محفورة على جدران معابدهم، والابتهالات التي رددت اصداءها قباب هياكلهم. فيها دلالة قاطعة على سمو نظرتهم إلى الله والانسان، وعلى نضجهم الروحي المبكر. فقد عرفوا (أيل) الله. وأسكنوه في السماء البعيدة. فرفعوا القيم الاخلاقية من حضيض المادية إلى يفاع القيم المعنوية والروحية. ورأوا في الله أبا للبشر جميعاً. "فملكي صادق ملك شاليم[8]، أخرج خبزاً وخمراً، وكان كاهناً لله العلي، وبارك ابرام

[8] شاليم: السلام. ثم دعيت اورشليم أي مدينة السلام.

قائلاً: مبارك ابرام من الله العلي. مالك السموات والأرض. تكوين 14/8". والمسيح جاء على رتبة ملكي صادق. كما جاء في رسالة العبرانيين 5/6 ـ العهد الجديد.

الا تعتقد أن فكرة اهتمام الله ببني إسرائيل من دون سائر الشعوب، ووعده لهم بتمليكهم أراضي شعوب أخرى، والاستيلاء على هذه الأرض بالقوة المسلحة، المصحوبة بالفتك والافناء، أمر لا يقبله العقل، ولا يقره منطق سليم؟. والا . فأين محبة الله؟ واين عدالته؟ وأين تساميه؟.

"أن عزو مثل هذا الوعد بـ "أرض كنعان"، القائم على القتل وابادة الجنس، إلى الله عز وجل. ان هو الا سبة موجهة إلى ذات الله جل جلاله. كما أنه لا يمكن ان يكون هناك دين سماوي يأمر بأبادة الجنس البشري والفتك بالشعوب المسالمة البريئة[9].

"وان كل ما ورد في توراتهم من وعود، بمنحهم فلسطين، باعتبارهم الشعب المختار. وما شابه هذه الاساطير. إن هي الا من نسج الخيال ومن ترتيب كتبة التوراة[10].

أولاً تعتقد ان الوعود الالهية التي نسبوها إلى الههم "يهوه"، كانت لتبرير عملية الاستيلاء والاحتفاظ بالارض. لأنها ميراث وعد مقدس. والابقاء على نزعة الحنين ضارية في صدورهم للعودة إليها إذا ما اقتلع أصحاب الأرض أقدامهم منها؟

الا يكون الاقرب إلى العقل والمنطق ان موسى النبي، حين كان زعيماً لقبيلة يهودية ضاربة في صحراء سيناء، فكر بغزو أطراف أرض كنعان. لكنه مات قبل ان يحقق حلمه. فقام بعده قائده وخادمه يشوع بن نون، واستولى على تخوم كنعان الجنوبية، وتوغل في بعض المرتفعات.

---

[9] العرب واليهود في التاريخ ـ الدكتور أحمد سوسة ـ ط 4 ـ دمشق 1975. ص6.

[10] المرجع السابق ص 24.

وعندما بدأ اليهود بكتابة التوراة زمن موسى، أو بعده. أو عندما صاغوها من جديد بعد السبي، ابتدعوا فكرة الوعد الالهي، ليكون تبريراً لما يمكن ان يستولوا عليه في الأزمان القادمة.

ثم.. الا ترى ان منطق كاتب، أو كتاب العهد القديم، ليس المنطق المباشر، الذي ينزع من الأسباب إلى النتيجة؟ فلا يبدو هناك أي داع يدفع الرب إلى اختيار ابرام، ولا سبب يبرر قطع العهد معه. وانما هو المنطق التبريري الذي يؤمن بالنتيجة، ثم يرتد مفتشاً عن الأسباب والاعذار التي تؤدي إلى هذه النتيجة، ليبرر ايمانه بها.

وهذا المنطق التبريري وسيلة يعتمدها أصحاب النوايا السيئة، ليرفعا مسؤولية تحقيق نواياهم السيئة عن عاتقهم، وينيطوها بسبب من أسباب القدر.

فكاتب التوراة اراد ان يبرر غزو القبائل الإسرائيلية لارض كنعان. فجعل نوحاً يسكر، ويتعرى في خبائه. ثم ساق حام إلى الخيمة ليبصر عورة ابيه. فتكون الحادثة تبريراً للعنة. وأراد لنوح أن يقذف اللعنة بوجه كنعان بن حام "لأن الوعد سيعطي لابراهيم بأرض كنعان"، لا بوجه حام الذي ارتكب الذنب. وقصد ان تكون اللعنة ابدية. الغاية منها الحاق العبودية بكنعان مدى الحياة "فيكون عبداً لاخوته إلى الابد".

وكاتب التوراة هو الذي جعل إبراهيم أبناً لسام. وأراد له الانتقال من أور إلى بلاد كنعان. فيكون انتصار بني إسرائيل، واستيلاؤهم على أرض كنعان نتيجة حتمية لدعاء نوح، بأن يكون كنعان عبد لاخوته.

وكأن القصاصين التوراتيين ما اخترعوا حكاية إبراهيم الا ليبرروا بها عملية الاستيلاء.. وما علقوا نسب إبراهيم بسام بن نوح الا لأن لعنة نوح، الناطق باسم يهوه، التي لحقت كنعان نسل حام، هي خالدة وربانية. الغاية منها اضفاء صفة الحتمية على مجريات الأمور، لصالح بني إسرائيل طبعاً. واضفاء صفة الربوبية عليها. لأن كل شيء حصل بارادة يهوه. يهوه الذي حشروه في كل شيء، ذريعة تبرر نواياهم وأعمالهم السياسية.

فقد شعر كتاب العهد القديم بأن أوامر يهوه بإبادة الكنعانيين من غير ذنب اقترفوه، أمر لا تقبله العقول ولا تقره النفوس. فلجأوا إلى حيلة يبررون بها جرائمهم: جعلوا لعنة يهوه تشمل نسل كنعان كله. ولعنته تعني الحرمان من حق الحياة. وعلى مدى كر السنين، والى نهاية الدهور، تبقى كل جراثيم الحقد والكراهية لبني كنعان، ترتع في هذا الدعاء الرباني الخصب. وكانت لعنة العبودية وصمة يلصقها اليهود في وجوه الأفراد والشعوب والممالك، الذين يقفون عائقاً امام تحقيق مطامعهم أو تنفيذ غاياتهم.

والملاحظ ان سفر التكوين لا يعير أي اهتمام لمسألة الخلود، والحياة الابدية. أو السمو بالانسان إلى مجال روحي رحب. وكل ما فيه سرد أخبار قبيلة، اضناها التشرد، وانهكها التبدي والترحال، حتى صار استيطانها في أرض املاً ضارياً، يلهب كيان افرادها بسوط مسعور. من هنا كان ابتداعها وعداً إلهياً. تبرر به استيلاءها على أرض الآخرين.

والواقع ان تدوين سفر التكوين، خضع لمجموعة عوامل سياسية واجتماعية، ظهرت اثارها في اعتبار قبائل وشعوب المنطقة المحدودة بالفرات شمالاً، والبحر غرباً، والنيل جنوباً، والبادية شرقاً، اعداء لهم. ومن هنا نرى الههم "يهوه" يحجب بركته عن بعضهم، وقد يلعنهم. ويعد قبيلته بتمليكهم أراضي الامم الأخرى. محاولاً بذلك شعورهم بالذل والانتباذ. لعدم قدرتهم على الارتباط بأرض معينة. ولعدم وجود صلة لهم بأرض نشأوا فيها وتكون انسانهم.

وهذا الوعد الالهي اعطي بأرض لم تعرفها القبيلة اليهودية من قبل. وانما كانت ارضاً مأهولة بأصحابها الذين عمروا عذريتها بأفكارهم وحفروا في وجهها امجادهم. ولم يكن الوعد بأرض بلا خطيئة، حيث لا أمراض ولا شيخوخة، كما كان اعتقاد المجتمعات البدائية[11]. بل كان وعداً بتمكينهم من الاستيلاء، بالمذابح البشرية، على جنة أرضية مادية بحتة. أراد اليهود

[11] مع الكلمة الصافية لقاسم الشواف ـ دمشق 1969. ص 115.

اغتصابها بالحرب والعنف. سواء كانت جنتهم الأرضية هي أرض كنعان، التي تفيض لبناً وعسلاً. أم جنة عدن بأنهارها الأربعة:

دجلة والفرات والنيل والنهر الهندي المقدس[12]. فإن هاتين الجنتين هما لاصحابهما. ولا يمكن لكتاب مقدس، كالعهد القديم، أن يصنفهما على غير ذلك.

ولم يكن همهم التفتيش عن جنة مفقودة، عاشوا على أمل العودة إليها، كما فعل البابليون والكنعانيون وعبروا عنها "بالحياة الابدية" والخلود .فأونا بشتيم بطل الطوفان البابلي، فتش عنها. وجلقامش ملك اوروك، وخدين المجد والعظمة، وبطل الانتصارات "الاقوى بين الرجال، والامجد بين الابطال" ترك مجده، وثار على مظاهر الصولة والسلطان. وآثر البحث عن حياة ابدية. وفي صدره ايمان عميق راسخ رسوخ الجبال، بأن سعيه الروحي وجهوده العميق لابد يقودانه إلى حياة أبدية، هي وراء هذا العالم المادي الشرير.

أما معتقدات اليهود فلم ترتبط بأرض، كسائر معتقدات شعوب الشرق القديم. لانهم لم ينشأوا في أرض معينة. فجاءت معتقداتهم تدور حول محور واحد، هو البحث عن أرض. وكان وعد الههم "يهوه" بمثابة وثيقة مقدسة تبرر اقحام أنفسهم في أرض مأهولة ومعمورة بأصحابها. وتحضر للاستيلاء على هذه الأرض بمذابح بشرية وحرب ابادة.

التغرب في أرض كنعان

يقول كاتب العهد القديم "وتغرب إبراهيم[13]. في أرض الفلسطينيين اياماً كثيرة. تكوين 21/34".

"وكان في الأرض جوع، فذهب اسحاق بن إبراهيم إلى ابي مالك، ملك الفلسطينيين.. فظهر له الرب، وقال.. تغرب في هذه الأرض..

[12] جورج بوست ـ قاموس الكتاب المقدس.

[13] كان ابرام، غفيرة الرب إلى إبراهيم في قوله له "لا يدعي اسمك بعد ابرام. بل يكون اسمك إبراهيم. تكوين 17/5ز ومن صفات يهوه رغبته في تغيير اسماء مختاريه أو اطلاق الاسماء على مواليدهم.

لاني لك ولنسلك اعطي جميع هذه البلاد، وافي بالقسم الذي اقسمت لابراهيم ابيك. تكوين 26/1". ثم ظهر الرب ليعقوب[14] "إسرائيل" بن اسحاق وقال "انا يهوه، اله إبراهيم ابيك واله اسحاق. الأرض التي انت مضطجع عليها لك ولنسلك. تكوين 28/13".

هنا قد يتبادر إلى ذهنك سؤال: لماذا انحصرت الذرية في اسحق، واستبعد اسماعيل؟ ولماذا حكيت الحيل والمؤامرات لحصرها ايضاً في يعقوب، واستبعاد عيسو؟ لماذا اعطيت البركة لهذا ومنعت عن ذلك؟ ما القاعدة، وما المبررات في اعطاء واحد، وحرمان آخر؟.

من يدري!

هي مقاصد الله، كما يقول العامة، وعلماء الدين واللاهوت. وأنت. الا تعتقد أنه المنطق التبريري ذاته الذي اعتمده كاتب العهد القديم،عندما جعل من لعنة نوح لكنعان مبرراً لاعطاء الوعد إلى إبراهيم، الذي يعود بنسبه إلى سام. وكان حكمه على كنعان بأن يكون عبداً لاخوته، مبرراً لغزو القبائل الإسرائيلية لارض كنعان.

فالكاتب شخص متعصب لبني قومه "إسرائيل". قاده تعصبه إلى ابعاد اسماعيل، بكر إبراهيم، إلى أرض المشرق. وجعل يهوه يقيم عهده مع اسحق. فلم يجد ما يبرر به فعلته غير الادعاء بأن اسماعيل ابن الجارية، فلا يرث مع اسحق ابن السيدة فقد قالت "السيدة" سارة لزوجها إبراهيم "ان ابن هذه الجارية "هاجر" لا يرِ مع ابني اسحق". وأيد يهوه كلام سارة "فقال لابراهيم: لا يقبح في عينيك من أجل الغلام "اسماعيل"، ومن أجل جاريتك. في كل ما تقول لك سارة، اسمع لقولها. تكوين 21/12".

اما في قصر الوعد يعقوب "إسرائيل"، فلم يجد الكاتب من المبررات غير الدهاء والحيلة والخداع. فقال "تزاحم الولدان في بطن رفقة، زوجة اسحق. فمضت لتسأل يهوه. فقال لها: في بطنك امتان، ومن احشائك يفترق شعبان.

[14] بعد مصارعة يعقوب للرب قال له الرب "لا يدعي اسمك في ما بعد يعقوب. بل إسرائيل، لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت. تكوين 32/28".

شعب يقوى على شعب، وكبير يستعبد لصغير. تكوين 25/22". ومن الطبيعي ان يكون البكر هو عيسو، الذي حكم عليه يهوه، أو كاتب العهد القديم، وهو بعد في بطن امه، ان يكون عبداً لاخيه "يعقوب" الذي أتى بعده.

وقد اتخذ الكاتب من حكم يهوه هذا، ومن محبة رفقة "الأم" ليعقوب أكثر من عيسو، مبرراً للجوء يعقوب وامه إلى الحيلة والدهاء. ومن الطبيعي ان يؤيد يهوه تصرفهما، لأن فيه تحقيقاً لحكمه. فيقول الكاتب: ان عيسو أتي من الحقل يوماً، وقد اعياه التعب "وكان يعقوب في البيت قد طبخ عدساً. فقال عيسو ليعقوب: اطعمني من هذا الاحمر. فقال يعقوب: يعني اليوم بكوريتك. فقال عيسو: ها انا ماض إلى الموت. فلماذا لي بكورية؟ وباع بكوريته ليعقوب. تكوين 25/30". بصحن من طبيخ العدس.

اما الحيلة التي لجأت إليها الأم، فكانت اشد وادهى. يقول الكاتب "وحدث لما شاخ اسحق وكلت عيناه، انه دعا عيسو، ابنه البكر، وقال له: اخرج إلى البرية وتصيد، واصنع لي اطعمة حتى تباركك نفسي قبل ان اموت. وكانت رفقة سامعة.. فكلمت يعقوب، وكانت تحبه، قائلة: خذ جديين من المعزى، فاصنع اطعمة لابيك.. حتى يباركك قبل وفاته. فقال يعقوب لامه "رفقة" هوذا عيسو أخي رجل اشعر، وانا رجل املس. ربما يجسني ابي، فاجلب على نفسي لعنة لا بركة. فقالت له امه. لعنتك علي يا ابني.. فصنعت اطعمة.. والبست يدي يعقوب وملاسة عنقه جلود جديي المعزى.. فدخل يعقوب إلى ابيه. فقال اسحق: اسرعت يا أبني. فأجابه يعقوب: ان يهوه الهك قد يسر لي. فقال اسحق ليعقوب: تقدم لاجسك يا ابني. أأنت هو ابني عيسو أم لا؟ فتقدم يعقوب إلى اسحق ابيه، فجسه، وقال: الصوت صوت يعقوب، ولكن اليدين يدا عيسو. ولم يعرفه. فباركه". وكانت البركة ما اعتاد يهوه ان يبارك به رجاله الخلص أو شعبه المختار. قال "ليستعبد لك شعوب، وتسجد لك قبائل؟ كن سيدا لاخوتك. تكوين 27/5".

ثم جاء عيسو بالصيد. فقال له ابوه اسحق "قد جاء اخوك بمكر، واخذ بركتك.. فقال عيسو لابيه: الك بركة واحدة يا أبي؟ باركني انا ايضاً". ففتح

اسحق فاه، وكانت بركته لعنة. قال "بلا دسم الأرض يكون مسكنك، وبلا ندى السماء من فوق. وبسيفك تعيش، ولاخيك تستعبد تكوين 27/39".

ثم دعا ابنه يعقوب وقال له "يعيك الله بركة إبراهيم لترث أرض غربتك التي اعطاها الله لابراهيم. تكوين 28/4".

فكاتب التوراة يريد ان يهب الأرض إلى يعقوب "إسرائيل". فماذا فعل؟ وكيف برر هذه الهبة اليهودية؟ جعل يتزاحمان في بطن الأم، مقدمة لسؤالها يهوه. ووضع الجواب على لسان يهوه، بأن الكبير يستعبد للصغير. فكان من الطبيعي ان يكون البكر عيسو. هنا فقد الكاتب المبررات المقنعة بتحويل الوعد لصالح يعقوب. فلجأ إلى الحيلة، بأن جعل الأم تحب ابنها يعقوب أكثر من محبتها لعيسو، وذلك مقدمة لحبك المؤامرة ضد عيسو. وعندما البست رفقة يدي يعقوب جلود المعزى، كان مقدمة لطلب ابيه إليه ان يجس يده، لأن الكاتب اراد للاب ان يشك. وقد عبر عن شكه بقوله: الصوت صوت يعقوب، ولكن اليدين يدا عيسو. ورغم شكه، فقد باركه، لأن الكاتب جعل الاب اعمى. وعماه كان مقدمة لعدم التمييز بين ابنيه.

ثم "دعا اسحق يعقوب. واوصاه قائلاً: لا تأخذ زوجة من بنات كنعان. اذهب إلى فدان ارام[15]، وخذ لنفسك زوجة من بنات "لابان" أخي امك. والله يعطيك بركة إبراهيم، لترث أرض غربتك، التي اعطاها الله لابراهيم. تكوين 28/1".

فذهب يعقوب إلى بلاد ما بين النهرين، ورعى غنم خاله "لابان"، وتزوج من راحيل وليئة ابنتي خاله، ومن جاريتيهما. فولدن له اثني عشر ابناً. شكلوا في ما بعد ما يسمى باسباط إسرائيل.

ثم "قام يعقوب، وحمل اولاده ونساءه على الجمال، وساق مواشيه التي اقتنى في فدان ارام، ليجيء إلى اسحق إليه، إلى أرض كنعان. تكوين 31/17".

[15] فدان ارام: في بلاد ما بين النهرين.

"وسكن يعقوب في أرض غربة ابيه، في أرض كنعان. تكوين 37/1".
الأرض التي كانوا يتسلحون، في الاستيلاء عليها، واستملاكها يوماً، بوثيقة يهوه ـ الوعد.

حرب الابادة

رأينا الوعد، وعرفنا بعض خطوطه وابعاده. اما عملية الاستيلاء. فكيف خططوا لها؟ وكيف قاموا بالتنفيذ؟

لقد رافقت عملية الاستيلاء على مرتفعات فلسطين، قديماً وحديثاً، عمليتان بالغتا الاهمية: المجازر والوحشية، وحرب الابادة. وكان لهاتين العمليتين هدفان بارزان، يعتبران بمثابة الدعامتين الاساسيتين اللتين قامت عليهما دولة إسرائيل في القرن العاشر قبل الميلاد، وفي القرن العشرين بعده. أولهما: ايقاع الذعر في النفوس. والثاني: تنظيف الأرض من شعوبها. لتكون طاقتها قادرة على استيعاب القبائل الإسرائيلية.

وقد رأى بنو إسرائيل ان أهم عملية تخدم هذين الهدفين، وتؤدي اليهما، هي حرب الابادة. فكانوا أثناء استيلائهم على اجزاء من فلسطين، يرتكبون من المجازر الوحشية ما يقشعر لدى سماعه الإنسان، فيبيدون من يظفرون بهم، وينشرون ظلال الرعب والخوف في نفوس من تبقوا احياء فيركنون للهرب والفرار.

عاشت هذه "القبيلة الهمجية"[16] في حالة بدائية وحشية، وفي زمان غاشم، لم يعرف قانوناً غير القوة "شريعة الغاب". يشد ازرهم ويسير معهم اله صغير صغير وكأنه يعاني من عقدة تفوق الالهة الأخرى عليه. ولذلك تراه يبث روحه الحاقدة في صدورهم، فيبيح لهم الفتك والتذبيح والحرق والتدمير، لينفي عنه شعوره بالضعف، أو ليرضي عقدة الغرور المستعرة في ذاته. ولذلك كانت غزوة اليهود لارض فلسطين شرسة ووحشية وحاقدة وكان الههم "يهوه" يؤرث نيران الحقد والكراهية في نفوسهم، ويؤجج لهيب الثأثر

[16] التعبير لدوستو يفسكي في مقالته "المسألة اليهودية" التي نشرها عام 1877 في "مفكرة كاتب". ترجمها إبراهيم الكوني في مجلة بيروت المساء العدد 98 لسنة 1975.

والشراسة فـي صدورهم. فمذ عاد يعقوب من فدان ارام، ونصب خيمته امام مدينـة "شكيم" فـي أرض كنعـان "تكوين 33/18"، راح يعمل على تنفـيذ الخطة التي انتهجها بنو إسرائيل فـي استيلائهم على أرض: المجازر الوحشية، وحرب الابادة. يساعدهم فـي ذلك ربهم يهوه، اله الحقد والرعب والدم. فقد شردت ابنة يعقوب "دينه" يرقص فـي عينيها العهر، وتفح فـي اعراقها افاعي الجنس. وارتمت فـي احضان شاب نابلسي. فاتخذ اليهود من ذلك ذريعة للفتك والابادة. وراحوا يحيكون فـي طواياهم السيئة خطة الافناء.

كيف؟

يقول كاتب العهد القديم أن "دينه، ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب، خرجت لتنظر بنات الأرض. فرآها شكيم بن حمور الحوي رئيس الأرض. فأخذها واضطجع معها.

وتعلقت نفسه بدينه ابنة يعقوب، واحب الفتاة. ولاطفها. فكلم شكيم بن حمور اباه قائلاً: خذ لي هذه الصبية زوجة. وسمع يعقوب انه نجس ينه ابنته .. فجاء حمور أبو شكيم إلى يعقوب ليتكلم معه. واتى بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا. وغضب الرجال اغتاظوا جداً لانه صنع قباحة في إسرائيل بمضاجعة ابنة يعقوب.. وتكلم حمور معهم قائلاً: شكيم ابني قد تعلقت نفسه بابنتكم. اعطوه اياها زوجة، وصاهرونا. تعطوننا بناتكم وتأخذون لكم بناتنا. وتسكنون معنا، وتكون الأرض قدامكم. اسكنوا واتجروا فيها وتملكوا بها. ثم قال شكيم لابيها ولاخوتها دعوني أجد نعمة في اعينكم. فالذي تقولون اعطي. كثروا علي جداً مهراً وعطية. فاعطي كما تقولون لي، واعطوني الفتاة زوجة. فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور اباه بمكر.. وقالوا لهما لا نستطيع ان نعطي اختنا لرجل اغلف، لانه عار علينا.. ان صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر، نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم، ونسكن معكم، ونصير شعباً واحداً.. فحسن كلامهم في عيني حمور وفي عيني شكيم، ولم يتأخر الغلام ان يفعل الأمر، لانه كان مسروراً بابنة يعقوب .. فأتى حمور وشكيم ابنه إلى باب مدينتهما، وكلما أهل مدينتهما قائلين؟ هؤلاء القوم مسالمون لنا. فليسكنوا في

الأرض ويتجروا فيها. وهوذا الأرض واسعة الطرفين امامهم.. فاختتن كل ذكر.. وحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين، ان أبني يعقوب شمعون ولاوي اخوي دينه، أخذ كل واحد سيفه وأتيا إلى المدينة بأمن، وقتلا كل ذكر. وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف.. ثم اتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة.. غنمهم وبقرهم وحميرهم، وكل ما في المدينة، وما في الحقل أخذوه. وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل اطفالهم، ونساءهم،وكل ما في البيوت.. ثم قال الله ليعقوب: قم اصعد إلى بيت ايل. واقم هناك.. ثم رحلوا. وكان خوف الله على المدن التي حولهم، فلم يسعوا وراء بني يعقوب. تكوين 34".

فكاتب العهد القديم يعتبر ان شكيم" صنع قباحة في إسرائيل بمضاجعة ابنة يعقوب.. ونجس دينه". ولكنه لا يعتبر عمل رأوبن بن يعقوب قباحة حين "ذهب واضطجع مع "بلهة" زوجة ابيه. وسمع إسرائيل. تكوين 35/22". فلم يغضب إسرائيل، ولا "يهوه" رب إسرائيل. ولا يعتبر عمل لوط قباحة حين اضطجع مع ابنتيه "تكوين 19/32". لا يعتبر عمل يهوذا بن يعقوب قباحة حين اضطجع مع كنته،وحبلت منه "تكوين 38/18" ورب إسرائيل لم يغضب حين كان بنو عالي الكاهن "يضاجعون النساء المجتمعات في باب خيمة الاجتماع "بيت يهوه". صم 2/22". وايضاً لا يعتبر الكاتب عمل امنون بن داود قباحة، حين اضطجع مع "ثامار" اخته "صم 12/1"...

يقول الكاتب أن "شكيم لاطف الفتاة". وعندما جاء ابوه جمور إلى يعقوب قائلاً "صاهرونا .. دعوني أجد نعمة في اعينكم.. اعطي كما تقولون". نحس ان في قوله صفاء الفطرة وبراءة النفس الكنعانية، المفطورة على الطيبة والتسامح. التي تفرح بالبذل للمحتاج، وتنشى بالعطف والتحنان على الغريب النازل في ديارهم.

اما يعقوب وبنوه، فقد فحت في صدورهم افاعي الحقد والانتقام. وفارت في نفوسهم رغبة بالقتل والابادة. وتحفزوا لتطبيق تعاليم يهوه. فاستغلوا طيبة الحوريين الكنعانيين، وصفاءهم، "وتكلموا بمكر".

كيف؟

الحوريون، أصحاب نابلس، فرسان، أهل شجاعة واقدام. أما اليهود. فهل في جعبهم غير المكر، وهل تنبض اقواسهم بغير الحيل والخداع؟ رسموا الخطة، وقاموا بالتنفيذ "قالوا لا نعطي اختنا لرجل اغلف .. فحسن كلامهم في عيني حمور.. ولم يتأخر الغلام ان يفعل الامر، لانه كان مسروراً بأبنة يعقوب". وهكذا اختتن كل ذكر في المدينة نزولاً عند رغبة شكيم.

وبينما كان أهل نابلس يئنون وجعا، وقد انهكتهم جراح الاختتان، انقض عليهم اليهود، يعملون السيف في رقابهم، ويمسحون بيوتهم سلباً واحراقاً.

وكانت امارات السرور تطفر من وجه يهوه. وقلبه يرقص فرحا، فقد استطاع شعبه الخاص، بالمكر والدهاء، ان يقشي على الحوريين. وقد ساعد يهوه في تنفيذ هذه المجزرة، حين نشر خوفه "على المدن التي حولهم، فلم يسعوا وراء بني يعقوب".

اما قول جمور ليعقوب "الأرض قدامكم.. اسكنوا واتجروا فيها وتملكوا". فهو صورة عن النفس الكنعانية التي حاولت ان تحتضن بني إسرائيل، وتصير معهم "شعباً واحداً".

وفي كتاب العهد القديم مجموعة من الصور، ذات دلالة عميقة على نوايا شعب كنعان الطيبة، الصافية، في احتضان هذه القبيلة الهمجية. فعندما "تغرب إبراهيم في جرار" قال له ابي مالك، ملك جرار، "هوذا ارضي قدامك. اسكن في ما حسن في عينيك. تكوين 20/15".

وعندما ماتت سارة قال إبراهيم لبني حث "انا غريب ونزيل عندكم. اعطوني ملك قبر لادفن ميتي" فقالوا له "في افضل قبورنا ادفن ميتك". غير ان إبراهيم طلب مغارة "المكفيلة" بثمن. فأجاب صاحبها "عفرون" بكرم ونبل وشهامة وسمو كنعاني "لا يا سيدي. اسمعني. الحقل وهبتك اياه، والمغارة التي فيه لك وهبتها. تكوين 23/11".

كانت مجزرة شكيم قبل الرحيل إلى مصر. اما بعد الخروج من مصر، وبعد التبدي في صحراء سيناء أربعين عاماً، فقد كانت الهجمة على أرض كنعان اشد شراسة واضرى حقداً واكثر وحشية.

موسى ويهوه

يخبرنا كاتب العهد القديم بأن يعقوب "إسرائيل" وجميع نفوس بيته، وعددهم سبعون، ارتحلوا إلى مصر، لأن الجوع كان شديداً في أرض كنعان. وكان يهوه قد بدد الخوف من نفس يعقوب بقوله "لا تخف من النزول إلى مصر، لاني اجعلك أمة عظيمة هناك. انا انزل معك إلى مصر، وانا اصعدك ايضاً. تكوين 46/3".

وفي مصر لم يؤكد يهوه، كعادته في التأكيد، وعده بتمليكهم أرض كنعان. وينتهي سفر التكوين بقول "يوسف لاخوته: انا اموت. ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف لابراهيم واسحق ويعقوب. تكوين50/24". ليطلع علينا سفر الخروج بخبر مفاده ان ملك مصر مات، فتنهد بنو إسرائيل من العبودية. وصرخوا "فسمع الله انينهم، وتذكر ميثاقه مع إبراهيم واسحق ويعقوب. خروج 2/24". فاختار الرب موسى، نبياً وقائداً، ناداه قائلاً "انا اله ابيك، اله إبراهيم واله اسحق واله يعقوب. فغطى موسى وجهه، لانه خاف ان ينظر إلى الله.. فقال الرب: اني قد رأيت مذلة شعبي.. فنزلت لانقذهم من ايدي المصرين.. واصعدهم إلى أرض جيدة وواسعة، إلى ارض تفيض لبناً وعسلاً. إلى مكان الكنعانيين والحثيين والاموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين. . فالان هلم فارسلك إلى فرعون وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر. خروج 3/6".

"تذكر ميثاقه.. ". وهل ينسى الله؟

وهل ظهر الله لموسى حتى خاف موسى من النظر إليه؟

وهل ينزل الله من السماء؟ وكيف؟ وأي مركبة فضائية تحمله إلى الأرض؟

"اصعدهم إلى مكان الكنعانيين".. واين يريد الله ان يقذف بهذه الشعوب من ارضها، ليضع مكانها شعبه الخاص؟ في البحر.. في القفار.. في القطب الشمالي.. الجنوبي.. ليت..

وهل عند اله التوراة غير قانون واحد، حكم به على هذه الشعوب؟ الحرق والابادة.

عاد موسى إلى مصر لتحرير الاسرائيليين المستعبدين. فقد عمل الفرعون على تسخيرهم في بناء المعابد واقامة القلاع وشق الطرقات. فثاروا عليه. فحاول الفرعون اذلالهم واخضاعهم حتى يذعنوا له الطاعة.

وعندما وصل موسى إلى مصر كان عقل هذه الثروة وقلبها. وحين صار لكلامه فعل السحر في نفوسهم، قادهم تحت جنح الظلام هرباً من مصر. وبقي يتبدى في صحراء سيناء مدى أربعين عاماً، مشيعاً بين اتباعه، بطريقة الفرض والاقناع، ان للسماء الهاً اقوى من الهة المصريين. وان هذا الاله سيخلص القبائل العبرية من العبودية، ويعدها بأرض فلسطين.

وبقي يضرب في التيه. يدرب رجاله على القتال، ويربي فيهم جيلاً شاباً قوياً، يستطيع ان ان يغزو بلاد كنعان، ويحتلها، أو يحتل قسماً منها. وقد أدرك موسى بثاقب بصره وبعد نظره، ان خير وسيلة ترفعه إلى النفوذ والملك وتؤدي به إلى المجد والسلطان، هي في تجميع اليهود في وحدة سياسية ـ دينية. أي وحدة سياسية يجمع شملها الدين. ووحدة دينية، هدفها تحقيق الاغراض السياسية. فقرر ان يكون جيشاً من الجماعات اليهودية، التي تبعته في خروجه من مصر. يقوده للاستيلاء على أراضي الشعوب الأخرى، وفرض السيطرة عليهم. فوجد من الضرورة ان يكون لجماعته اله، يرعاهم، ويطعمهم، ويحميهم، ويخطط لهم في المعارك، ويقودهم في الحروب. ووجد ان خير الصفات تكون لهذا الاله هي الغضب، والحقد، والاغتباط بسفك الدماء. واشعال نار الحروب، ونصر شعب أو جيش على آخر، والانشاء برائحة المحروقات، وسحق كل الشعوب المعارضة لحكمه. طبيعي بقوته الالهية.

ويكون بينه وبين اتباعه نوع من المنفعة المتبادلة. فهم يعبدونه ويقدمون له الذبائح والقرابين. وهو ينصرهم في الحروب، ويملكهم أراضي الامم.

وهذه الصفات هي، في الغالب، صفات مو سى. اعطاها لربه وقاد بها اتباعه.

فموسى حين حاول ان يجمع قومه بيهوه، كان من الطبيعي ان يجعل منه الهاً قومياً خاصاً بهم. يخضعونه لاشباع رغباتهم. ويجعلون منه قائداً يعمل على تحقيق نزواتهم. مما أدى إلى انكار الهة الامم الأخرى. فاعتبروا الامم، رجساً ونجاسة. وكذلك الهتهم. وانغلقوا على أنفسهم وعلى الههم. فنشأ عن ذلك في نفوسهم اعتقاد بأنهم، هم شعب الله المختار.

"ثم كلم الله موسى، وقال له: انا يهوه. وانا ظهرت لابراهيم واسحق ويعقوب باني الاله القادر على كل شيء. واما باسمي يهوه فلم اعرف عندهم .. وايضاً اقمت معهم عهدي ان اعطيهم أرض كنعان، أرض غربتهم التي تغربوا فيها.. وانا ايضاً قد سمعت انين بني إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون، وتذكرت عهدي. لذلك قل لبني إسرائيل: انا يهوه. وانا اخرجكم من تحت اثقال المصريين.. واتخذكم لي شعباً واكون لكم الهاً.. وادخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي ان اعطيها لابراهيم واسحق ويعقوب. اعطيكم اياها ميراثاً. انا يهوه. خروج 3/6".

انا يهوه.

ومن هو يهوه[17]؟

لا يعنينا هنا البحث في طبيعة يهوه، واخلاقه، وصفاته[18]. أو التطور الذي طرأ على فكرة الاله عند بني إسرائيل، في مراحل حياتهم المختلفة. ولا يهمنا تقصي المصدر أو المصادر التي استقى منها موسى فكرة الاله يهوه.

---

[17] ورد تفسير هذا اللفظ في هامش الفصل الثالث من سفر الخروج كما يلي: "يهوه: هو في العبرانية اسم علم الاله الحقيقي. معناه يكون. وقد ترجم في الترجمة بلفظة رب". فلفظة رب، والله، واله، ويهوه، الواردة في كتاب العهد القديم، ذات دلالة واحدة. وكلها اسماء لمسمى واحد: يهوه، اله القبيلة الإسرائيلية.

[18] قصرت بحثي في هذا الكتاب على الأرض. اما يهوه، اله التوراة. صفاته، خلقه..وشرائعه، فهي مدار بحثنا في الكتاب القادم.

ويكفي ان نعلم انه اله حرب اقليمي، قبلي. مثله مثل الهة القبائل أو الممالك الأخرى، المنتشرة في الشرق القديم، اتخذه موسى الهاً، وجعله ينطق بما يشاء. ويضع الأوامر والاحكام على لسانه لتكتسب صفة المقدس. وفرض عبادته على قومه بني إسرائيل بالارهاب المصحوب بالقتل والتذبيح. فعندما كان موسى مجتمعاً بالرب في جبل سيناء "ورأى الشعب ان موسى أبطأ في النزول من الجبل. اجتمع الشعب على هرون، وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير امامنا. خروج 32/1". "ثم اعطى الرب موسى، عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء، لوحي الشهادة. لوحي حجر مكتوبين بأصبع الله.. وقال له. اذهب انزل، لانه قد فسد شعبك الذي اصعدته من أرض مصر.. صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً، وسجدوا له.. فالان اتركني ليحمي غضبي عليهم وافنيهم. فتضرع موسى امام الرب الهه، وقال: لماذا يا رب يحمي غضبك على شعبك الذي اخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة؟ لماذا يتكلم المصريون قائلين: اخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض؟ ارجع عن حمو غضبك، واندم على الشر بشعبك. اذكر إبراهيم واسحق واسرائيل، عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك، وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء، واعطي نسلكم كل هذه الأرض،التي تكلمت عنها. فيملوكنها إلى الابد. فندم الرب على الشر الذي قال انه يفعله بشعبه. خروج 32/1".

- كان من المتعارف عليه، في تلك الازمان، ان لكل قبيلة الهاً. يسير امامها، يعمل لمساعدتها، ويسهر على رعايتها. ينصرها في الحروب ويطرد من امامها الاعداء. وعندما "التغيبة موسى نسيه قومه، ونسوا الهه.وطلبوا من هرون ان يصنع لهم الهة أخرى.
- اله موسى كتب لوحي الشاهدة باصبعه..! وخرجهم بخبث من مصر..! وندم على الشر الذي نواه..!
- ويهوه كان نطق بلسان موسى حين قال: اتركني ليحمي غضبي عليهم، فأفنيهم. فخاطبه موسى بلهجة هي اقرب إلى التأنيب منها إلى العتاب.

وحذره من مغبة الغضب الذي ظهر عليه. فقد يصبح مضغة في فم المصريين الذين يقولون متشفين: اخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال.

وعندما قال موسى ليهوه: ارجع عن حمو غضبك، واندم على الشر بشعبك. كان يرمي إلى الظهور امام قومه، بمظهر المنقذ لهم من غضب يهوه وشره. ويرمي إلى تأليف قلوبهم بيهوه، وسوقهم غنماً بعصاه، وجنوداً تحت لوائه.

وإذا كان الرب قد ندم على الشرق الذي نواه. فإن موسى واتباعه شنوا هجوماً على العصاة، الذين رفضوا يهوه، وعبدوا العجل، فيما هم نيام في خيامهم. وذبحوا منهم أربعة عشر ألف رجل غدراً. وقد تكررت هذه المذابح أكثر من مرة.

ثم ان النفس المتصلبة،القاسية. وروح العنف والحقد التي كانت لموسى. اعطاها ليهوه. فإذا به اله قاس،مرعب، حقود، منتقم، غيور، كموسى نفسه، وصاحب نفسية بدوية، تشتعل بالثأر والانتقام.

يسير امام المحاربين لانه رب الجنود، ويأمر بتدمير المدن، وتذبيح البشر، في هجمات بربرية وحشية. يبدو يهوه الموسوي ذا نفسية همجية، لا يخالجها شعور بشفقة أو حنان. وانما هي أتون نار، يضطرم بالحقد والبغض وضراوة الانتقام. تأمر بالقتل والتذبيح والتدمير.

ويهوه ابداً إلى جانب موسى. يحثه على الاغارة المدن الكنعانية العامرة بالحضارة الإنسانية، لتدميرها وافناء شعوبها.

ومنذ اتخذ بنو إسرائيل يهوه الهاً لهم، جعلوه الهاً غاضباً، ظالماً، قاسياً. يسر لرائحة المحرقات، وينتشي برائحة الدم. ومنذ بدأ يهوه حياته الرعوية لهذا الشعب، اعطاهم نموذجاً من حياته، حين قبل ذبيحة هابيل التي تثير شعواته وتروي نفسه المتعطشة للدم. ورفض تقدمة قايين المتواضعة التي لا اثر للدم فيها.

فالتوراة تحدثنا بأن ابني آدم وحواء: هابيل، وقابيل. كان الأول راعياً للغنم. وكان الثاني عاملاً في الأرض. "وحدث من بعد أيام ان قايين قدم من

اثمار الأرض قرباناً للرب. وقدم هابيل ايضاً من ابكار غنمه ومن سمانها. فنظر الرب إلى هابيل وقربانه. ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر. تكوين 4/3".

فيهوه يفضل تقدمه هابيل، لانه اله الحقد والرعب والدم. يغتبط بمشاهد الذبح، وينتشي برائحة الدم والمحرقات.

ويبدو ان موسى كان ينسى، أو قل كان يعجز احياناً عن تحقيق الوعود التي يقطعها على نفسه لقبيلته. فينسب إلى يهوه النسيان. وكان موسى وحده القادر على الاتصال بيهوه ومحادثته، وبالتالي تذكيره بوعوده. فيصعد إلى يهوه، أو ان يهوه ينزل إليه، كلما شعر موسى ان في نفسه وفي جنده قوة وعزماً على تحقيق وعد.

وقد بر يهوه، أو موسى. لا فرق. فهما اسمان لحقيقة أو شخصية واحدة. بر بقسمه. واخرجهم من مصر بعدما انزل بأهلها سلسلة من الكوارث والويلات تقشعر لها الابدان. وفعل من العجائب ما أهله لأن "يتمجد بفرعون وجيشه. ويعرف المصريون اني انا يهوه. خروج 14/4".

وقبل ان يدخلهم إلى الأرض التي رفع يده مقسماً، ان يعطيها لابراهيم واسحق ويعقوب. قال لموسى" ان ملاكي يسير امامك، ويجيء بك إلى الاموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين، فأبيدهم. لا تسجد لالهتهم، ولا تعمل كأعمالهم.. أرسل هيبتي امامك، وازعج جميع الشعوب الذين تأتي اليهم. واعطيك جميع اعدائك مدبرين. وأرسل امامك الزنابير.. لا اطرد الشعوب من امامك في سنة واحدة، لئلا تصير الأرض خربة.فتكثر علي وحوش البرية. قليلاً قليلاً اطردهم من امامك إلى ان تثمر،وتملك الأرض، واجعل نخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر. فأني ادفع إلى ايديكم سكان الأرض.

فتطردهم من امامك. لا تقطع معهم عهداً. خروج 23/23".

ومتى كانت هذه الشعوب اعداء لموسى، أو لبني إسرائيل؟ فليس هناك ما يشير إلى أي موقف عدائي بين القبيلة الإسرائيلية وبين الشعوب الكنعانية.

الا يعني هذا ان اليهود كانوا ينوون الاستيلاء على الأرض. فجعلوا من شعوبها اعداء لهم. ونسبوا إلى الههم يهوه فرضه عليهم طريقة التعامل مع أهل كنعان:لا عهد، لا تعامل، لا تعايش. بل استئصال أرومتهم واستملاك اراضيهم.

وفي صحراء سيناء "كلم يهوه موسى قائلاً: أرسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان التي انا معطيها لبني إسرائيل. عدد 13/1".

رب سائل: لمَ التجسس، ما دام يهوه قد وعدهم، وقطع معهم عهداً بتمليكهم الأرض؟ اليس هو الاله القادر على كل شيء؟ الا يستطيع ابادة الشعوب أصحاب الأرض بلمحة بصر. ويعطي الأرض إلى شعبه المختار؟

وعلى ابواب الأرض، احس موسى بقوة الجيوش الكنعانية، وبحضارة أهل كنعان، بواسطة جواسيسه، أو بالمناوشات البسيطة مع أهل البلاد آن يغير على بعض الثغور. فبدأ يعاني من مرارة الحقد، تتلمظها شفاه نفسه. وبسيف الكراهية الكليل، يسلطه على رقاب الشعوب الكنعانية.

فيضع على لسان الهه "يهوه" ما يناسب الحالة النفسية التي يعانيها. والامل الاهوج الذي يترنح في اعماق ذاته.

وراح يهوه بدوره، يعد مختاريه باستعباد الشعوب. وكأنه تعبير عن ردة فعل معاكسة لشعورهم بالاضطهاد والتنكيل الذي عانوه. والعبودية التي ذاقوا مرارتها، في بابل وفي مصر. ويغرس في نفوسهم بذور الحقد على الكنعانيين. لأن موسى ارتد خائباً عن ارضهم. ولانهم أصحاب مجد وحضارة.

وبعد خروجهم من مصر تسنم يهوه مركز القيادة. فقد "كلم الرب موسى في برية سيناء في خيمة الاجتماع، في أول الشهر الثاني، في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر، قائلاً: احصوا كل جماعة بني إسرائيل.. من ابن عشرين سنة فصاعدا. كل خارج للحرب عدد 1/1". وذلك استعداداً لمهاجمة الثغور الكنعانية، والاستيلاء على الأراضي التي وعدهم بها. ومن ثم يصار إلى توزيعها على عشائر اليهود الغازية.

وفـي قيـادتـه لبنـي إسـرائيـل، وعـدهـم بـأن يطـرد الامـم مـن امـامـهـم. قـال لموسى "يطرد من امامك شعوباً أكبر واعظم منك، ويأتي بك ويعطيك ارضهم. تثنية 4/38".

ووعد ان يأتي بهم "إلى مدن عظيمة جيدة لم يبنوها، وبيوت مملوءة كل خير لم يملأوها. وابار محفورة لم يحفروها. وكروم وزيتون لم يغرسوها. تثنية 6/10". ووعدهم ايضاً بأن يكون "هو العابر امامهم ناراً آكلة. يبيد الشعوب، ويذلها. تثنية 9/3".

فيهوه ما فتئ، بعد خروجهم من مصر، يمنيهم بالمعجزات يصنعها امامهم. ويفرد في وجوههم الوعود الوافرة، بالاغراء والترغيب. كما يسلط على رقابهم سيف الوعيد والتهديد،إذا هم ضعفوا عن تحقيق "المشيئة الالهية" في الاستيلاء على أرض كنعان، وافناء اهلها. ومن ثم الاستيطان فيها.

التمرد

انصاع موسى لرغبة يهوه "وارسل جماعة ليتجسسوا أرض كنعان. وقال لهم: انظروا إلى الأرض، والشعب الساكن فيها، اقوي هو أم ضعيف؟ قيل أم كثير؟. وما هي المدن التي هو ساكن فيها؟ امخيمات أم حصون؟.عدد 13/17".

"فصعد الرجال، وتجسسوا الأرض.. ثم رجعوا بعد أربعين يوماً .. وقالوا لموسى: ان الشعب الساكن في الأرض معتز، والمدن حصينة، عظيمة جداً.. وقالوا: لا نقدر ان نصعد إلى الشعب، لانهم اشد منا.. فكنا في اعيننا الجراد، وهكذا كنا في أعينهم. عدد 13/21".

"فاشاعوا مذمة الأرض التي تجسسوها، في بني إسرائيل قائلين: الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها هي أرض تأكل سكانها. عدد 13/32". فركب الخوف قلوب بني إسرائيل، واعترافهم الوجل. وتذكروا ما قاسوه من العذاب والجوع. فكفروا بامنيات يهوه المعسولة ووعوده البراقة. وراحوا يتغنون بتمنيات العودة إلى مصر "ورفعت كل الجماعة صوتها، وصرخت. وبكى الشعب تلك الليلة. وتذمر على موسى وعلى هرون جميع بني إسرائيل. وقالوا ليتنا متنا في أرض مصر.. ولماذا اتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف.

اليس خير لنا ان نرجع إلى مصر. عدد 14/1".

وعندما استبد بهم الطوى، وانهكتهم سياط الحرمان. فكروا بخلع نير موسى عن رقابهم. فائتمروا وقال بعضهم لبعض: نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر. عدد 14/4".

وامام هذه التحديات لموسى ورب موسى. غضب يهوه الموسوي، واغتاظ من بني إسرائيل المتمردين على موسى، وسخط عليهم لندمهم على الخروج من مصر. واعتراه غضب شديد، لعدم تصديقهم الآيات والمعجزات التي صنعها امامهم. وكاد ان يفتك بهم، كما يبدو في قوله لموسى "حتى متى يهينني هذا الشعب؟ وحتى متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم. اني اضربهم بالوباء وابيدهم. عدد 14/11". لولا ان تدخل موسى محاولاً تهدئة نار الغيظ التي اشتعلت في صدر يهوه، وتسكين اوار الغضب المتقد في نفسه. مذكراً الرب بأنه "طويل الروح، كثير الاحسان" معاتباً اياه في شيء من اللوم الداني من التأنيب، كما يبدو في قوله له"فإن قتلت هذا الشعب، يتحدث الشعوب الذين سمعوا بخبرك قائلين: لأن الرب لم يقدر ان يدخل هذا الشعب إلى الأرض التي حلف لهم، قتلهم في القفر.. فلان، اصفح عن ذنب هذا الشعب. عدد 14/15".

وكأن يهوه قد شعر بخطأه، وندم على ما بدر منه، من سخط وغضب. فقال لموسى "قد صفحت حسب قولك. ولكن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتها في مصر، وفي البرية، وجربوني الآن عشرات المرات، ولم يسمعوا لقولي. لن يروا الأرض التي حلفت لابائهم. وجميع الذين اهانوني لا يرونها. عدد 14/20".

"وكلم الرب موسى وهارون قائلاً: حتى متى اغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علي.. قل لهم.. في هذا القفر تسقط جثثكم.. وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة.. اما الرجال الذين ارسلهم موسى ليتجسسوا الأرض، واشاعوا المذمة الرديئة على الأرض.. فماتوا بالوباء امام الرب. عدد 14/26".

ترى لماذا غضب يهوه على مختاريه، وحكم عليهم بالتيهان في صحراء سيناء أربعين عاماً؟

الآن الجماعة الذين ارسلهم موسى لتجسس الأرض قالوا: ان الأرض تأكل سكانها. واشعوا مذمة الأرض. فثبطوا من عزيمة موسى وعزيمة جنده؟ أم لانهم تذمروا على يهوه ـ موسى. وهانت ثقتهم به؟

أم ان موسى قضى عليهم بالتبدي في صحراء سيناء أربعين عاماً، لانتظار جيل شاب وفتي يقوى على القتال ويصبر على الرب؟

أم...

"ثم بكروا صباحاً، وصعدوا إلى رأس الجبل قائلين: هوذا نحن نصعد إلى الموضع الذي قال الرب عنه. فاننا قد اخطأنا. فقال موسى.. لا تصعدوا لأن الرب ليس في وسطكم، لئلا تنهزموا امام اعدائكم.. انكم قد ارتددتم عن الرب. فالرب لا يكون معكم. . لكنهم صعدوا. واما تابوت عهد الرب، وموسى، فلم يبرحا من وسط المحلة. فنزل العمالقة والكنعانيون.. وضربوهم وكسروهم. عدد 14/40".

ولما تأخر موسى بادخال جماعته إلى الأرض التي وعدهم بها يهوه، تمردوا عليه، وتحسروا على خروجهم من مصر. وانبرى منهم رجلان قالا لموسى "اقليل انك اصعدتنا من أرض تفيض لبناً وعسلاً، لتميتنا في البرية.. ولم تأتِ إلى أرض تفيض لبناً وعسلا. ولا اعطينا نصيب حقول وكروم.. فاغتاظ موسى جداً وقال للرب: لا تلتفت إلى تقدمتهما.. ثم كلم الرب موسى وهارون قائلاً: افترزا من بين هذه الجماعة فأني افنيهم في لحظة.. ثم انشقت الأرض.. وابتلعتهم ..وجرمت نار من عند الرب وأكلت المئتين والخمسين رجلاً.. فتذمر كل جماعة بني إسرائيل في الغد على موسى وهارون قائلين: آنتما قد قتلتما شعب الرب.. فكلم الرب موسى قائلاً: اطلعا من وسط هذه الجماعة فاني افنيهم في لحظة. فخرّا على وجهيهما. ثم قال موسى لهارون: خذ المجمرة، واجعل فيها ناراً على المذبح، وضع بخوراً. واذهب مسرعاً إلى الجماعة، وكفّر عنهم، لأن السخط قد خرج من قبل الرب. قد

ابتدأ الوباء. فأخذ هارون، كما قال موسى وركض إلى وسط الجماعة. وإذا الوباء قد ابتدأ في الشعب. فوضع البخور وكفّر عن الشعب. ووقف بين الموتى والاحياء. فامتنع الوباء. فكان الذين ماتوا بالوباء أربعة عشر الفاً وسبع مئة. عدد 16/12".

وهل كانت أرض مصر تفيض لبناً وعسلاً، كما قالوا لموسى؟ إذن. لماذا خرجوا منها؟

وكيف يدعي يهوه بأنه "سمع انين بني إسرائيل، الذين يستعبدهم المصريون.. فنزل ليخرجهم من تحت اثقالهم". ما داموا يتحسرونه على خروجهم من مصر، أرض العسل واللبن. ويتمنون العودة إليها والموت فيها. وبلغ بهم التحسر والندم حداً جعلهم يأتمرون لخلع نير موسى عن اعناقهم، وترئيس آخر يعود بهم إلى مصر.

ولماذا تذمروا وتمردوا على موسى، واله موسى؟ الأنهما لم يأتيا بهم إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً؟ أم لأن الجواسيس اشاعوا مذمة الأرض. فاعترى الوجل نفوسهم وقصم الخوف ظهورهم؟.

ولماذا لم يصدقوا الآيات التي عملها الرب في وسطهم؟ كما قال عن نفسه. وضاق ذرعاً بهم وباهانتهم له، فقرر ان يفنيهم في لحظة، ولو لم يسرع هارون بالمبخرة، ويقف بين الموتى وبين الاحياء لكان الوباء قضى عليهم.

لماذا؟

على ابواب الأرض

وعندما وصلوا إلى تخوم أرض كنعان "أرسل موسى رسلاً من قادش إلى ملك ادوم قائلاً: دعنا نمر في ارضك. لا نمر في حقل ولا في كرم، ولا نشرب ماء بئر.. لا نميل يميناً ولا يساراً، حتى نتجاوز تخومك. فقال له ادوم: لا تمر

بي لئلا اخرج للقائك بالسيف.. وأبى ادوم ان يسمح لاسرائيل بالمرور في تخومه. فتحول إسرائيل عنه.عدد 20/14".

"ولما سمع الكنعاني ملك عراد، الساكن في الجنوب، ان إسرائيل جاء في طريق "اتلريم". حارب إسرائيل، وسبى منهم سبياً. عدد 21/1".

وعادوا إلى الشكوى والتذمر "وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين: لماذا اصعدتمانا من مصر لنموت في البرية. لانه لا خبز ولا ماء". فكان من الطبيعي ان يسخط عليهم يهوه، لانهم يخالفون مشيئته، ويتمردون عليه وعلى صفيه موسى. "فارسل الرب على الشعب الحيات المحرقة، فلدغت الشعب. فمات قوم كثيرون من إسرائيل".

وكان من الطبيعي ان يعود الشعب عن تمرده وعصيانه. "فأتوا إلى موسى وقالوا: قد أخطأنا إذ تكلمنا على الرب وعليك. فصل إلى الرب ليدفع عنا الحيات". ومن البديهي ان يستجيب لهم موسى "فصلى لاجل الشعب". ومن البديهي ايضاً ان يغفر لهم رب موسى، ويستجيب لطلبهم. "فقال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة، وضعها على رايه. فكل من لدغ، ونظر إليها ليحيا. فصنع موسى حية من نحاس، ووضعها على الراية. فكان متى لدغت حية انساناً. ونظر إلى حية النحاس، يحيا. عدد 21/5".

رأينا أن أول مجزرة ارتكبوها في أرض كنعان قبل الرحيل إلى مصر، كان مجزرة شكيم. اما بعد الخروج من مصر، وبعد التبدي في صحراء سيناء أربعين عاماً، فقد كانت الهجمة على أرض كنعان اشد شرسة واضرى حقداً واكثر وحشية.

وعلى أبواب الأرض بدأوا ينفذون حرب التحريم والابادة والاناء. وكأنهم كانوا يعبرون، بالحروب الوحشية، عن ضراوة الحقد الذي يغتلي في صدورهم على الشعوب الكنعانية، التي قطعت شوطاً بعيداً في العمران، والحضارة الإنسانية. بينما عانوا من التسخير في أرض مصر مدى اربعمائة سنة. وعاشوا جيلاً يتبدون في صحراء سيناء. سلاحهم الحقد والانتقام، وهمهم

تدمير حضارة الامم. لأن الشعور بالضعف، ومعاناة العبودية، والتخلف. ترك في نفوسهم عقدة لا يحلها غير التذبيح والتحريم وشرب دماء الامم.

وكان أول نذر وحشي لهم حين حاربهم الكنعاني ملك عراد. "فنذر إسرائيل نذراً للرب، وقال: لئن دفعت هؤلاء القوم إلى يدي احرم مدنهم. عدد 21/2". وكان من الطبيعي ان يستجيب يهوه، اله الحقد والرعب والدم، لهذا النذر. "ودفع الكنعانيين. فحرموهم ومدنهم. عدد 21/3".

ثم أرسل إسرائيل إلى سيحون ملك الاموريين قائلاً: دعني أمر في ارضك. لا نميل إلى حقل ولا إلى كرم، ولا نشرب ماء بئر.. فلم يسمح سيحون لاسرائيل بالمرور في تخومه.. بل حارب إسرائيل. فضربه إسرائيل بحد السيف، وملك ارضه. عدد 21/21".

قد تسأل: لماذا لم يسمح لهم هؤلاء الملوك بالمرور في اراضيهم؟

الأنهم "شعب لا ينام حتى يأكل فريسة، ويشرب دم قتلى. عدد 23/24".

أم لانه، بتعبير بالاق بن صفور ملك موءاب، "يلحس كل ما حولنا، كما يلحس الثور خضرة الحقل. عدد 22/4".

أم لأن ملوك كنعان شعروا بالحقد يغتلي في نفوس بني إسرائيل، وبشهوة الانتقام تضطرم في صدورهم؟ وادركوا ان هذه القبيلة الهمجية مقبلة على حرب تحريم وابادة؟

أم..

"ثم تحولوا، وصعدوا في طريق باشان. فخرج عوج ملك باشان للقائهم.. فقال الرب لموس: لا تخف منه، لاني قد دفعته إلى يديك، مع جميع قومه وارضه. وتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الاموريين.. فضربوه وبنيه وجميع قومه، حتى لم يبق لهم شارد. وملكوا ارضه. عدد 21/23".

"واقام إسرائيل في شطيم. وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موءاب. فدعون الشعب إلى ذبائح الهتهن. فاكل الشعب، وسجدوا لآلهتهن.. وجاء رجل من بني إسرائيل، وقدم إلى اخوته المديانية امام عيني موسى واعين كل جماعة بني إسرائيل، وهم باكون لدب باب خيمة الاجتماع. فلما رأى ذلك فينحاس الكاهن

أخذ رمحاً.. وطعن الرجل والمرأة. فامتنع الوبا عن بني إسرائيل. وكان الذين ماتوا بالوباء أربعة وعشرين ألفاً. عدد 25/1".

فالحادثة، كما ترى، بسيطة: تعلق إسرائيلي ببغي من أهل مديان. استطاعت ان تغويه مع بعض الشبان الاسرائيليين، حتى جعلتهم يسجدون لبعلها .ومع ان كاهناً وثب على الشاب والبغي وقتلهما. لكن قتلهما لم يشف غليل يهوه. فأمر موسى بالانتقام. وكان الانتقام رهيباً. فقد "كلم الرب موسى قائلاً: انتقم نقمة لبني إسرائيل من المديانيين.. فتجندوا على مديان، كما أمر يهوه، وقتلوا كل ذكر، وملوك مديان قتلوهم.. وسبى بنوا إسرائيل نساء مديان واطفالهم. ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل املاكهم، واحرقوا جميع مدنهم. عدد 31/1".

وكأن كل هذا القتل والتحريم والسبي والنهب لم يطفيء لهيب الحقد في صدر موسى. بل "سخط على وكلاء الجيش.. لانهم ابقوا كل انثى حية .. وقال لهم: الآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال. وكل امرأة عرفت رجلاً، اقتلوها. عدد 31/14".

فهذه الحادثة، تعلق إسرائيلي بمديانية، جرت الابادة والتدمير على كل مديان. اما بغي أريحا فقد أمر يهوه بابقائها حية، وافناء جميع أهل اريحا.

ومما يجدر ذكره ان موسى لجأ إلى مديان حين هرب من مصر. وتزوج من بنت كاهنها. وهذا الكاهن قدم نصائح جليلة لموسى. ووفد إليه، بعد خروجه من مصر وتبديه في صحراء سيناء، مرحباً به وببني إسرائيل، مظهراً استعداده لخدمتهم. وليس في الاسفار ما يشير إلى أي موقف عدائي بين موسى وبين أهل مديان. فهل كانت المرأة المديانية هي السبب في الغزو والفتك والتدمير والسلب والسبي، بقسوة وحشية وعنف بربري؟ أم هي ضراوة الحقد والانتقام في صدر موسى. تمثلت في هجمات وحشية على شعوب كنعان.

ثم "كلم الرب موسى.. قائلاً: انكم عابرون الاردن إلى أرض كنعان. فتطردون كل سكان الأرض. لاني قد اعطيتكم الأرض لكي تملكوها. وان لم

تطردوا سكان الأرض من امامكم، يكون الذين تستبقون منهم اشواكاً في اعينكم ومناخس في جوانبكم. عدد 33/50".

فقديماً كانت شريعة يهوه تقضي بتنظيف الأرض من سكانها. وحديثاً بقيت الشريعة ذاتها، تفعل في نفوس اليهود، ما كانت تفعله في القرن العاشر قبل الميلاد.

قال موشيه منوحن "طبعوا في قلوبنا الفتية، بالترديد المتواصل، ان أرض الوطن يجب ان تصبح لنا مطهرة من الأجانب"[19].

وحين شرد اليهود قرابة مليون عربي من موطنهم، فلسطين عام 1948، هتف بن غوريون "لقد نظفت البلاد بشكل رائع، ومهدت لاسرائيل، باعجوبة، مهمتها الشاقة"[20].

وفي سفر التثنية يلخص الكاتب احداث بني إسرائيل، التي فصلها في السفر السابق "العدد". وكأنه يهدف، من خلال عرض الجوانب، إلى لوم بني إسرائيل، وتأنيبهم، لتخاذلهم وتقاعسهم عن تنفيذ ما أمر به يهوه. محاولاً ان يبث في صدورهم شيئاً من انفاس العزيمة والجرأة. مرغباً اياهم في اقتحام أرض كنعان.

يقول الكاتب، في مستهل السفر، انه في السنة الاربعين لخروج بني إسرائيل في مصر "ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلاً: يهوه الهنا كلمنا في حوريب قائلاً: كفاكم قعود في هذا الجبل. تحولوا وارتحلوا، وادخلوا جبل الامورييين، وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر. أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر الكبير، نهر الفرات. انظر قد جعلت الأرض امامكم. ادخلوا، تملكوا الأرض التي اقسم الرب لابائكم إبراهيم واسحق ويعقوب ان يعطيها لهم ونسلهم من بعدهم. تثنية 1/5".

[19] Moshe Menuhim: "The Decadencw Of judaism In our Time". The institute For Palestine Studies, Beirut, 1969. P. 50.

وموشيه منوحن علم من إعلام اليهود في أمريكا. عندما ظهر كتابه هذا استولى اليهود على جميع نسخه، ووجهوا إلى المؤلف والناشر كتب التهديد. حتى احجما عن اعادة طبعه.ومنوخن هذا تخرج وليفي اشكول في كلية هرتسيليا في يافا ـ تل ابيب.

[20] اسرار المؤامرة الصهونية ـ عبد الله النجار ـ ص 59.

ويتابع موسى شارحاً شريعة يهوه، القاضية بتمليك اتباعه بني إسرائيل، أرض الكنعاني ولبنان. فيقول "ثم ارتحلنا من حوريب، وسلكنا كل ذلك القفر العظيم المخوف، الذي رأيتم في طريق جبل الاموريين، كما امرنا الرب الهنا. وجئنا إلى قادش. فقلت لكم قد جئتم إلى جبل الاموريين الذي اعطانا الرب الهنا. انظر قد جعل الرب الهك الأرض امامك. اصعد، تملك، كما كلمك الرب اله آبائك. لا تخف ولا ترتعب. فتقدمتم الي جميعكم وقلتم دعنا نرسل رجالاً قدامنا ليتجسسوا[21] لنا الأرض، ويردوا لنا خبراً عن الطريق التي نصعد فيها، والمدن التي نأتي إليها.. فأخذت منكم اثني عشر رجلاً.. فصعدوا إلى الجبل وتجسوه.. لكنكم لم تشاءوا ان تصعدوا. وعصيتم قول يهوه الهكم. وتمرمرتم في خيامكم. وقلتم: الرب بسبب بغضته لنا قد اخرجنا من أرض مصر، ليدفعنا إلى يادي الاموريين لكي يهلكنا. إلى أين نحن صاعدون؟ قد اذاب اخوتنا قلوبنا، قائلين: شعب اعظم واطول منا. مدن عظيمة محصنة إلى السماء. فقلت لكم لا حسب كل ما فعل معكم في مصر امام اعينكم، وفي البرية حيث رأيت كيف حملك الرب الهك كما يحمل الإنسان ابنه، في كل الطريق التي سلكتموها، حتى جئتم إلى هذا المكان. ولكن في هذا الأمر لستم واثقين بالرب الهكم السائر امامكم في الطريق، ليلتمس لكم مكاناً لنزولكم، في نار ليلاً ليريكم الطريق التي تسيرون فيها، وفي سحاب نهاراً. وسمع الرب صوت كلامكم، فسخط، واقسم قائلاً: لن يرى إنسان من هؤلاء الناس، من هذا الجيل الشرير، الأرض الجيدة التي اقسمت ان اعطيها لابائكم.. وعلى ايضاَ غضب الرب بسببكم قائلاً: وأنت ايضاً لا تدخل إلى هناك. يشوع بن نون الواقف امامك هو يدخل إلى هناك. شدده لانه هو يقسمها لاسرائيل. واما اطفالكم.. فهم يدخلون إلى هناك، ولهم اعطيها، وعم يملكونها.

فأجبتم وقلتم لي قد اخطأنا إلى الرب. نحن نصعد ونحارب.. فقال الرب لي: قل لهم لا تصعدوا ولا تحاربوا، لاني لست في وسطكم، لئلا تنكسروا امام

---

21 نسي كاتب التوراة ما ذكره سابقاً في الفصل الثالث عشر من سفر العدد، من ان يهوه هو الذي طلب إلى موسى ارسال الجواسيس إلى أرض كنعان، في قوله "ثم كلم الرب موسى قائلاً: ارسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان.." بينما يذكر الكاتب هنا ان رجال موسى هم الذين طلبوا إليه ارسال الجواسيس.

اعدائكم. فلم تسمعوا.. وصعدتم إلى الجبل، فخرج الاموريون.. للقائكم، وطردوكم كما يفعل النحل، وكسروكم. تثنية 1.1".

وفي الفصل الثاني يتابع موسى حديثه، معيداً على مسامعهم ما فعلوه، مذكراً اياهم بما فعله يهوه لاجلهم. يقول "ثم تحولنا وارتحلنا إلى البرية على طريق بحر سوف. كما كلمني الرب. ودرنا بجبل سعير اياماً كثيرة. ثم كلمني الرب قائلاً: كفاكم دوران بهذا الجبل. تحولوا نحو الشمال.. ثم تحولنا ومررنا في طرق برية موءاب. فقال لي الرب.. الآن قوموا واعتبروا وادي زارد.. والايام التي سرنا فيها من قادش حتى عبرنا وادي زارد كانت ثماني وثلاثين سنة. حتى فني كل الجيل.. كما اقسم يهوه لهم. ويد الرب كانت ايضاً عليهم لابادتهم.. ثم كلمني الرب قائلاً: قوموا ارتحلوا، واعبروا وادي ارنون، فقد دفعت إلى يدك ملك حشبون الاموري وارضه. ابتدئ تمل، وأثر عليه حرباً. في هذا اليوم ابتدئ اجعل خشيتك وخوفك امام وجوه الشعب تحت كل السماء. الذين يسمعون خبرك يرتعدون، ويجزعون امامك".

وهكذا "دفع يهوه الهنا امامنا ملك حشبون. فضربناه وبنيه وجميع قومه. اخذنا كل مدنه في ذلك الوقت ، وحرمنا من كل مدينة الرجال والنساء والاطفال. لم نبق شارداً. تثنيه2".

وفي الفصل الثالث يتابع موسى سرد أخبار حروبهم وايامهم على أبواب الأرض. فيقول "ثم تحولنا وصعدنا في طريق باشان.. فدفع يهوه الهنا إلى ايدينا عوج ملك باشان، وجميع قومه. فضربناه حتى لم يبق له شارد. واخذنا كل مدنه.. فحرمناها.. الرجال والنساء والاطفال.

واخذنا في ذلك الوقت من يد ملكي الاموريين الأرض التي في عبر الاردن.. وامرت يشوع في ذلك الوقت قائلاً: عيناك ابصرتا كل ما فعل الرب الهكم بهذين الملكين. هكذا يفعل الرب بجميع الممالك التي انت عابر إليها. لا تخافوا منهم لأن الرب الهكم هو المحارب عنكم.

وتضرعت إلى الرب في ذلك الوقت قائلاً: يا سيد يهوه. انت قد ابتدأت تري عبدك عظمتك ويدك الشديدة. فانه أي اله في السماء وعلى الأرض

يعمل كأعمالك وكجبروتك. دعني أعبر وأرى الأرض الجيدة التي في عبر الاردن. هذا الجبل الجيد، ولبنان. لكن الرب غضب علي بسببكم، ولم يسمع لي. بل قال لي الرب كفاك. لا تعد تكلمني ايضاً في هذا الأمر. اصعد إلى رأس الفسجة وارفع عينيك إلى الغرب والشمال والجنوب والشرق، وانظر بعينك. لكن لا تعبر هذا الاردن. واما يشوع فأوصه وشدده وشجعه لانه هو يعبر امام هذا الشعب. وهو يقسم لهم الأرض التي تراها. تثنية3".

وصايا يهوه

وعندما شعر موسى بعجزه، واحس بدبيب الموت يسري في عروقه. راح يشجع قبيلته على غزو الأرض، ويبث في نفوس قومه الشعور بالشجاعة، والصبر، واحتمال المكاره. ويطلب اليهم العمل بالفرائض والاحكام التي لا توحي بغير الدخول إلى الأرض، وابادة سكانها، ومن ثم احتلالها.

فكاتب العهد القديم يبدأ الفصل الرابع بقوله "فالان يا إسرائيل اسمعوا الفرائض والاحكام التي انا اعلمكم، لتعملوها، لكي تحيوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي الرب اله ابائكم يعطيم. تثنية4".

وبعد ان يعدد الكاتب بعض بنود هذه الشريعة[22]. يقول موسى "وهذه هي الوصايا والفرائض والاحكام التي أمر الرب الهكم ان اعلمكم، لتعملوها في الأرض التي أنتم عابرون إليها لتمتلكوها..الأرض التي حلف لابائك إبراهيم واسحق ويعقوب، ان يعطيك. إلى مدن عظيمة جيدة لم تبنها. وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها. وابار محفورة لم تحفرها. وكروم وزيتون لم تغرسها.. فأحفظوا وصايا يهوه الهكم..لكي تدخل وتمتلك الأرض الجيدة التي حلف الرب لابائك ان ينفي جميع اعدائك من امامك. تثنية6".

وعلى ابواب الأرض، يؤكد شريعته القاضية بابادة الشعوب التي يظفرون بها، وافناء العشائر التي ينالونها. ويفرض عليهم الا يعاهدوا أحداً. اما وصاياه واحكامه، فكانت بلسطان موسى في قوله "متى اتى بك الرب الهك إلى الأرض التي انت داخل إليها لتمتلكها. وطرد شعوباً كثيرة من امامك الحثيين

[22] لنا عودة إلى شريعة موسى في كتاب آخر.

والجرجاشيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين. سبع شعوب أكثر واعظم منك. ودفعهم الرب الهك امامك، وضربتهم. فأنك تحرمهم. لا تقطع لهم عهداً، ولا شفق عليهم. تثنية7".

ويتابع موسى مخاطباً قومه، في محاولة لتبديد المخاوف من نفوسهم، يذكرهم بما فعله يهوه لاجلهم من اعاجيب ومعجزات، وبما سيفعله حين يدخلون الأرض. عاقداً في صدورهم الايمان بأن يهوه ابدا معهم. يرافقهم في ترحالهم. يحارب معهم، ويطرد الاعداء من امامهم. قال موسى "تأكل كل الشعوب الذين الرب الهك يدفع اليك. لا تشفق عيناك عليهم.. وان قلت في قلبك: هؤلاء الشعوب أكثر مني. كيف اقدر ان اطردهم؟ فلا تخف منهم. اذكر ما فعله يهوه اليهك بفرعون وبجميع المصريين.. هكذا يفعل يهوه الهك بجميع الشعوب التي أنت خائف من وجهها. يرسل الزنابير عليهم حتى يفنى الباقون. لا ترهب وجوههم، لأن يهوه الهك في وسطك. اله عظيم ومخوف.. يطرد هؤلاء الشعوب من امامك قليلاً قليلاً. لا تستطيع ان تفنيهم سريعاً لئلاً تكثر عليك وحوش البرية. يدفعهم الرب الهك امامك، ويوقع بهم اضطراباً عظيماً حتى يفنوا. ويدفع ملوكهم إلى يدك، فتمحو اسمهم من تحت السماء. لا يقف إنسان في وجهك حتى تفنيهم. تثنية 7/17".

ثم يرغبهم موسى بالارض وخيراتها. ويذكرهم بأكلهم الخبز بالذل والمسكنة. متخذاً من هذا التذكير بماضيهم القاتم باعثاً، يشحن صدورهم برغبات ضارية للاستيلاء على أرض العسل واللبن. فيقول "احفظ وصايا يهوه الهك.. لانه آت بك إلى أرض جيدة. أرض انهار من عيون وغمار تنبع في البقاع والجبال. أرض حنطة وشعير وكروم وتين ورمان. أرض زيتون وعسل. أرض ليس بالمسكنة تأكل فيها خبزاً، ولا يعوزك فيها شيء. تثنية 8/6".

ثم يعود موسى إلى النغمة ذاتها، مؤكداً لهم بأن الرب يسير امامهم يحار عنهم. ويطرد الشعوب من امام وجههم. محالاً بهذا التأكيد ان يشد من ازرهم، ويقوي من عزائمهم.. يقول: "أنت اليوم عابر الاردن لكي تدخل وتمتلك شعوباً أكبر واعظم منك. ومدناً عظيمة ومحصنة إلى السماء.. فاعلم اليوم ان الرب

الهك هو العابر امامك ناراً آكلة. هو يبيدهم ويذلهم امامك، فتطردهم وتهلكهم سريعاً، كما كلمك الرب تثنية 9/1".

وقد كانت رغبة تتمثل في تجمعهم وزحفهم على إحدى المدن، لتخريبها وابسال كل نسمة حياة فيها. هي رغبة الملك أو القائد. لكن الكاتب يجعلها رغبة يهوه. فالرغبات البدائية التي كانت تغتلي في صدورهم حولوها إلى نبوءات. ادعوا بها معرفة الغيب، ومشاركة الخالق في سبر اغوار الوجود، وسخروا الخالق الذي جعلوه طوع ارادتهم ورهن اشارتهم، إلى تحقيق هذه الرغبات.

فرغبتهم في قهر الامم القوية، وهم الضعفاء المستضعفون. والتغلب على الامم الحضارية، وهم البدائيون المتخلفون. واستملاك أرض، وهم البداة المستعبدون في مصر، المشردون في صحراء سيناء. جعلتهم يسخرون الههم "يهوه" لنصرتهم وشد ازرهم في الحرب.. وجعلتهم ينسبون إلى الههم يهوه وعده المشهور بتمليكهم أرض كنعان. هذا الوعد الذي يتكرر بصور مختلفة، وعلى افواه أنبياء عديدين، لتاكيده وحفره في صدورهم، لا يزول ما دامت في صدورهم انفاس حياة.

يقول موسى "ويهوه يطرد الشعوب من امامكم. فترثون شعوباً اكبر واعظم منكم. كل مكان تدوسه بطون اقدامكم يكون لكم. من البرية ولبنان. من نهر الفرات إلى البحر الغربي، يكون تخمكم. لا يقف إنسان في وجهك. يهوه الهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الأرض التي تدوسونها. تثنية 11/23".

وتكاد تنحصر وصايا يهوه واحكامه في تدمير مظاهر الحضارة وابادة الشعوب. فهو يقول لهم "حين تقرب من مدينة لكي تحاربها. استدعها إلى الصلح. فإن اجابتك إلى الصلح، وفتحت لك. فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير، ويستعبد لك. وان لم تسالمك. بل عملت معك حرباً فحاصرها. وإذا دفعها الرب الهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. واما النساء والاطفال والبهائم، وكل ما في المدينة. كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك. وتأكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب الهك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك

جداً. التي ليست من مدن هؤلاء الامم هنا. واما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك يهوه الهك نصيباً، فلا تستبق منها نسمة ما. بل تحرمها تحريماً: الحثيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين. كما امرك الرب الهك. تثنية 20/10".

وهو يهددهم في حال تقاعسهم عن تنفيذ احكامه، بأن "يذهب بك الرب، وبملكك الذي تقيمه عليك إلى أمة لم تعرفها انت ولا آباؤك.. وتكون دهشاً ومثلاً وهزأة في جميع الشعوب الذين يسوقك يهوه اليهم... بنين وبنات تلد. ولا يكونون لك. لانهم إلى السبي يذهبون. تثنية 28/36".

يظهر ان الكاتب سطر هذا السفر بعد السبي. فملكهم الذي اقاموه في بعض مرتفعات فلسطين، لم يعمر طويلاً. فقد سبتهم الجيوش المصرية، والاشورية، والبابلية. ومن ثم شتتتهم في جميع الشعوب.

واعتد جازماً، ان الكاتب دون اسفار العهد القديم في السبي البابلي. يتضح ذلك من قوله "يجلب الرب عليك أمة من بعيد. من اقصاء الأرض، كما يطير النسر. أمة لا تفهم لسانها.. تحاصرك في جميع ابوابك، في كل أرضك.. فتستأصلون من الأرض التي انت داخل إليها لتمتلكها. ويبيدك الرب في جميع الشعوب. تثنية 28/49".

فيهوه لم يعد بحياة ابدية، أو بفردوس سماوي. العمل الصالح يعني انتصارات، وامتلاك أراضي الشعوب. والعمل الطالح اوبئة وامراض. الخير بقاء في الأرض. والشر تقذفكم الأرض. فحفظ احكامه والعمل بها أمر ضروري للبقاء في الأرض. لأن احكامه تتمثل في القتل وابادة الشعوب.

ويحاول كاتب العهد القديم ان يجمع قلوب المسبيين حول يهوه. كما فعل موسى حين اخرجهم من مصر. وأجتاز بهم صحراء سيناء حتى اتى بهم إلى ابواب أرض كنعان. فقد جمعهم بيهوه، وكتلهم حوله، وساقهم به..

يقول: "فإن رددت في قلبك بين جميع الامم الذين طردك يهوه الهك اليهم. ورجعت إلى يهوه الهك. وسمعت لصوته حسب كل ما انا اوصيك به اليوم.. يرد الرب الهك سبيك ويرحمك، ويعود فيجمعك من جميع السموات.

فمن هناك يجمعك الرب الهك. ومن هناك يأخذك، ويأتي بك الرب الهك إلى الأرض التي امتلكها اباؤك، فتمتلكها. تثنية 30/1.

وينهي الكاتب سفر التثنية بقوله "فذهب موسى، وكلم بهذه الكلمات جميع إسرائيل. وقال لهم: انا اليوم ابن مئة وعشرين سنة. لا استطيع الخروج والدخول بعد. ويهوه قد قال لي لا تعبر هذا الاردن. يهوه الهك هو عابر قدامك. هو يبيد هؤلاء الامم من قدامك، فترثهم.. فمتى دفعهم يهوه امامك تفعلون بهم حسب كل الوصايا التي اوصيتكم بها. تشددوا وتشجعوا. ولا ترهبوا وجوههم. لأن يهوه الهك سائر معك. لا يهملك ولا يتركك. فدعا موسى يشوع وقال له امام اعين جميع إسرائيل: تشدد وتشجع، لانك انت تدخل مع هذا الشعب الأرض التي اقسم الرب لابائكم ان يعطيكم اياها. وأنت تقسمها لهم والرب سائر امامك. هو يكون معك ولا يهملك ولا يتركك. لا تخف ولا ترتعب. تثنية 31".

يهوه، يهوه، يهوه. والأرض، الأرض، الأرض

"يهوه كلمنا في حوريب قائلاً "كفاكم قعود.. ارتحلوا وادخلوا جبل الامورييين.. تملكوا الأرض جعل يهوه الأرض قدامك.. اصعد تملك.. الرب يحارب عنكم.. الرب حملك كما يحمل الإنسان ابنه.. سمع الرب صوت كلامكم.. قال الرب لي: قل لهم لا تصعدوا ولا تحاربوا، لاني لست في وسطكم.. كفاكم دوران بهذا الجبل. تحولوا نحو الشمال.. قال الرب قوموا واعبروا وادي زارد.. قوموا واعبروا وادي ارنون.. دفع الرب ملك حشبون وارضه.. ابتدئ تملك.. ودفع ملك باشان.. قال الرب لموسى: لا تعد تكلمني في هذا الأمر.

يهوه يرسل الزنابير.. يطرد الشعوب.. يهوه قال لي لا تعبر الاردن.. يهوه سائر معك.. يبيد الامم من قدامك...

تلاحظ ان يهوه كان قريباً من شعبه الخاص. ولكن قربه منهم، وتقربهم إليه، وعبادتهم له، ليس بدافع المحبة المتبادلة، والايمان العميق. بل بدافع سياسي عنصري. يقودهم في الحروب وينصرهم على اعدائهم، ويمكنهم من

الاستيلاء على الأرض التي وعدهم بها . ولذلك ترى ان خضوعهم له مشروط بنصره لهم علياعدائهم، وتمكينهم من الاستيلاء على أراضي الشعوب.

ومحبته ليست كمحبة الالهة الأخرى لشعوبها . التي تقضي بتعليمهم، ورفع مستواهم، ومواساتهم، وتخفيف الاعباء عنهم، وزرع الامال في صـــدورهم. ولا يمكن رفعها إلى مستوى محبة الاله لسـائر البشر. لأنها مقصورة على جماعة من الناس. اختارهم يهوه من بين سائر الشعوب وخصهم بمحبته ورعايته، ووعدهم بابادة الشعوب من قدامهم، ونصرهم على اعدائهم، واعطائهم أراضي شعوب أخرى بشرط عبادته، وتنفيذ احكامه وفرئضه.إذن هي ليست محبة. وانما انانية. اختارت شعباً وارادت له التفوق والانتصار على جميع الشعوب. وعلاقاتهم بيهوه علاقة ملك قاهر، بشعب مضطهد، ضعيف، مقهور. وعدهم بتمليكهم أرض قوم آخرين. ولذلك انحصرت وعوده ومواثيقه وشرائعه بقيادته لهم، واخراجهم من أرض وادخالهم إلى أخرى. إذا عطشوا يفجر المياه من قلب الصخر. وإذا جاعوا يمطر عليهم المن والسلوى. وظلت المساومة هي الرابط بينهم وبين الههم. وظلت العلاقة علاقة صفقة. جعلوا أنفسهم فيها رابحين أبداً . فهم يعبدون يهوه بشرط: ان يمنحهم ارضاً . ولكنهم تركوه كثيراً، اما هو فلم يتركهم. ونسوه طويلاً، ولم ينسهم.

ويهوه لم تشغله غير قضية الاستيلاء على أرض كنعان. وتمليكها لبني إسرائيل. ولذلك فهو يدبر الخطط الحربية، ويقود شعبه الخاص. يبيد الامم من قدامهم، ويطرد الشعوب.

ويهوه وحده، من بين سائر الهة الشرق القديم، عقد ميثاقاً مع اتباعه، بني إسرائيل، باعطائهم ارضاً مأهولة بأصحابها، عامرة بحضاراتهم.

ملحمة الغزو

أيضاً وأيضاً في سفر يشوع: الأرض، الأرض، الأرض. هي الشغل الشاغل ليهوه. وهي مدار تفكيره ومحط اهتمامه.

مع فارق بسيط في اسلوب المخاطبة. ففي سفر التكوين كان يمنح الأرض بصيغة الوعد. يقول: لنسلك اعطي هذه الأرض. وفي سفر الخروج

صار الوعد مقروناً بشرط زمني ماض: متى ادخلك الرب أرض الكنعانيين، تعمل كذا.. أو حاضر: حين تدخلون الأرض التي يعطيكم الرب، تعمل كذا.. وفي سفر اللاويين ايضاً بقي الوعد بالارض مقروناً بشرط زمني ماض: متى جئتم إلى الأرض التي أنا اعطيكم، تعملون.. اما في سفر العدد فراح يخاطبهم بصيغة اسم الفاعل، الحاضر مؤكداً لهم ادخالهم الأرض. فيقول: انكم عابرون الاردن إلى أرض كنعان.. انكم داخلون إلى أرض كنعان.. وفي سفر التثنية، الاسلوب ذاته: الأرض التي انتم عابرون إليها لتمتلكوها.. اما في سفر يشوع فقد اضحى الخطاب في صيغة أمر: قم اعبر..

يبدأ الكاتب السفر بقوله "وكان بعد موت موسى ان يهوه كلم يشوع قائلاً: قم اعبر هذا الاردن انت وكل الشعب إلى الأرض التي انا معطيها لبني إسرائيل. كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم اعطيته. من البرية ولبنان، إلى النهر الكبير، نهر الفرات، والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم. يشوع 1/1".

وكما كان موسى باسم يهوه، يشجعهم ويشد من ازرهم، ويعدهم بن يسير يهوه امامهم، ويحارب عنهم، ويطرد الجيوش من قدامهم. فإن يهوه، في سفر يشوع، راح يقوم بمهمة موسى. فيخاطبهم مباشرة. قال ليشوع "لا اهملك ولا اتركك. تشدد وتشجع، لانك انت تقسم لهذا الشعب الأرض التي حلفت لابائهم ان اعطيهم. انما كن متشدداً وتشجع جداً.. تشدد وتشجع. لا ترهب ولا ترتعب. لأن يهوه الهك معك حيثما تذهب. تثنية 1/5".

وفي هذا السفر تبدأ قصة غزو الأرض. فبعد ان نقل يشوع أمر يهوه بالعبور، قال الكاتب "فأرسل يشوع رجلين جاسوسين.. إلى اريحا. فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب. واضطجعا هناك. فقبل لملك اريحا: هوذا قد دخل إلى هنا الليلة رجلان من بني إسرائيل لكي يتجسسا الأرض. فأرسل ملك اريحا إلى راحاب يقول: اخرجي الرجلين اللذين اتيا اليك.. فأخذت المرأة الرجلين، وخبأتهما، وقالت: نعم جاء الي الرجلان ثم خرجا في الظلام. واما هي فأطلعتهما على السطح، ووارتهما بين عيدان كتان.. ثم قالت

لهما: علمت ان الرب قد اعطاكم الأرض. وان رعبكم قد وقع علينا. وان جميع سكان الأرض ذابوا من اجلكم. لاننا قد سمعنا.. بما عملتموه بملكي الاموريين.. سمعنا فذابت قلوبنا، ولم تبق بعد روح في إنسان بسببكم.. فالان احلفا لها الرجلان.. إذا اعطانا الرب الأرض نعمل معك معروفاً وامانة. يشوع 2/1".

كيف علمت الزانية راحاب ان الرب قد اعطاهم الأرض؟

لست أدري!

وأنت. الا تعتقد ان اسلوب التوراة تغلب عليه صفة التقرير. فكاتب التوراة ينسب المعرفة لمن يريده ان يعرف، والجهل لمن شاء له الجهل. ربما لأن الكاتب يدون هذه الأخبار بعد زمن طويل. فهو يقرر واقعاً حصل. أو ربما يريد الايحاء لقارئ التوراة، ان كل ما يقصه حاصل أو هو في طريق الحصول. لانه ارادة ربانية ومشيئة الهية. ومن يقوى على تغيير ما اراده الله؟

اما قولها: ان رعبكم قد وقع علينا، عندما سمعنا بما عملتموه بملكي الاموريين. ففيه شيء من الحقيقة. أو قل هو الحقيقة. لانهم في غزوهم لكل مدينة أو قرية، كانوا يعملون فيها القتل والتذبيح، ثم النهب والتدمير. نزولاً عند رغبة يهوه، وعملاً بشريعته التي تأمرهم بابادة الشعوب وتدمير المدن..

ترى.. اليس ما يجري في فلسطين منذ عام 1920 مطابقاً لسلوك اليهود واخلاقهم، واخلاق الههم "يهوه"، المضمنة في كتاب العهد القديم؟

عاد الجاسوسان قائلين "ليشوع ان الرب قد دفع بيدنا الأرض كلها. وقد ذاب كل سكان الأرض بسببنا. يشوع 2/24". "فبكر يشوع في الغد. وارتحلوا من شطيم، واتوا إلى الاردن.. وقال يشوع للشعب: تقدسوا لأن الرب يعمل غداً في وسطكم عجائب. يشوع 3/1".

ثم قال يشوع "تعلمون ان الله الحي في وسطكم. وطردا يطرد من امامكم الكنعانيين والحثيين ولحويين والفرزيين والجرجاشيين والاموريين واليبوسيين. هوذا تابوت عهد سيد كل الأرض، عابر امامكم في الاردن. فالان انتخبوا اثني عشر رجلاً من اسباط إسرائيل. ويكون حينما تستقر بطون اقدام الكهنة

حاملي تابوت الرب فـي مياه الاردن المتحدرة من فوق، تنفلق وتقف ندا واحداً.
يشوع 3/10".

كيف عرف يشوع ان مياه الاردن تنفلق حالما تستقر اقدام الكهنة فيما؟
لست ادري!

وأنت. الا تعتقد ان كاتب التوراة يقرر اموراً حصلت فـي اذهان الناس، بمعجزات ربهم الخاص. وظل الرواة يتناقلونها جيلاً بعد جيل، بقالب من المبالغة والتضخيم، يفوق مبالغات الاساطير، حتى قيض لها من يدونها أثناء السبي البابلي، بنفس الاسلوب الذي كانت تروى فيه. قاصداً من ذلك ان يجمع اليهود بايمانهم بالهمم الخاص. ويدفق فـي صدورهم الامل بأن الههم لا ينساهم، وانه سيجمعهم ويعيدهم إلى الأرض التي حلف ان تكون لآبائهم. ويورثها من بعدهم لابنائهم. أو هي أمور حاصلة حكما بمعجزة من يهوه القائد الذي يسير امامهم، يطرد الشعوب من قدامهم، ويكلل هاماتهم بالنصر.

سلاح المعجزات

ثم كان ما قرره يهوه. فعند "انغماس ارجل الكهنة، حاملي التابوت، فـي ضفة المياه.. وقفت المياه المنحدرة من فوق.. فوقفت الكهنة حاملو التابوت على اليابسة فـي وسط الاردن، وجميع إسرائيل عابرون على اليابسة. يشوع 3/15".

وكانت هذه أول معجزة صنعها يهوه مع قبيلته على أبواب الأرض. اما المعجزة الثانية فكانت فـي اقتحام اريحا. يقول الكاتب ان "اريحا كانت مغلقة، مقفلة بسبب بني إسرائيل.. فقال الرب ليشوع: انظر. قد دفعت بيدك اريحا وملحها، جبابرة البأس. تدورون دائرة المدينة.. ستة أيام. وسبعة كهنة يحملون ابواق الهتاف السبعة امام التابوت. وفـي اليوم السابع تدورون دائرة المدينة سبع مرات، والكهنة يضربون بالابواق. ويكون.. عند استماعكم صوت البوق ان جميع الشعب يهتف هتافاً عظيماً فيسقط سور المدينة ويصعد الشعب".

ثم يؤكد الكاتب حصول ما أمر به يهوه. يقول "وكان فـي اليوم السابع أنهم بكروا عند طلوع الفجر، وداروا دائرة المدينة سبع مرات.. وكان فـي المرة

السـابعة، عندما ضرب الكهنة بالابواق، ان يشوع قال للشعب: اهتفوا لأن الرب قد اعطاكم المدينة. فتكون المدينة وكل ما فيها محرماً للرب. راحاب الزانية فقط تحيا هي وكل من معها في البيت، لأنها خبأت المرسلين اللذين ارسلناهما. واما انتم فاحترزوا من الحرام.. كل الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد، تكون قدساً للرب، وتدخل في خزانة الرب.. فهتف الشعب وضربوا بالابواق... فسقط السور في مكانه، وصعد الشعب إلى المدينة. وحرّموا كل ما فيها، من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف.. واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها. يشوع6".

لكن بني إسرائيل الذين هدموا اسوار اريحا، بمعجزة يهوية، واحرقوها وحرموها. انهزموا امام أهل "عاي"، حتى "ذاب قلب الشعب، وصار مثل الماء. يشوع 7/5".

اما كاتب التوراة فقد وجد مبرراً، كعادته لهذه الهزيمة. فادعى ان أحد الجنوب قد "أخذ من الحرام. فحمي غضب الرب على بني إسرائيل. يشوع 7/1".

أو قل ان يشوع نسب هزيمته امام أهل عاي، إلى غضب يهوه. وهو يبغي من ذلك إلى تحقيق هدفين: الأول جمع الذهب والفضة والاواني التي سرقها الشعب. والثاني ربط الهزيمة بغضب يهوه. لكي يثبت ايمانهم بيهوه، واتكالهم عليه. وانه ما دام معهم وراضياً عنهم فلن يقهروا. وهذا مما يشد من عزائمهم، لتحقيق المطالب التي يضعها يشوع على لسان يهوه.

فماذا فعل؟

"مزق يشوع ثيابه، وسقط على وجهه إلى الأرض، امام تابوت الرب إلى المساء.. فقال الرب ليشوع: قم.. قد اخطأ إسرائيل. بل تعدوا عهدي الذي امرتهم به. بل اخذوا من الحرام. بل سرقوا. بل انكروا. بل وضعوا في امتعتهم. يشوع 7/10".

ثم جمع يشوع بني إسرائيل، فتقدم الجندي الذي "تعدى عهد الرب، وعمل قباحة في إسرائيل" وقال" حقاً اني قد اخطأت إلى يهوه اله إسرائيل. رأيت

في الغنيمة رداء شنعاريا نفسياً ومئتي شاقل فضة ولسان ذهب ومنه خمسون شاقلاً. فاشتهيتها واخذتها، وها هي مطمورة في الأرض في وسط خيمتي. يشوع 7/21".

فنفذ يشوع حكم يهوه عليه. اخذه "وبنيه وبناته وحميره وغنمه وخيمته وكل ماله.. فرجمه جميع إسرائيل بالحجارة، واحرقوهم بالنار. يشوع 7/24".

وعندها "رجع يهوه عن حمو غضبه.. وقال ليشوع: لا تخف ولا ترتعب. خذ معك جميع رجال الحرب، واصعد إلى عاي، فقد دفعت بيدك ملك عاي وشعبه ومدينته وارضه. فتفعل بعاي كما فعلت باريحها وملكها. يشوع 8/1".

نلاحظ ان كاتب التوراة نسب إلى يهوه من الأوامر الموجهة إلى يشوع ما جعل هذا الأخير ينتصر. "فلقد انتخب ثلاثين ألف رجل، جبابرة البأس" نزولاً عند رغبة يهوه. وقال" انتم تكمنون للمدينة.. اما انا وجميع الشعب فنقترب إلى المدينة. ويكون حينما يخرجون للقائنا اننا نهرب قدامهم. فيخرجون وراءنا حتى نجذبهم عن المدينة... وانتم تقومون من المكمن، وتملكون المدينة. ويدفعها يهوه الهكم بيدكم. يشوع 8/3".

وهكذا نجحت الخطة التي لقنها يهوه ليشوع. "وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في البرية، حيث لحقوهم، وسقطوا جميعاً بحد السيف، حتى فنوا، ان جميع إسرائيل رجع إلى عاي، وضربوها بحد السيف. فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم، من رجال ونساء، اثني عشر الفاً. جميع أهل عاي. ويشوع لم يرد يده التي مدها بالمزراق حتى حرم جميع سكان عاي.. وملك عاي علقه على الخشبة إلى وقت المساء. يشوع 8/24".

فالكاتب لا يعيد سبب انهزامهم في الهجوم الأول إلى قلة عددهم. إذ هون الجاسوسان أمر اقتحام عاي، حين قالا ليشوع "لا تكلف كل الشعب، لانهم قليلون.. بل يصعد نحو الفي رجل ويضربوا عاي. يشوع 7/3".

وانما يبرر الانعزام بغضب يهوه عليهم، لأن احدهم أخذ من الحرام، أي حصة يهوه.

اما في الهجوم الثاني فقد غيّر يشوع الخطة. إذ أخذ معه ثلاثين ألف رجل. ونصب كميناً للمدينة. ونسب الخطة إلى يهوه، ليزيد من ثقتهم به واتكالهم عليه. ليعمق في نفوسهم الايمان بأن نصرهم يعني رضى يهوه عنهم. وانهزامهم هو غضبه عليهم.

ويخبرنا كاتب العهد القديم أن "ادوني صادق ملك اورشليم، لما سمع ان يشوع قد أخذ عاي، وحرمها، وفعل بها ما فعل باريحا. أرسل إلى ملك حبرون وملك يرموث وملك لخيش وملك عجلون، يقول: اصعدوا الي واعينوني.. فقال يهوه ليشوع: لا تخفهم، لاني بيدك قد اسلمتهم.. فازعجهم الرب امام إسرائيل.. وبينما هم هاربون من امام إسرائيل" كانت المعجزة الثالثة التي صنعها يهوه مع قبيلته على ابواب الأرض. إذ رمى الهاربين بحجارة عظيمة من السماء، فماتوا. والذين ماتوا بحجارة البرد أكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل بالسيف. يشوع 10/1".

"فهرب أولئك الخمسة الملوك، واختبأوا في مغارة في "مقيدة".. ثم اخرجوا إليه أولئك الملوك الخمسة من المغارة.. فدعا كل رجال إسرائيل، وقال: تقدموا، وضعوا ارجلكم على اعناق هؤلاء الملوك،.. ثم قتلهم، وعلقهم على الخشب حتى المساء. يشوع 10/16.

أليس قول يشوع "ضعوا ارجلكم على اعناق الملوك" تعبيراً عن حقد مرير، يتأكل في صدورهم، وشهوة مكمودة تتلظى لانتقام رهيب، يروي ظمأها ويكبت اوارها؟

فعملية غزو بني اسرائيل لبعض المرتفعات في فلسطين، تمت بمعجزات من يهوه، وبقيادته لهم، وتخطيطه لحروبهم، كما يقول الكاتب.

اما المعجزة الرابعة فكانت حين "كلم يشوع الرب.. وقال.. يا شمس دومي على جبعون.. فوقفت الشمس في كبد السماء، ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل. حتى انتقم الشعب من اعدائه.. والرب حارب عن إسرائيل. يشوع 10/12".

يشوع يحارب.. ومالت الشمس أو كادت، فراجعه حقد قديم الداء. سوار. فأمر الشمس بالتوقف، حتى يجهز على اعدائه. لأن ضراوة الانتقام ما فتئت تنهش صدره، ولأن منهج الحرق والابادة الذي طبقه في اريحا وفي عاي، لم يرو غليل الحقد المضطرم بين ضلوعه.

وكانت الشمس رهن اشارة من اصبعه. كيف لا؟ والرب معه. وهل عصى الرب يوماً امراً صدر عنه؟ الا ينصاع لتحقيق أي رغبة له؟ فكيف برغبة القتل والابادة، التي هي خلاصة وصايا يهوه وفرائضه واحكامه؟ ترى. هل اثبتت الحسـابات الفلكية والرياضية القديمة، والحديثة، ايقاف حركة الطبيعة؟ اظن لا. وهل تثبتها في المستقبل؟ ربما. أقول ربما، لئلا يجفل المسيحيون المتهودون، الذين يرفعون هذه القصص الخرافية، الوحشية، إلى مرتبة التقديس.

حاضرهم اشبه بماضيهم من الماء بالماء

هذه القصص "المقدسة" هي التي تروى على مسامع الأطفال اليهود في فلسطين المحتلة، وخارجها. فتحقن نفس الطفل، منذ نعومة اظفاره بحب الفتك والتدمير. وتبث في صدره منذ نشأته روح العداء والكراهية للشعوب، كل الشعوب.

يقول موشيه منوحن، بعدما تخرج من كلية هرتسيليا في يافا، انه ظل وقتاً طويلاً يعاني من "روح الكراهية والعداء للشعوب. وخاصة ضد عرب فلسطين. تلك الروح التي تم ترسيخها في قلوبنا الفتية"[23].

"وقد علمونا في الجمنازيوم، "كلية" بأن نكره العرب، وان نحتقرهم. وفوق هذا كله ان نطردهم من "مولادتينو" وطننا ومسقط رأسنا، ومن "ارتسينو" ارضنا وديارنا، إذ كانت بلادنا لا بلادهم. وانه كان بوسعنا الاطلاع على التوراة في هذا الصدد"[24].

[23] Moshe Menuhim: "The Decadence of Judaism In Our Time". The Institute For Palestine Studies, Beirut, 1969. P.50

[24] مذكرات موشيه منوحن عن هجرته إلى فلسطين عام 1904. ترجمت ونشرت في مجلة شؤون فلسطينية. العدد ـ 8 ـ نيسان 1972.

هذه القصص التي تكون نفسيات ابطالها كل ما تحمله طينة البشر من نقائص وعاهات.وما تضمره من حقد مرير وكراهية عمياء. وما يضطرم فيها من هويس بالفتك والتدمير، تشكل التربة الخصبة التي تمد فيها جذوراً عميقة افكار اليهود، في القرن العشرين، في إسرائيل الصهيونية، وفي اميركا، على حد سواء، كما يقول موشيه منوحن.

منذ أمد قريب نسبياً، قام العالم الاميركي غ. تامارين، الذي عمل زمناً طويلاً في إسرائيل، باختبار كانت له نتائج ذات معان كثيرة ودلالات معبرة.

لقد وضع تامارين 1066 صيغة، تعبر عن مضمون واحد، في هيئة اسئلة. وتلقى الاجابة عليها كتابة من 563 تلميذاً و503 تلميذات، من مختلف الصفوف في المدارس الإسرائيلية. وكانت الصيغة تتعلق بسفر يشوع التوراة، التي تدرس في المدارس الإسرائيلية، في المرحلة ما بين الصفين الرابع والثامن.

جاء في الصيغة:

"أنت تعرف جيداً هذه الاسطر من سفر يشوع: "هتف الشعب، وضربوا بالابواق. وكان حين سمع الشعب صوت البوق، ان الشعب هتف هتفاً عظيماً، فسقط السور في مكانه. وصعد الشعب إلى المدينة.. وحرموا كل ما في المدينة، من رجل وامرأة، من طفل وشيخ. حتى البقر والغنم والحمير، بحد السيف. يشوع 6/20".

"واخذ يشوع مقيدة في ذلك اليوم، وضربها بحد السيف، وحرم ملكها هو وكل نفس بها. لم يبق شارد. وفعل بملك مقيدة كما فعل بملك اريحا.

ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكل إسرائيل معه إلى لبنة. وحارب لبنة. فدفعها الرب هي ايضاً بيد إسرائيل مع ملكها. فضربها بحد السيف، وكل نفس بها. لم يبق شارداً. وفعل بملكها كما فعل بملك اريحا. يشوع 10/28".

أجب من فضلك على السؤالين الاتيين:

1. هل ترى في تصرف يشوع بن نون، والاسرائيليين، تصرفا صائباًأم خاطئاً؟ ولماذا؟

2. لنفترض ان الجيش الإسرائيلي احتل قرية عربية في الحرب، وفعل بسكانها ما فعله يشوع بشعب اريحا. فهل يكون تصرفه، في رأيك، حسناً أم سيئاً؟ ولماذا؟

وقد برر تامارين اختياره هذه الصيغة بقوله "ان ما قام به يشوع لم يكن المثال الوحيد لهذا النمط من الأعمال في التوراة وقد وقع اختياري عليه لأن سفر يشوع يحتل مكاناً مرموقاً وخاصاً في نظام التعليم الإسرائيلي". وانتشرت هذه الصيغة في مدارس تل ابيب وقرية باز رملة ومدينة شارون وغيرها.

وهاكم بعض الاجوبة. كتب تلميذ في مدرسة مدينة شارون ما يأتي: ولذلك فإن الاسرائيليين احسنوا صنعاً إذ احتلوا المدينة وقضوا على سكانها. نحن لا نريد ان يكون في إسرائيل عنصر غريب".

وكتبت فتاة من كيبوتز ميوتشاء "لقد احسن يشوع بن نون صنعاً حين قتل كل الناس في اريحا. لأن همه كان ينحصر في احتلال البلاد كلها. ولم يكن لديه وقت لينشغل بالاسرى".

يقول تامارين: مثل هذه الاجوبة وردتنا بنسبة تتاروح بين 95.66 في المئة وكان ذلك يرجع إلى موقع المدرسة في الكيبوتز أو في المدينة. وعن سؤال ايمنكن فيوقتنا هذا القضاء على سكان قرية عربية محتلة"؟ اجاب 30 في المئة من التلاميذ بـ "نعم".

واليكم نماذج مما كتبه الأطفال "في رأيي كان كل ما قام به يشوع صحيحاً. ذلك اننا نريد ان نقهر الاعداء ونوسع حدودنا. ولو كان الامر معنا لفتكنا بالعرب جميعاً، كما فعل يشوع والاسرائيليون".

وكتب طالب آخر "في رأيي ان على جيشنا ان يفعل بالقرية العربية ما فعله يشوع بن نون. لأن العرب اعداؤنا".

كانت تلك بعض ثمار التعليم الصهيوني، كما يقول تامارين. ولم تكن هذه الافكار لتنمو من تلقاء نفسها، وفي أرض قاحلة. بل هي تمد جذورها عميقاً في تربة التوراة وفي التربية الواقعية للايديولوجيا الصهيونية[25].

[25] يورى ايفاوف ـ احذروا الصهيونية ـ ترجمة أحمد داود ـ دمشق 1969 ص 67.

هذه القصص هي التي أمدت اليهودي بخيال وحشي، ونفسية حقودة. اتاحت له ان يطبقها على الواقع. فكانت مذابح نيسان 1948 الارهابية في فلسطين. وكانت سياسة العنف والارهاب التي طبقها المستوطنون الصهاينة، بعد قيام دولة إسرائيل، من ضمن مخططاتهم الرامية إلى طرد السكان العرب وابادتهم. ففي الاجزاء التي يحتلها الصهيونيون من فلسطين، شهدت القرى العربية مثل اقرت "كانون الأول 1951" والطيرة "تموز 1953" وابو غوش "ايلول 1953" وكفر قاسم "تشرين الأول 1956" وعكا "حزيران 1965" وغيرها، المجازر والفظائع كجزء من خطة الدولة الصهيونية للانتقام والبطش. وقد نفذت أجهزة الدولة الرسمية، هذه الخطة بفعالية. تضاف إلى هذه الحوادث، حمامات الدم التي ارتكبتها الصهيونية في غزة، وخان يونس، على نطاق واسع، ابان الاحتلال الإسرائيلي المؤقت، لتلك المنطقة، بنتيجة العدوان الثلاثي على مصر عام 1956[26]. وبنتيجة حرب حزيران عام 1967، لم تتوقف أعمال الارهاب، لاجلاء السكان العرب عن مناطق التوسع الجديد. وكل يوم تطالعنا الأخبار بحوادث طرد السكان، ونسف البيوت وحرقها، لتكون ارضاً "نظيفة، فارغة" جاهزة لاستقبال طفرة من المهاجرين الجدد.

ومما يؤسف له ان القصص التوراتية، التي اختلقوها، وضمنوها اهواءهم الجامحة ونزعات نفوسهم الشريرة، المفطورة على البغي واقتراف الكبائر، هي التي تشكل ما يسمى "العهد القديم" الذي يعتبره المسيحيون الاساس الذي يرتكز عليه "العهد الجديد".

فهل هذا الجمع بين قصص الحقد والكراهية والعنف والتذبيح.. وبين صور المحبة والرحمة، وومضات التكشف الالهي، ناتج عن عمى بصائر المسيحيين، أو تعاميهم عن الحقيقة.أم انه نتيجة حتمية لغباء الاكثرية المنقادة لاحابيل القلة المسيرة بارادة الصهيونية، المتخفية وراء الحجب اللماعة والستائر البراقة.

---

[26] راجع كتاب الاستعمار الصهيوني في فلسطين للدكتور فايز صايغ ـ مركز الابحاث 1956 ص 41 وكتاب مع الكلمة الصافية لقاسم الشواف ـ دمشق 1969 ص 445.

وهل تاريخ القبيلة اليهودية الهمجية، وقصص الفتك والابادة التي نفذتها العشائر اليهودية، باسم وارادة الهها الخاص يهوه، يعتبر كتاباً مقدساً، تتلى نصوصه في كنائس المسيحيين، وفي الكثير الكثير من مدارسهم وجامعاتهم؟

والجدير بالملاحظة ان تسجيل الروايات التوراتية قد تم قبيل السبي البابلي، وبعده. اما الاستيلاء الذي تم على بعض المرتفعات في فلسطين، لتوفر السلاح مع جين فتي، قوي، يحدوه الجوع والحقد، للسيطرة على شعوب تنعم بالراحة والاطمئنان. فقد صنع منه الكتاب تحقيقاً لوعود الهية، لتبريره، وتثبيته، والاحتفاظ بالارض، والدفاع عنها. يؤكد ذلك ان نصوص العهد القديم التي تروي قصص الوعد والاستيلاء، تساعد المرء على الاعتقاد بأن عملية الاستيلاء على أرض فلسطين كانت فكرة. وعندما توفر السلاح والجيش القوي،وضعت الفكرة موضع التنفيذ. فالبرغم من الوعد الذي قطعه يهوه على نفسه باعطاء الأرض إلى شعبه المختار. وبالرغم من التذكير المستمر بهذا الوعد، والتأكيد عليه، بتصميم، يهوه على قرض الشعوب واباداتها بنفسه، وعزمه على اجتياز نهر الاردن امام جنوده، واصراره محو الأمم، صاحبة الأرض. بالرغم من كل هذا التأكيد والاصرار، فإن ذلك لم يكن يمنع اليهود من التسلح، والاستعداد للحرب، واجراء عمليات الاحصاء لجميع الذكور القادرين على حمل السلاح، وارسال الجواسيس إلى أرض كنعان لاستطلاع احوالها، والوقوف على مقدرتها الدفاعية، ومدى صمود رجالها امام غزو القبائل الإسرائيلية. فهذا دليل على نية الاستيلاء على أرض فلسطين. سواء وعد بها يهوه أم لم يعد.

وبالاضافة إلى ذلك، فإن الأرض لم تقع بايدي اليهود لقمة سائغة، كمن قدم من بعيد لاستلام ميراثه بناء على وعد الهي. بل دامت معارك الاستيلاء أكثر من مائتي سنة. وارتكبت خلالها فظائع واعمال وحشية. من شأنها ان تدب الذعر في قلوب سكان المدن والاراضي المستولى عليها. وكتاب العهد القديم لم يخف هذه الفظائع. بل وضعها بتفاصيل مثيرة، وجعل منها قواعد للاستيلاء، وقوانين للسطو والسيطرة.

ويتابع الكاتب سرد قصة الغزو الوحشي، قائلاً "واخذ يشوع مقيدة" في ذلك اليوم. وضربها بحد السيف. وحرم ملكها،وكل نفس بها. لم يبق شارداً. وفعل بملك مقيدة كما فعل بملك اريحا".

" ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكل إسرائيل معه إلى لبنة، وحارب لبنة. فدفعها الرب هي ايضاً بيد إسرائيل معه إلى لبنة، وحارب لبنة. فدفعها الرب هي ايضاً بيد إسرائيل مع ملكها، فضربها بحد السيف، وكل نفس بها. لم يبق بها شارداً. وفعل بملكها كما فعل بملك اريحا". "ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لبنة إلى لخيش. ونزل عليها، وحاربها. فدفع الرب لخيش بيد إسرائيل. فأخذها في اليوم الثاني، وضربها بحد السيف، وكل نفس بها، حسب كل ما فعل بلبنة.

حينئذ صعد هورام ملك جازر لاعانة لخيش، وضربه يشوع مع شعبه، حتى لم يبق له شارداً.

ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لخيش إلى عجلون. فنزلوا عليها،وحاربوها. واخذوها في ذلك اليوم. وضربوها بحد السيف وحرم كل نفس بها".

"ثم صعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون، وحاربوها. واخذوا بحد السيف مع ملكها، وكل مدنها، وكل نفس بها. لم يبق شارداً،حسب كل ما فعل بعجلون فحرمها وكل نفس بها.

ثم رجع يشوع وكل إسرائيل معه إلى دبير، وحاربها، واخذها مع ملكها وكل مدنها وضربوها بحد السيف، وحرموا كل نفس فيها. لم يبق شارداً".

فضرب يشوع كل أرض الجبل والسهل والسفوح، وكل ملوكها. لم يبق شارداً. بل حرم كل نسمة، كما أمر يهوه اله إسرائيل.

واخذ يشوع جميع أولئك الملوك، وارضهم، دفعة واحدة. لأن يهوه اله إسرائيل حارب عن إسرائيل. يشوع 10/28".

ثم دفع الرب ملك حاصور وملك مادون وملك شمرون وملك اكشاف، بيد إسرائيل "فضربوهم حتى لم يبق له شارد.. حرموهم، ولم تبق نسمة.. كما أمر

الرب موسى. هكذا أمر موسى يشوع. وهكذا فعل يشوع. لم يهمل شيئاً من كل ما أمر به الرب موسى. فأخذ يشوع كل تلك الأرض.. واخذ جميع ملوكها. وضربهم وقتلهم.. لانه كان من قبل الرب ان يشدد قلوبهم حتى يلاقوا إسرائيل للمحاربة، فيحرموا. فلا تكون عليهم رأفة، بل يبادوا كما أمر الرب موسى. يشوع 11/1".

وهكذا كانوا إذا دخلوا بلداً منتصرين، فتكوا بالرجال والاطفال، وسبوا أيد النساء، وهتكوا الارض، واباحوا كل شيء لجندهم نهباً وتقتيلاً. ويهوه يشد ازرهم ويبارك خطاهم.

وكانت عبارة "حرم كل نفس" و"لم يبق شارداً" بمثابة القرار أو اللازمة في كل نشيد يمجد عملية فتك وابادة.

وحرب الابادة كان قد قررها يهوه منذ ما اعطى أرض كنعان لمختاريه. وكلف إسرائيل تنفيذ قراره. فكان دخولهم أرض فلسطين، واستيلاؤهم على اجزاء صغيرة منها، مصحوباً بمجازر وحشية،ذهب ضحيتها آلاف الاشخاص، بالاضافة الى الحيوانات التي كان يهوه يتنسم رائحة الرضى أثناء حرقها على مذبحه.

نفس السيرة: وحشية يهوه، وحقده الذميم، وجوعه للدم. ونفس الاسلوب: اذبح، اقتل، حرم، لا تبق شارداً.

فاليهود قديماً، انتصروا في بعض المعارك بتنفيذ وصايا يهوه: الذبح والفتك والافناء والتدمير. واليوم ينتصرون بالاسلوب ذاته. ففي التاسع من نيسان 1948 كانت لهم مجزرة وحشية في دير ياسين. بقروا بطون الحوامل، وطعنوا الشيوخ وفتكوا بالاطفال و"لم ينج أحد". هي اللازمة ذاتها كانت تكرر في كل نشيد يمجد عملية فتك وإبادة، أثناء استيلائهم الأول على مرتفعات فلسطين في القرن العاشر قبل الميلاد.

حرب الابادة، لايقاع الرعب في النفوس. واستلام الأرض خالية من السكان. لأن من يبقون يكونون اشواكاً في اعينهم ومناخس في جوانبهم، كما قال لهم الههم يهوه. هكذا فعلوا قديماً، وهكذا يفعلون حديثاً. قال قائد

المجزرة الوحشية في دير ياسين "لولا انتصارنا في دير ياسين، لم تقم دولة إسرائيل".

من العيب ان تسأل: لماذا؟

وإذا سألت، يجيبك كاتب يهودي اميركي، هو وليم زوكرمان رئيس تحرير الجويشي كرونكل الصادرة في نيويورك. يقول "ان أعضاء الارغون، مستعملين السلاح الابيض، والقنابل اليدوية، قتلوا من دون أي سبب 254 عربياً من أصل 530 من سكان قرية دير ياسين. ومعظم تلك الضحايا كان من النساء والاطفال. اما الباقون فقد نقلوا إلى القدس حيث عرضوا في الشوارع، ليبصق عليهم اليهود[27].

ويجيبك ايضاً أحد قادة الارغون بقوله "يجب ان نقاتل، وان نستولي، وان نملك"[28].

أرأيت كيف كانت تتم عملية تنظيف القرى العربية من سكانها: القتل بوحشية، ودب الذعر في نفس من تبقى حياً.

هو مخططهم للاستيلاء على أرض الميعاد، "حيث لا مكان لمجموعات كبيرة من السكان الغرباء، والاعداء. كما قال أحد المراقبين[29].

مخططهم ان يجعلوا من الذعر جيشاً يطرد السكان الامنين من امامهم. فكانت التحذيرات من مكبرات الصوت تجوب شوارع القدس، تنشر الفزع والرعب "اهربوا من القدس لكي لا يكون مصيركم مصير دير ياسين"[30].

وقد خلفت مأساة دير ياسين، حسب رأي الصليب الاحمر في فلسطين انذاك، "ذعراً عاماً. حاول اليهود تشجيعه دوماً بشكل حاذق".

[27] راجع كتاب مع الكلمة الصافية لقاسم الشواف. دمشق 1969 ص 442.

[28] المرجع السابق ص 443 نقلاً عن "نيويورك هيرالد تريبيون 10 نيسان 1948".

[29] المرجع السابق ص 443.

[30] نقلها كما سمعها، الكاتب الفلسطيني سامي هداوي.

وبعد أيام قلائل، وفي 13 نيسان 1948 بدأت عملية ارهابية جديدة. كان هدفها الرئيسي تطهير المنطقة الواقعة شرقي الجليل، من السكان الفلسطينيين.

وقد أنجزت بعد ذلك عملية هجوم ارهابي موجهة ضد حيفا. ودام ذلك طيلة يوم 21 نيسان. وانتهت العملية بطرد خمسين ألف فلسطيني. وبعد ذلك سقطت المدينة بيد الصهيونيين[31].

وفي 5/11/1948 جرى تهجير سكان قرية عرقيت، في الجليل الغربي، بالقوة.

وفي 15/11/1948 جرى تهجير سكان قرية كفارفير عام، بالقوة وفي 4/11/149 طرد معظم سكان قرية كفار عنان بالقوة، إلى خارج الحدود. كما قام الجيش بهدم البيوت. وفي 28/11/1949 اعتقل في قرية كفار ياسر 700 عربي لجأوا إليها من قرى أخرى. والقي بهم خارج الحدود.

وفي 7/7/1950 اخرج ما يقرب من الفين من العرب بالقوة، من البلاد. وكانوا يؤلفون سكان مدينة مجدل عسقلان.

وفي 10/11/1951 طرد سكان 13 قرية عربية صغيرة في وادي عارا بالقوة، إلى خارج الحدود.

وفي ايلول من عام 1953 طرد سكان قرية أم الفرج إلى خارج الحدود. وجرى تدمير القرية.

وفي 29/10/956 حدثت مذبحة كفر قاسم، إذ ذبحوا فيها الرجال والنساء والاطفال جميعاً[32].

وهكذا تمكنت العصابات الصهيونية، بالارهاب والمجازر الوحشية، من طرد معظم الفلسطينيين من اراضيهم، ومن ثم احتلالها، واقامة دولة إسرائيل فيها.

---

[31] قاسم الشواف مع الكلمة الصافية ص 442.

[32] راجع يورى ايفانوف ـ احذروا الصهيونية. ترجمة داود. دمشق 1969 ص 196.

وبهذه الطريقة ذاتها قامت مذابح عين الزيتون، وصلاح الدين، في نيسان 1948. وبنفس الطريقة حرثت القرى التي استولى عليها جيش الدفاع الصهيوني في عدوان 1967. وشرد الوف والوف من المواطنين الفلسطينيين. وهاجمت الغوغاء المسلحة، الاحياء العربية في القدس في 18/8/1968، واعتدت على السكان العزل، وعلى ممتلكاتهم.. ولا ننسى الأعمال الانتقامية على مخيم الكرامة بتاريخ 21 آذار 1968. وعلى اربد بتاريخ 4 حزيران 1968. وعلى السلط بتاريخ 4آب 1968.

من القاعدة التي ارساها كتاب الكتب "التوراة" وعمق جذورها في افكار بني صهيون. ولذلك قال حكماء إسرائيل "ان التوراة والسيف انزلا من السماء سوية". وقال وايزمن في كتاب "التجربة والخطأ" "ان اللجوء إلى العنف والارهاب، والاستعداد للتعاون مع الشر، قوة لها فوائدها في تحقيق الوطن القومي اليهودي". وقال مناحين بيغن زعيم حزب حيروت الإسرائيلي، في كتاب "الثورة" "انا احارب إذن انا موجود".

ثم يعدد كاتب العهد القديم، الملوك الذين ضربهم بنوا إسرائيل، وامتلكوا ارضهم. فبلغوا واحداً وثلاثين ملكاً "يشوع 12/1".

"وشاخ يشوع، فقال له الرب: أنت قد شخت، تقدمت في الأيام، وقد بقيت أرض كثيرة للامتلاك. هذه هي الأرض الباقية: كل دائرة الفلسطينيين.. كل أرض الكنعانيين.. كل لبنان.. انا اطردهم من امام إسرائيل. انما اقسمها بالقرعة لاسرائيل ملكاً كما امرتك. يشوع 13/1".

وفعل يشوع كما امره الرب. فبدأ يقسم الأرض بالقرعة.

كذا.. يقسمون أراضي الشعوب بالقرعة. ولمَ لا؟ فالامر بابادة شعوب كنعان واعطاء ارضهم لبني إسرائيل، صادر عن يهوه. ومن يقول على تغيير مشيئة الرب، أو نقض احكامه؟

وكان اجتماع "كل جماعة بني إسرائيل في "شيلوه". ونصبوا هناك خيمة الاجتماع. واخضعت الأرض قدامهم. وبقي من بني إسرائيل من لم يقسموا نصيبهم سبعة اسباط.

فقال يشوع لبني إسرائيل: حتى متى انتم متراخون عن الدخول لامتلاك الأرض التي اعطاكم اياها يهوه، اله آبائكم؟ هاتوا ثلاثة رجال من كل سبط، فارسلهم، فيقوموا ويسيروا في الأرض، ويكتبوها بحسب انصبتهم. ثم يأتوا الي. ويقسموها إلى سبعة اقسام.. أوصى يشوع الذاهبين لكتابة الأرض قائلاً. اذهبوا وسيروا في الأرض، واكتبوها. ثم ارجعوا اليَّ. فالقي لكم هنا قرعة امام الرب في شيلوه. يشوع 18".

ويمضي الكاتب في الفصول اللاحقة، يحدد أرض كل سبط كما "خرجت القرعة". وانتهى في خاتمة الفصل الواحد والعشرين إلى القول "فاعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التي اقسم ان يعطيها لآبائهم. فامتلكوها، وسكنوا بها. يشوع 21/43".

ثم "دعا يشوع جميع إسرائيل وشيوخه ورؤساءه وقضاته وعرفاءه. وقال لهم: تقدمت في الأيام. وانتم قد رأيتم كل ما عمل الرب الهكم بجميع أولئك الشعوب من اجلكم. لأن الرب الهمكم هو المحارب عنكم. انظروا قد قسمت لكم بالقرعة هؤلاء الشعوب الباقين ملكاً حسب اسباطكم.. والرب هو ينفيهم من امامكم، ويطردهم من قدامكم. فتملكون ارضهم كما كلمكم الرب الهكم.. فلم يقف أحد قدامكم إلى هذا اليوم. رجل واحد منكم يطرد الفاً، لأن الرب الهكم هو المحارب عنكم كما كلمكم. يشوع 23".

وإذا ما سألت: لماذا حكم يهوه على هذه الشعوب بالقتل والتدمير، ومنح ارضهم لاخرين؟ كان جواب "العهد القديم" بأن الله اراد بادتهم لارجاسهم، ولانهم عبدوا الهة سواه. ولذلك نزل عليهم غضب الله بعنف وحشي. وصارت أرضهم من نصيب شعبه المختار.

إذن فيهوه حكم عليهم باقلاع جذورهم من الأرض التي نشأوا فيها، وعمروها. وبرميهم في تنور الحرق والابادة، لانهم عبدوا الهة أخرى. هنا نتساءل، بأسف مرير وحسرة ضارية: لماذا كان ينسى أو يتناسى اتباعه اليهود كلما انصرفوا عنه إلى عبادة الهة أخرى؟. لدرجة كان التحول عنه ديدنهم، وكان غفرانه لهم ابداً وصفحه عنهم دائماً.

شروط يهوه

ولا ينسى يشوع ان يذكرهم بشروط يهوه لامتلاك الأرض. اولها: عدم مخالطة الشعوب، أصحاب الأرض. "ولكن إذا رجعتم ولصقتم ببقية هؤلاء الشعوب، أولئك الباقين معكم. وصاهرتموهم، ودخلتم اليهم وهم اليكم، فاعلموا يقيناً ان الرب الهكم لا يعود يطرد أولئك الشعوب من امامكم. فيكونوا لكم فخاً وشركاً وسوطاً على جوانبكم وشوكاً في اعينكم، حتى تبيدوا عن تلك الأرض الصالحة التي اعطاكم اياها الرب الهكم. يشوع 23/12".

وثانيها: عدم معاهدة الشعوب "فلا تقطعوا عهداً مع سكان هذه الأرض. قضاة 2/2".

والشرط الثالث: عبادة يهوه. فكان كل قائد يخاطبهم بلسان يهوه، كي يدخل في روعهم ان كل ما ينسبونه لأنفسهم من انتصارات، هو بمعجزات من يهوه، وبفضل قيادته لهم. اما الشرط الرابع والمهم، فهو ابادة الشعوب، وقد رأينا ان وصايا يهوه، وفرائضه، واحكامه، وشرائعه، تكاد تنحصر في شيء واحد، هو ابادة الشعوب، وتدمير مظاهر العمران، وتمليك الأرض لاتباعه، بني إسرائيل.

هذه بعض شروط يهوه لامتلاك الأرض في القديم. وحديثاً قال موشيه منوحن في حديث ضمنه ذكرياته عن هجرته إلى فلسطين عام 1904 "وحتى في الأيام الاولى 1904 أخذت تظهر بوادر نزعة حربية. وشهوه إلى القتال بين اليهود. فكانت الخطوات الاولية: "لا تعاملوا طبيباً عربيا"، "لا تشتروا من تاجر عربي"، "لا تشتروا من بقال عربي، أو من بائع فواكه متجول عربي".

"وقد تمثلت البوادر الأولى لهذا الغزو في الشعار "على اليهود ان يشتروا المنتوجات اليهودية فقط". وعندما كان بائعي الخضر العرب يأتي إلى تل ابيب، ليبيع بضاعته، كان يتحلق حوله المعصبون من الصهاينة، فيقلبون عربته على الأرض، ويدوسون على بضاعته من الخضر، وسط اعجاب الجمهور الغوغائي بالعمل "القومي". وكان رجال الشرطة اليهود سرعان ما ينسحبون من

مكان الحادث. ويتوارون عن الانظار، حتى يزعموا، ان سئلوا في ما بعد، أنهم لم يروا شيئاً[33].

اما يهوه، واضع الشروط، فقد "رأينا بعد اطلاعنا على كتاب العهد القديم، اله إسرائيل "يهوه" متعصباً، متزمتاً. اختار شعبه إسرائيل.

وفوض لهم التسلط على أموال واعراض واملاك جميع العالم[34]. وهو اله خاص بهم. يكلم انبياءهم وقوادهم ويفرض عليهم ابادة الشعوب.

ويهوه وحده من بين جميع الهة الشرق القديم، يصدر اوامره بافناء، أو تشريد الكنعانيين، والاستيلاء على اراضيهم واملاكهم، ووهبها إلى قبيلته الخاصة.

وقد جعل اتباعه أصحاب الحق الابدي في أرض كنعان، التي كانت حدودها تتطور حسب ظروف حياتهم وقوة رغبتهم، التي هي انعكاس لمشاعرهم في الاستيلاء. ففي وعد تكون الأرض غربي الاردن، وفي آخر تكون الأرض على ضفتي الاردن، وفي ثالث تمتد حدود الأرض من الفرات إلى النيل. وقد بررت اسفار العهد القديم اغتصاب أرض الآخرين بالعنف والحرب والتذبيح، لأن يهوه وعدهم بها. ولن ينكث يهوه بوعده. فما عليهم الا تجريد السيوف ليكونوا ادوات فتك بيد يهوه، رب الجنود.

والوعد!

رب سائل: اما كان اله إبراهيم قادراً على طرد الامم من قدام اليهود، من دون سفك دماء؟ لماذا لم يشق الأرض لتبتلعهم، كما فعل مع بعض الأفراد والجماعات؟ وما دام "الله" قد جعل أرض كنعان ميراثهم، وخصهم بها من دون سائر الامم. لماذا لم يدخلهم إليها بسرعة وسهولة؟ وما دامت الأرض قد أضحت لهم بعد صدور وعد "الله" بها. لماذا لم يدخلوا أرض كنعان بعد خروجهم من مصر مباشرة، ليستلموا الميراث الذي خصهم "الله" به؟ لماذا

---

[33] مذكرات موشيه منوحن عن هجرته إلى فلسطين عام 1904. ترجمت ونشرت في مجلة شؤون فلسطينية. العدد ـ 8 ـ نيسان 1972.

[34] راجع كتاب إسرائيل بنت بريطانيا البكر للشيخ الدكتور محمد علي الزعبي ص 92.

دامت معارك الاستيلاء، وعلى اجزاء صغيرة من فلسطين، زهاء ثلاث مائة سنة؟ اكانوا عاجزين عن قهر أهل البلاد؟ لماذا لم يساعدهم "الله" ما دام الأمر امره؟ والاكثر من ذلك انه طالما كرر امامهم قوله سأطرد من أمامك الشعوب وأبيد الامم.

وفي الفصل الأخير من سفر يشوع، يلخص الكاتب أبرز الوقائع في حياة بني إسرائيل. من إبراهيم إلى يشوع. يقول "وجمع يشوع جميع اسباط إسرائيل إلى شكيم. دعا شيوخ اسرائيل ورؤساءهم وقضاتهم وعرفاءهم. فمثلوا امام الرب. وقال يشوع لجميع الشعب: هكذا قال الرب اله إسرائيل. آباؤكم سكنوا في عبر النهر منذ الدهر، تارح أبو إبراهيم. وعبدو آلهة أخرى. فأخذت إبراهيم أباكم وسرت في كل أرض كنعان، واكثرت نسله، واعطيته اسحق، واعطيت اسحق يعقوب وعيسو، واعطيت عيسو جيل سعير ليملكه. واما يعقوب وبنوه فنزلوا إلى مصر وأرسلت موسى وهارون، وضربت مصر، ثم اخرجتهم. ودخلتم البحر، وتبع المصريون آباءكم بمركبات وفرسان إلى بحر سوف. فصرخوا إلى الرب، فجعل ظلاماً بينكم وبين المصريين. وجلب عليهم البحر فغطاهم. واقمتم في الثغر اياماً كثيرة. ثم اتيت بكم إلى أرض الاموريين الساكنين في عبر الاردن. فحاربوكم، ودفعتهم بيدكم، فملكتم ارضهم، واهلكتهم من امامكم.. ثم عبرتم الاردن، واتيتم إلى اريحا. فحاربكم أصحاب اريحا، الاموريون والفرزيون، والكنعانيون والحثيون والجاشيون والحويون واليبوسيون، فدفعتهم بيدكم. وارسلت قدامكم الزنابير، وطردتهم من امامكم. لا بسيفك ولا بقوسك. واعطيتكم ارضاً لم تتعبوا عليها، ومدناً لم تبنوها، وتكنسون بها. ومن كروم وزيتون لم تغرسوها تأكلون. يشوع 24".

وفي سفر القضاة يتابع الكاتب سرد قصة الغزو. فيفتتح السفر بقوله "وكان بعد موت يشوع ان بني إسرائيل سألوا يهوه "القائد" قائلين: من منا يصعد إلى الكنعانيين أولاً لمحاربتهم؟ فقال يهوه: يهوذا يصعد.. ودفع يهوه الكنعانيين والفرزيين بيدهم، فضربوا منهم في بازق عشرة آلاف رجل.. وحارب بنو يهوذا اورشليم، وأخذوها وضربوها بحد السيف. واشعلوا المدينة

بالنار. بضاة 1/1". ثم يقول الكاتب "وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان اورشليم. فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين فـي اورشليم إلى هذا اليوم. قضاة 1/21".

وكأن الكاتب نسي ما قاله فـي الفصل ذاته، وقبل عشرة اسطر بالتحديد ان "بني يهوذا حاربوا اورشليم واخفوها..".

وكان الكاتب قدوقع قبلاً فـي مثل هذا التناقض. فقد ذكر فـي سفر يشوع 10/11 ان بني إسرائيل قتلوا ملك اورشليم بين الملوك الخمسة الذين علقوهم على الخشب واما الشعب الهارب فقد "رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء". وفـي يشوع 15/63 قال "وما اليبوسيون الساكنون فـي اورشليم، فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم. فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا فـي اورشليم إلى هذا اليوم".

الكاتب ينسب كل انتصار إلى معجزة يهوية، كناية عن رضى يهوه عنهم. وكل انهزام إلى غضب يهوه.

فقد برر الكاتب عدم قدرتهم على احتلال أرض كنعان، بغضب يهوه عليهم، فقال ان "اقطاب الفلسطينيين الخمسة، وجميع الكنعانيين، والصيدونيين، والحويين.. قد تركهم الرب لامتحان إسرائيل.. وتركوا الرب اله ابائهم.. وساروا وراء الهة أخرى من الهة الشعوب الذين حولهم، وسجدوا لها، وأغاظوا الرب. تركوا الرب وعبدوا البعل، وعشتاروت. قضاة 2/12".

كذا.. **الرب تخلى عنهم لانهم قطعوا عهداً مع سكان الأرض..**

وجدير بالملاحظة ان الكاتب يؤكد هنا ان الرب ترك جميع الكنعانيين. وقد نسي، كعادته، ما قاله فـي سفر يشوع 21/43 "ان الرب اعطى إسرائيل جميع الأرض". وطبيعي ان عبارة "جميع الأرض" تتضمن أرض كنعان.. التي تعتبر بمثابة النقطة التي دارت حول محورها جميع وعود يهوه.

ونسي ايضاً ما ذكره فـي سفر يشوع 24/11 "فحاربكم أصحاب اريحا .. والكنعانيون.. فدفعتهم بيدكم". وايضاً نيسي ما قاله فـي سفر القضاة 1/4 من ان الرب "دفع الكنعانيين والفرزيين بيدهم.. فحاربوهم وضربوهم" كما قال فـي

الفصل ذاته وبعد عشرة اسطر بالتحديد ان بني إسرائيل "ضربوا الكنعانيين. قضاة 1/17".

وعندما تنبه الكنعانيون لخطر القبيلة الغازية، التي "تلحس كل ما حولهم، كما يلحس الثور خضرة الحقل. عدد 22/4". "ولا تنام حتى تأكل فريسة، وتشرب دم قتلى. عدد 23/24". راحوا يعملون على اقتلاع خيامها من مرتفعاتهم، وقذفها خارج تخومهم. فكان القائد او الملك الإسرائيلي، وجاء الكاتب في ما بعد، يعيد هزائمهم، امام الكنعانيين، إلى غضب يهوه عليهم. في محاولة لجمع قلوبهم بيهوه، وسقوهم بأوامره التي هي أوامر القائد، إلى الاستبسال في المعارك، وتطبيق منهج الفتك والابادة، والابقاء على الرابطة الحميمة، الايمان بيهوه، التي تشدهم بعضهم إلى بعض، كلما شتتتهم الشعوب، ومزق شملهم أصحاب الأرض.

يقول الكاتب:

"وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب. فشدد الرب عجلون ملك موءاب، على إسرائيل.. وضربهم.. فعبد بنو إسرائيل عجلون ملك مؤاب ثماني عشرة سنة.. قضاة 3/12".

"وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب. فأقام لهم مخلصاً، اهود بن جيرا.. فأرسل بنو إسرائيل بيده هدية لعجلون.. فعمل اهود لنفسه سيفاً، وتقلده تحت ثيابه. وبعد ان قدم الهدية لعجلون.. قال: لي كلام سر اليك ايها الملك. وعندما خرج الحاضرون ضربه بالسيف في بطنه، ثم نادى بني إسرائيل وقال لهم "اتبعوني لأن الرب قد دفع اعداءكم الموءابيون ليدكم.. فضربوا من موءاب في ذلك الوقت نحو عشرة آلاف رجل...

وذل الموءابيون في ذلك اليوم تحت يد إسرائيل. قضاة 3/15".

وهكذا تلاحظ انه عندما اذلهم عجلون، ملك مؤاب، ثماني عشرة سنة، اعادوا ذلك إلى غضب يهوه عليهم، بسبب عملهم الشر في عينيه. وعندما اغتال اهود بن جيرا، ملك مؤاب، تحرروا، إلى حد ما، من سيطرة موءاب عليهم. نسبوا ذلك إلى رضى يهوه عنهم.

"وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب بعد موت اهود. فباعهم الرب بيد يابين، ملك كنعان، الذي ملك في حاصور. قضاة 4/1".

وقد نسي الكاتب ما ذكره قبلاً من ان يشوع "أخذ حاصور، وضربها وملكها بالسيف.. وضربوا كل نفس بها بحد السيف. حرموهم، ولم تبق نسمة. واحرق حاصور بالنار. يشوع 11/10".

قصص البطولات

"وعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين.. وكان لما صرخ بنوا إسرائيل إلى الرب بسبب المديانيين، ان الرب أرسل رجلاً نبياً" هو جدعون. "وكان لما اجتمع جميع المديانيين فاجتمع بنو إسرائيل. قضاة 16/1". "فقال الرب لجدعون: ان الشعب الذي معك كثير علي لافع المديانيين بيدهم، لئلا يفتخر علي إسرائيل، قائلاً: يدي خلصتني. قضاة 7/1".

فأمره بانتقاء الشجعان منهم. "فرجع من الشعب اثنان وعشرون الفاً، وبقي عشرة آلاف 7/3" ثم انتقى ثلاثمئة رجل من العشرة الآلاف، "وكان المديانيون والعمالقة وكل بني المشرق حالين في الوادي كالجراد في الكثرة 7/12" وكانت خطة جدعون ان "قسم الثلاث مئة الرجل إلى ثلاث فرق، وجعل ابوقاً في ايديهم كلهم، وجراراً فارغة، ومصابيح في وسط الجرار.. فجاءوا، وضربوا بالابواق وكسروا الجرار التي بأيديهم.. وامسكوا المصابيح بأيديهم اليسرى.. وضرب الثلاث المئين بالابواق. وجعل الرب سيف كل واحد بصاحبه.. فهرب الجيش 7/15". وكان "نحو خمسة عشر الفاً كل الباقين من جميع جيش بني المشرق. والذين سقطوا مئة وعشرون ألف رجل 8/10".

ثم امسك جدعون ملكي مديان، وقتلهما "وازعج كل الجيش.. وذل مديان امام بني إسرائيل. قضاة 8/12".

فيهوه ـ القائد يقف من قبيلته ابداً موقف الند للند. ولشد ما كان يعاتبهم، أو يلصق المنن في وجوههم، أو يفاخر بما فعله لاجلهم. وكأني به، في هذه الحادثة، توجس خيفة من السنتهم الطويلة، أو شعر بتعاليهم عليه،

وادعائهم بأن يدهم خلصتهم، لا يد الرب. فانتقى ثلاثمائة رجل، ولبس روح الرب جدعون. وكانت معركة المصابيح والابواق، فسسقط من بني المشرق مئة وعشرون ألف رجل. كذا.. ويهوه، تبعاً لارادة الكاتب، يكافئ اتباعه، ويثيبهم على اطاعتهم لاوامره. واكثرها يشدد على الفتك بالشعوب وابادة الامم.. ويعاقب قبيلته على تمردها وعصيانها. واكثر ما يكون عقابه لهم.. يدأب على تسليمهم إلى أيدي اعدائهم. فإذا ما عادوا إلى يهوه، وأظهروا ندمهم، انقذهم بمعجزة يهوية.

يقول الكاتب:

"وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب، وعبدوا البعليم والعشتاروت والهة ارام والهة صيدون والهة موءاب والهة بني عمون والهة الفلسطينيين. وتركوا الرب، ولم يعبدوه. فحمي غضب الرب على إسرائيل.. وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بني عمون. فحطموا ورضضوا بني إسرائيل ثماني عشرة سنة.

فصرخ بنوا إسرائيل إلى يهوه قائلين؟ اخطأنا اليك، لاننا تركنا الهنا وعبدنا البعليم. فقال الرب لبني إسرائيل.. وانتم قد تركتموني، وعبدتم الهة أخرى. لذلك لا أعود اخلصكم. امضوا واصرخوا إلى الالهة التي اخترتموها. فقال بنو إسرائيل.. افقدنا هذا اليوم. وازالوا الالهة الغريبة من وسطهم، وعبدوا يهوه فضاقت نفسه بسبب مشقة إسرائيل. قضاة 10/6".

"وكان يفتاح الجلعادي جبار بأس. وهو ابن امرأة زانية.. فاجتمع إليه رجال بطالون "مرتزقة"، وكانوا يخرجون معه.

وكان بعد أيام ان بني عمون حاربوا إسرائيل.. فقال شيوخ جلعاد ليفتاح: تعال وكن قائداً لنا. فنحارب بني عمون.. ثم جعله الشعب عليهم رأساً وقائداً.. فارسل يفتاح إلى ملك بني عمون، يقول: مالي ولك، انك اتيت إلي للمحاربة في ارضي؟. فقال ملك بني عمون لرسل يفتاح: لأن إسرائيل قد أخذ ارضي، عند

صعوده من مصر.. فالان ردها بسلام" .فأرسل يفتاح إلى ملك بني عمون قائلاً "عند صعود إسرائيل من مصر.. أرسل إلى ملك ادوم قائلاً دعني اعبر في ارضك. فلم يسمع ملك ادوم. وارسل ايضاً إلى ملك موءاب.. فلم يرض .. ثم أرسل إلى سيحون ملك الاموريين" فلم يقبل. "فدفع يهوه اله إسرائيل سيحون وكل شعبه ليد إسرائيل. فضربوهم. وامتلكوا كل أرض الاموريين، سكان الأرض..

والان. يهوه، اله إسرائيل، قد طرد الاموريين من امام شعبه إسرائيل. افأنت تمتلكه؟ أليس ما يملكك اياه "كموش" الهك تمتلك؟ وجميع الذين طردهم يهوه الهنا من امامنا فاياهم نمتلك؟. قضاة 11" .

كان هذا الاعتقاد سائداً بين القبائل والشعوب في الشرق القديم. وهو ان لكل قبيلة الهاً يطرد من امامها الشعوب، ويملكها الأرض. ويهوه لا يعدو ان يكون اله حرب قبلي، من النوع الذي يألفه الباحث في ارباب القبائل في الشرق القديم. حيث كان لكل قبيلة أو شعب أو مملكة اله ينصرها في الحروب ويملكها الأرض.

ويهوه أبداً إلى جانب بني إسرائيل. يرعاهم بعينيه، ويشنف اذنيه لصراخهم، ويتنسم رائحة الرضى من مذابحهم. وحين يحل بهم الضيق، كان يهوه يفرج كربتهم، ويخفف عنهم وطأة الأزمات التي تحيق بهم.

إسرائيل. "ولا غزو، فيهوه، اله التوراة، ان هو الا اله قبلي. ينحصر واجبه في العناية بقبيلته. فهو يخولهم حق ارتكاب كل ما هو في مصلحتهم. من حصول على الغذاء والثراء، وامتلاك الأرض الخصبة، والنساء. كما أنه يدافع عن تطلعاتهم وشهواتهم. انه باختصار يبرر كل ما يرتكبه شعبه المختار من المعاصي[35].

ويهوه اباح لاتباعه سفك الدماء، وانهاب الارزاق، والاستيلاء على الأرض، بالاسلوب الذي يشاءون، وبالطريقة التي يقدرون. بالقوة والعنف، أو بالغدر والاحتيال، أو بالخيانة والخداع.

---

[35] راجع تاريخ العرب واليهود للدكتور أحمد سوسة ط 4 دمشق ص 6.

ويهوه حين يفرض قانون الابادة، يبيح لشعبه ما يراه مناسباً في تنفيذ عملية الفتك والابادة. فقد تكون غدراً، كما فعل يشوع في عاي. وقد تكون غيلة، كما فعل اهود بن جيرا، حين اغتال ملك عجلون. وقد تكون مباغتة، كما فعلوا حين احالوا عرس الكنعانيين إلى مناحة.

من هنا يتضح لك ان اليهود قبيلة بدوية. ظهرت حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وتبنت معتقدات دينية، غايتها الاستيلاء على أراضي الآخرين. وقد استولا على مرتفعات فلسطين، ثم دحروا. وقد كانت مثل هذه الحوادث طبيعية.

ويتضح لك ان اليهود نظروا إلى الله من خلال مطامعهم السياسية، ومطالبهم الدنيوية. فرأوا فيه اداة تصل بهم إلى تحقيق اهدافهم، ووسيلة تؤدي بهم إلى اشباع شهواتهم المادية. فجاء فكرهم الديني يحبل بالمطامع الأرضية، والمكاسب السياسية، فلا يلد غير المذابح البشرية والكوارث الحضارية. وكان الفكر اليهودي الديني مريضاً بكراهية الشعوب، والحقد عليها. تتناهبه رغبات ضارية في الفتك والتدمير. لأن شهوة الاستيلاء على املاك الآخرين كانت تفور في نفوس اليهود. لم يستطيعوا ارواء نهمها، ولم يقدروا على كبتها. فكانت مطامعهم الأرضية تشدهم إلى الحضيض. بينما كانت معتقدات الامم التي عرفوها واحتكوا بها، تسمو بالانسان إلى درجة الاتحاد مع الالهة صانع الكون.

وبعد السبي والتشتت في نواحي الأرض ظلت "أرض إسرائيل" هي المحور في كتاباتهم الدينية، وفي فكرهم القومي. وغدا انبعاث شعب إسرائيل على ارضه عنصراً رئيسياً في الفكر اليهودي الديني. أو كما يقول كاتب يهودي[36]: "وظلت أرض إسرائيل في كتاباتهم الدينية، وفي فكرهم القومي، قلب الأمة اليهودية. وغدا انبعاث شعب إسرائيل على ارضه عنصراً رئيسياً في الفكر اليهودي الديني والاجتماعي. وغدا وجود الفرد خارج البنى السياسية والدينية المرسومة للشعب، أمر الوان شقائه".

---

[36] شمئيل ايتنفر ـ الفكر الصهيوني المعاصر ـ مركز الابحاث ـ بيروت 1968 ص 33.

وعندما كان الفلسطينيون يسيطرون على قبائل إسرائيل المنتشرة في بعض مرتفعات فلسطين. كان الكاتب يعيد عملية خضوعهم للفلسطينيين، إلى غضب يهوه عليهم. وعندما يتحررون من اسارهم، يردها إلى رضى يهوه عنهم.

نفس الاسلوب كرره الكاتب عشرات المرات: عمل بنو إسرائيل الشر، فدفعهم يهوه إلى يد الفلسطينيين أو الكنعانيين أو ليد أي فئة أخرى. فيبكون ويصرخون يزيلون الالهة الغريبة من وسطهم. فيندم يهوه على فعلته، ويعمل على انقاذهم، بأن يرسل لهم نبياً أو بطلاً اسطورياً، ينقذهم بأعاجيب اشبه باعاجيب يهوه ومعجزاته.

يقول الكاتب "ثم عاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب، فدفعهم ليد الفلسطينيين أربعين سنة. وكان رجل من صرعه.. اسمه منوح. وامرأته عاقر، لم تلد. فتراءى ملاك الرب للمرأة، وقال لها: ها أنت تحبلين وتلدين ابناً.. ولا يعل موسى رأسه.. وهو يخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين.

ثم ولدت المرأة ابناً، ودعت اسمه شمشون.. وابتدأ روح الرب يحركه. قضاة 13".

اما كيف خلص شمشون قومه، بني إسرائيل من يد الفلسطينيين؟ فبسلسلة من الاعاجيب اشبه بالاساطير. وبنفس الاسلوب الذي التزمه الكاتب. اعني به اسلوب المنطق التبريري. فكانت العهد القديم، أو قل ان "يهوه كان يطلب علة على الفلسطينيين. المتسلطين على ا سرائيل. قضاة 14/4" تكون بمثابة دافع لشمشون كي ينتقم لبني قومه من الفلسطينيين. فلم يجد ما يبرر الانتقام غير قصة هي اشبه بنسيج الوهم والخيال. مفادها ان شمشون احب امرأة من بناة الفلسطينيين. وفيما هو ماض إليها، في أحد الأيام، التقى "بشبل اسد. فحل عليه روح يهوه، فشقة كشق الجدي، وليس في يده شيء.. ولما رجع بعد أيام.. مال لكي يرى رمة الاسد. وإذا دبر من النحل في جوف الاسد مع عسل. فاشتار منه وأكل. قضاة 14".

ثم اقام شمشون وليمة في بيت المرأة. "فاحضروا له ثلاثين من الأصحاب". فطرح عليهم احجية مشروطة. فإن حلوها يعطيهم ثلاثين قميصاً

وثلاثين حلة ثباب. وان لم يقدروا اعطوه مثل ذلك. "قال لهم: من الآكل خرج أكل، ومن الجافي خرجت حلاوة. قضاة 14/14".

وعندما لم يستطيعوا حل الاحجية، "قالوا لامرأته تملقي رجلك، ولكي يظهر لنا الاحجية، لئلا نحرقك وبيت ابيك بنار". وعندما اطلعها شمشون على حل الاحجية اطلعت قومها عليها. فقالوا له "أي شيء احلى من العسل، وما أجفى من الاسد؟". فقال لهم، وقد ادرك ما فعلته امرأته "لو لم تحرثوا على عجلتي لما وجدتم احجيتي. وحل عليه روح الرب، فنزل إلى اشقلون، وقتل منهم ثلاثين رجلاً، وأخذ سلبهم. واعطى الخلل لمظهري الاحجية. قضاة 14/15".

وكأن الكاتب شعر بأن هذا المبرر غير كاف لانتقام شمشون من الفلسطينيين. فابتدع مبرراً آخر.. جعل أب المرأة يعطيها زوجة لصاحب شمشون. "فأمسك شمشون ثلاث مئة ابن آوى، وأخذ مشاعل، وجعل ذنباً إلى ذنب، ووضع مشعلاً بين كل ذنبين في الوسط. ثم اضرم المشاعل ناراً، واطلقها بين ذروع الفلسطينيين. فاحرق الاكداس والزروع وكروم الزيتون.. ثم نزل وأقام في شق صخرة عيطم. قضاة 15/4".

"وصعد الفلسطينيون. ونزلوا في يهوذا.. فقال رجال يهوذا: لماذا صعدتم علينا؟ فقالوا لكي نوثق شمشون.. فنزل ثلاثة الاف رجل من يهوذا إلى شق صخرة عيطم وقالوا لشمشون: اما علمت ان الفلسطينيين متسلطون علينا؟ 15/9". ثم اوثقوه، وسلموه إلى ايدي الفلسطينيين. وعندما صاح الفلسطينيون للقائه، حل عليه روح الرب فكان الحبلان اللذان على ذراعيه ككتان احرق.. ووجد لحي حمار طرياً، فاخذه، وضرب به ألف رجل.. ثم رمى اللحي من يده.. فشق الله اللحي، وخرج منه ماء فشرب. قضاة 15/14".

وكأن الكاتب شعر ايضاً بأن هذا المبرر غير كاف لانتقام شمشون من الفلسطينيين. فابتدع مبرراً آخر، هو زواج شمشون من دليلة، التي وعدت اقطاب الفلسطينيين بأن تطلعهم على سر قوته. وما زالت به في تملق والحاح حتى "كشف لها كل قلبه. وقال لها: لم يعل موسى رأسي.. فإن حلقت تفارقني

قوتي. فأنامته على ركبتيها، وحلقت سبع خصل رأسه". وعندما انتبه من نومه "ولم يعلم ان الرب قد فارقه.. فأخذه الفلسطينيون. وقلعوا عينيه.. ثم دعوا شمشون من بيت السجن، فلعب امامهم، وأوقفوه بين الاعمدة.. وكان البيت مملوءاً رجالاً ونساء. وعلى السطح نحو ثلاثة آلاف رجل وأمراة، ينظرون لعب شمشون.. فدعا شمشون الرب، وقال: يا سيدي يهوه. اذكرني وشددني هذه المرة، فانتقم نقمة واحدة من الفلسطينيين. وقبض شمشون على العمودين المتوسطين، اللذين كان البيت قائماً عليهما. واستند عليهما. الواحد بيمينه والاخر بيسارة. وقال شمشون: لتمت نفسي مع الفلسطينيين، وانحنى بقوة، فسقط البيت.. فكان الذين اماتهم في موته أكثر من الذين أماتهم في حياته. قضاة 16/17".

جميع الانتصارات التي نسبوها إلى أنفسهم، كانت بمعجزات من الههم وقائدهم، يهوه. حتى الابطال أو الانبياء الذين يرسلهم يهوه لانقاذهم، كانوا يحققون ما ادعوه من انتصارات بأعاجيب شبيهة بما يفعله يهوه.

فشمشون شق الاسد كشق الجدي، وليس في يده شيء. وشمشون حل عليه روح الرب، فقتل ثلاثين من الفلسطينيين، واعطى حللهم لمظهري الاحجية. وشمشون امسك ثلاث مئة ابن آوى. وشمشون حل عليه روح الرب، فكان الحبلان اللذان اوثقه بهما الفلسطينيون ككتان احرق. وشمشون ضرب بفك حمار ألف رجل. ثم شق "الله" الفك، فخرج منه ماء. وشمشون انحنى على العمودين اللذين كان البيت قائماً عليهما، فسقط البيت. وكم كان هذا البيت كبيراً وواسعاً حتى يحمل على سطحه ثلاثة آلاف رجل وامرأة؟ وكم كان العدد في الداخل؟ والبيت يستند على عمودين.

ولا ننسى ان الرب فارق شمشون مع حلق شعره.

وشمشون هذا "قضى لاسرائيل عشرين سنة. قضاة 16/31".

فبعد موت يشوع دبت الفوضى في القبائل العبرية، حتى ظهر القضاة الذين اضفى عليهم كتاب العهد القديم، صفة الابطال الاسطوريين. وما هم الا رؤساء مرتزقة كدعون وشمشون.

وهكذا يمكن ان نلخص اسلوب حياة بني إسرائيل، في جميع مراحل حياتهم التوراتية، بدورة واحدة. يعصون انبياءهم، وينصرفون عن عبادة الههم إلى عبادة الهة أخرى. فيهددهم يهوه، أو القائد الناطق باسم يهوه. وربما انزل العقاب الصارم بهم. فيرفعون اصواتهم بالندم والبكاء. فيرضى عنهم ربهم، ويطرد الشعوب من امامهم. ثم يعودون إلى العناد وعصيان الانبياء.. وهكذا..

اما الشعوب التي يسلطها يهوه على اتباعه، بهدف التكفير عن ذنوبهم، فكان يدفعها ليد بني إسرائيل متى شاء. وكل شخص أو شعب، يقع بين ايدي بني إسرائيل، يكون الرب قد دفعه اليهم. وعليهم ان يبيدوه أو يتعبدوه أو يسخروه، ما تقول شريعتهم.

حرب الغدر والمباغتة

وبعد موت شمشون "لم يكن ملك في إسرائيل. وفي تلك الأيام كان سبط الدانيين يطلب له ملكاً للسكنى. لانه إلى ذلك اليوم لم يقع له نصيب في وسط اسباط إسرائيل. فأرسل بنو دان خمسة رجال منهم.. لتجسس الأرض".

ولما لم يكن لهم في تلك الأثناء نبي أو ملك يتصل بيهوه، ويأخذ المشورة والرأي منه. فقد بعث الكاتب في طريقهم كاهناً، احضره بطريقة عجيبة. "قالوا له: أسال من الله، لنعلم هل ينجح طريقنا الذي نحن سائرون فيه. فقال الكاهن "كما اراد له الكاتب ان يقول" اذهبوا بسلام.. فجاءوا إلى لايش. ورأوا الشعب ساكنين بطمأنينة، كعادة الصيدونيين مستريحين، مطمئنين . وليس لهم أمر مع إنسان".

ثم رجع الرجال الخمسة إلى قبيلتهم وقالوا "لا تتكاسلوا عن الذهاب، لتدخلوا، وتملكوا الأرض. عند مجيئكم تأتون إلى شعب مطمئن. والأرض واسعة. ان الله قد دفعها ليدكم". ويقول الكاتب أنهم "جاءوا إلى لايش، إلى شعب مستريح، مطمئن. وضربوهم بحد السيف، واحرقوا المدينة بالنار. ولم يكن من ينقذ. لأنها بعيدة عن صيدون. ولم يكن لهم أمر مع إنسان. قضاة 18".

"تجسس الأرض.. شعب مستريح، مطمئن.. لم يكن من ينقذ، لأنها بعيدة عن صيدون". اما استولوا قديماً على الأرض بهذه الطريقة؟ قبيلة

همجية. جمعهم موسى برهبة اله عنيف. وساقهم بالتغريب والترهيب للاستيلاء، كما اوهمهم، على أرض العسل واللبن.

وعلى أبواب الأرض، كانوا يرسلون الجواسيس: "انظروا إلى الأرض، والشعب فيها. اقوي هو أم ضعيف؟ قليل أم كثير؟ وما هي المدن التي هو ساكن فيها؟ امخيمات أم حصون؟ عدد 13/17". فكانوا يغرونه على "شعب مطمئن"، أو مناطق معزولة "ولم يكن من ينقذ".

وحديثاً. اما استولوا على الأرض بالطريقة ذاتها؟

أما حاول صهاينة اليوم ان يعيدوا على أرض فلسطين تاريخهم البدائي، وسيرة ماضيهم الوحشي الغاشم؟ اما مثل بن غوريون وعصبته نفس الدور الذي لعبه اسلافهم على أرض فلسطين؟

ففي 14 و15 تشرين الأول 1953، مثلاً، هاجم، تحت جنح الظلام، 600 جندي بمدافعهم ورشاشاتهم وقذائفهم وصواريخهم، مباغتة وغدراً، قرية "قبية" الآمنة. المطمئنة، المعزولة على بعد ثلاثة كيلو مترات في داخل المملكة الاردنية. فدمروها. وقتلوا كل من وقع بين ايديهم من الرجال والنساء والاطفال. وذبحوا حتى الحيوانات[37].

وفي 29 تشرين الأول 1956 هاجموا قرية "كفر قاسم" مساء، عند رجوع الرجال من حقولهم إلى منازلهم. قتلوهم جميعاً، بعيداً عن القرية.

وكما فعلوا بأهل قبية وكفر قاسم الآمنين، المطمئنين، كذلك هجموا، مباغتة وغدراً، على قرية نحالين في 28 و29 آذار 1954. وغزة في 8 شباط 1955. وخان يونس في 31 آب. والبطيحة في 11 كانون الأول. وقلقيلية 1956. والتوافيق في 1 شباط 1962 واسموع في 13 تشرين الثاني 1966.

وهناك عشرات. بل مئات القرى التي ابادوا سكانها، أو شردوهم،وهدموا منازلهم، ليقيموا على أنقاضها مستعمرات صهيونية جديدة.

37 الاسرار المؤامرة الصهيونية لعبد الله النجار ص 69.

التابوت . الجيش

وفـي سفـر صموئيل الأول يستمـر الكاتب فـي سرد قصص الصراع بين أصحاب الأرض، وبين اليهود الغزاة. يقول "وخرج إسرائيل للقاء الفلسطينيين للحرب.. فانكسر اسرائيل امام الفلسطينيين.. وقال شيوخ إسرائيل لماذا كسرنا اليوم الرب امام الفلسطينيين؟ لنأخذ لانفسنا من شيلوه تابوت عهد الرب، فيدخل في وسطنا، ويخلصنا من يد أعدائنا". ويقول الكاتب ان "الفلسطينيين خافوا لأنهم قالوا قد جاء الله إلى المحلة.. ويل لنا. من ينقذنا من يد هؤلاء الالهة؟.. تشددوا". ويتابع الكاتب قائلاً "فحارب الفلسطينيون وانكسر إسرائيل، وهربوا كل واحد إلى خيمته.. وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف رجل. واخذ تابوت الله. صم 1 4/7".

يقول الكاتب: "فأخذ الفلسطينيون تابوت الله.. وادخلوه إلى بيت "داجون" الههم". ويظهر ان تابوت "الله" الذي عجز عن ضرب الفلسطينيين في قلب المعركة مع اسرائيل، كان قادراً على ضربهم في مواطنهم، بعيداً عن اجواء المعارك واصداء الحروب. فقد "ثقلت يد الرب على الاشدوديين" أهل اشدود الفلسطينيين "وأخرجهم وضربهم بالبواسير في اشدود وتخومها. ضم 1 5/6". فنقلوه إلى جت. "فكانت يد الرب على المدينة باضطراب عظيم جداً. وضرب أهل المدينة من الصغير إلى الكبير. ونفرت لهم البواسير 5/9". فأرسلوا التابوت إلى عفرون. فكانت "يد الله ثقيلة جداً هناك. والناس الذين لم يموتوا ضربوا بالواسير 5/12".

اما أهل بيت شمس فقد "ضرب منهم خمسين ألف رجل وسبعين رجلاً 6/19".

"وصرح صموئيل، الذي قضى لاسرائيل كل أيام حياته، إلى يهوه، من أجل إسرائيل. فاستجاب له يهوه. وعندما تقدم الفلسطينيون لمحاربة إسرائيل ارعد الرب بصوت عظيم في ذلك اليوم على الفلسطينيين، وازعجهم. فانكسروا امام إسرائيل. صم 1 7/9". ثم تجمع الفلسطينيون لمحاربة

إسرائيل. فاختبأ الاسرائيليون في المغاير والغياض والصخور والابار. ص1 13/6".

أرأيت إلى امجاد بني إسرائيل؟

"وكان في يوم الحرب انه لم يوجد سيف ولا رمح بيد جميع الشعب الذي مع شاول.. لانه لم يوجد صانع في كل أرض إسرائيل.. بل كان ينزل كل إسرائيل إلى الفلسطينيين لكي يحدد كل واحد سكته ومنجله وفاسه ومعوله. ص1 13/19".

أرأيت إلى حضارة بني إسرائيل وعمرانهم؟.

شاول

ثم خلص بنو إسرائيل من استعباد الفلسطينيين. كيف؟ من الطبيعي ان يكون الخلاص بمعجزة يهوية. وكيف؟ يقول الكاتب "صعد يوناثان بن شاول، وحامل سلاحه، إلى الفلسطينيون، فقتلا نحو عشرين رجلاً. صم1 14/14".

"وكان ارتعاد في المحلة، وفي جميع الشعب.. ورجفت الأرض. فكان ارتعاد عظيم. وإذا بسيف كل واحد على صاحبه. لأن تابوت الله كان في ذلك اليوم مع إسرائيل.. ثم جاء شاول، والشعب الذي معه إلى الحرب.. وخلص الرب إسرائيل في ذلك اليوم. صم1 145/23".

والملاحظ انه لم يحدث من قبل ان ارتعد الشعب أو ارتجفت الأرض، رغم ان عدد القتلى كان عشرات الآلاف. اما الآن، فرجلان من بني إسرائيل قتلا نحو عشرين رجلاً من الفلسطينيين، أدى إلى ارتجاف الأرض، وارتعاد عظيم. لماذا؟ لأن الكاتب اراد ذلك. فلم يجد ما يبرر به خلاص بني إسرائيل من سيطرة غير هذا السبب.

وبعد هذا الانتصار العجيب الذي حققه بنو إسرائيل على الفلسطينيين.

قال صموئيل لشاول: "يقول رب الجنود.. الآن اذهب، واضرب عماليق، وحرموا كل ماله، ولا تعف عنهم. بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً. صم1 15/3".

لأن يهوه لا يريد لاتباعه، بني إسرائيل، مجاورة الشعوب، خوفاً من تلوث شعبه الخاص بنجاسة الامم. فهو يأمر بافناء العشائر الفلسطينية والكنعانية، وسلبها، وإحرق بيوتها وزروعها. ويطلب من اتباعه ان يبقروا بطون الحوامل، ويفطموا الرضعان بشبا السيف. وإذا تباطأ اليهود في تنفيذ قرارات الابادة، واوامر الافناء، حضر ملاك الرب على اجنحة البرق، يهدد ويحذر على التباطؤ والتقاعس، ويطلب الاسراع في افناء ممالك كنعان، وتطهير الأرض من نجاسة الامم، لتكون موطئ قدمي يهوه، ومحلاً لبيته، وتطهير الأرض من نجاسة الامم، لتكون موطئ قدمي تقرباً ليهوه وزلفى.

وفي هذه الحادثة خالف شاول أوامر رب الجنود. فعندما "ضرب عماليق.. وحرم جميع الشعب بحد السيف، عفا شاول عن أجاج، ملك عماليق، وعن خيار الغنم والبقر والخراف. ولم يرضوا ان يحرموها. صم1 15/7".

أما يهوه، "اله المحبة والرأفة والحنان". فقد تملكه الغضب، وملأ قلبه السخط. وكلم صموئيل قائلاً "ندمت على اني جعلت شاول ملكاً. 15/10".

لماذا؟

لأن شاول، بعفوه عن خيار الغنم والبقر، قد خالف ارادة يهوه "وعمل الشر في عيني الرب. صم1 15/19". فاسترد الرب عهده مع شاول بأن يجعل من ذريته ملوكاً على إسرائيل إلى الابد. ثم استغاب شاول. يقول الكاتب "قال الرب لصموئيل: حتى متى تنوح على شاول. وأنا قد رفضته.. أملأ قرنك دهناً وتعال ارسلك إلى يسى، لاني قد رأيت لي في بنيه ملكاً. فقال صموئيل للرب كيف اذهب؟ ان سمع شاول يقتلني. فقال الرب خذ بيدك عجلة من البقر، وقل قد جئت لاذبح للرب. وادع يسى إلى الذبيحة، وأنا اعلمك ماذا تصنع. وامسح لي الذي أقول لك عنه. ففعل صموئيل كما تكلم الرب. وجاء إلى بيت لحم، فارتعد شيوخ المدينة عند استقباله، وقالوا: إسلام مجيئك؟ فقال: سلام. قد جئت

لاذبح للرب. تقدسوا، وتعالوا معي إلى الذبيحة. وقدس يسى وبنيه، ودعاهم إلى الذبيحة.

وكان لما جاءوا انه رأى اليآب، فقال: ان امام الرب مسيحه. فقال الرب لصمويل: لا تنظر إلى منظره وطول قامته، لاني قد رفضته.. فدعا يسى ابيناداب وعبره امام صموئيل. فقال: وهذا ايضاً لم يختره الرب.. وعبر يسى بنيه السبعة امام صموئيل. فقال صموئيل ليسى: الرب لم يختر هؤلاء.. وهل كملوا الغلمان؟ فقال: بقي بعد الصغير، وهوذا يرعى الغنم. فقال صموئيل ليسى: أرسل وأت به، لاننا لا نجلس حتى يأتي إلى هنا. فارسل واتى به. وكان اشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر. فقال الرب قم اسمحه لأن هذا هو. فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط اخوته. وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً. صم 1 16".

فالرب أمر نبيه صموئيل بأن يعمل من وراء شاول لصالح داود. ورسم له خطة قائمة على الحيلة والمكر والدهاء، حين أظهر له صموئيل خوفه من شاول.

ملك الملوك

وهكذا وقع اختيار يهوه على شمشون آخر، هو داود. داود الذي "امسك الاسد من ذقنه وقتله. صم 1 17/35". كما قتل الدب ايضاً. وتمكن بحجر المقلاع ان يقتل الجبار الفلسطيني جليات 17/50. "فلما رأى الفلسطينيون ان جبارهم قد مات هربوا 17/51". كما يقول الكاتب.

وكان من الطبيعي ان يبيت شاول الشر لدواد. لانه رأى فيه منافساً له على السلطة. وحاول أكثر من مرة نصب الشراك له، والبطش به. ولكنه لم يفلح[38]. فالتجأ داود إلى مغارة "واجتمع إليه كل رجل متضايق، وكل من كان عليه دين، وكل رجل مر النفس. فكان عليهم رئيساً. وكان معه نحو أربع مئة رجل. صم 1 22/1".

[38] لقد افرد الكاتب أربعة عشر فصلاً من سفر صموئيل الأول، للحديث عن الصراع بين شاول وبين داود. واظننا بغنى عن تفصيلها والتعليق عليها في هذا الكتاب.

"واشتهر داود والرجال الذين معه. صم 1 22/6" فكون منهم جيشاً من المرتزقة. وعندما جد شاول في استقصاء اخباره، وملاحقته، هرب داود إلى الفلسطينيين، واقام بينهم. ثم "حارب الفلسطينيون إسرائيل، فهرب رجال إسرائيل، وسقطوا قتلى في جبل جلبوع. صم1 31/1" وقتل شاول واولاده الثلاثة.

"ولما رأى جميع رجال إسرائيل الذين في الوادي، أنهم قد هربوا، وان شاول وبنيه قد ماتوا، تركوا مدنهم وهربوا. فأتى الفلسطينيون وسكنوا بها. أخبار 1 10/7".

بعد موت شاول انقسمت القبيلة الإسرائيلية إلى فخذين: يهوذا، ملك عليهم داود. واسرائيل، ملك عليهم ايشبوشت بن شاول. "وكانت الحرب طويلة بين بيت شاول وبين بيت داود صم2 3/1". وبعد سبع سنين انضم الفخذان. وملك عليهما داود.

كان داود لا يأتي امراً الا برأي يهوه. فقد سأله يوماً "أأصعد إلى الفلسطينيين؟ اتدفعهم ليدي؟ فقال يهوه لداود: اصعد،لاني دفعاً ادفع الفلسطينيين ليدك .. فضربهم داود. صم2 5/19".

وفي يوم آخر كان يهوه هو القائد، وهو المحارب. فقد "قال لا تصعد. بل در من ورائهم.. وعندما تسمع صوت خطوات في رؤوس اشجار البكا .. إذ ذاك يخرج الرب امامك لضرب محلة الفلسطينيين. صم2 5/23".

"وبعد ذلك ضرب داود "قتل من ارام سبع مئة مركبة واربعين ألف فارس. صم 2 10/18".

وداود الذي احرز كل هذه الانتصارات، وقتل كل هذه الآلاف، وجعل محافظين في ادوم كلها، وفي ارام دمشق. فتن عليه ابنه ابشاولم الذي "استرق قلوب رجال إسرائيل. ص 2 15/6". "وارسل جواسيس في جميع اسباط إسرائيل قائلاً: إذا سمعتم صوت البوق، فقولوا قد ملك ابشالوم في حبرون. وانطلق مع ابشالوم مئتا رجل من اروشليم. فأتى مخبر إلى داود قائلاً: ان قلوب رجال إسرائيل صارت وراء ابشالوم. فقال داود لجميع عبيده الذين معه

في اورشليم: قوموا بنا نهرب، لانه ليس لنا نجاة من وجه ابشالوم. اسرعوا للذهاب، لئلا يبادر ويدركنا وينزل بنا الشر، ويضرب المدينة بحد السيف. صم2 15/10.

"وصعد داود في جبل الزيتون باكياً، ورأسه مغطى، ويمشي حافياً. وجميع الشعب الذين معه، غطوا كل واحد رأسه، وهم يبكون..

"وقيل لداود: ان اخيتوفل "مشير داود" بين الفاتنين مع ابشالوم. صم2 15/30".

وراح داود الملك، المتخفي في قمة الجبل، يرسل الجواسيس، متسقطاً أخبار ابنه الذي فتن عليه، وملك في حياته. وجاءه من يقول "هوذا ابشالوم مقيم في اورشليم، لانه قال اليوم يرد لي بيت إسرائيل مملكة ابي. صم 2 16/1".

"ولما جاء الملك داود إلى بحوريم، إذا برجل خارج من هناك، من عشيرة بيت شاول، يسب ويرشق بالحجارة داود، وجميع عبيد الملك داود، وجميع الشعب، وجميع الجبابرة.. ويقول في سبهك اخرج يا رجل الدماء. قد رد الرب عليك كل دماء بيت شاول، الذي ملكت عوضاً عنه. وقد دفع الرب المملكة ليد ابشالوم ابنك. وها أنت واقع بشرك، لانك رجل دماء. صم 2 16/5".

وأما ابشالوم "فقال لاخيتوفل: اعطوا مشورة. ماذا نفعل؟ فقال اخيتوفل لابشالوم: ادخل إلى سراري ابيك اللواتي تركهن لحفظ البيت، فيسمع كل إسرائيل انك قد صرت مكروهاً من ابيك. فتشدد ايدي جميع الذين معك. فنصبوا لابشالوم الخيمة على السطح. ودخل ابشالوم إلى سراري ابيه، أمام جميع إسرائيل. وكانت مشورة اخيتوفل في تلك الأيام كمن يسأل بكلام الله. صم 2 16/20".

هذ ما فعله ابشالوم في اورشليم. اما داود فكان "مختبئاً في إحدى الحفر. صم 2 17/9" واخيراً، بعد سلسلة من أعمال الجاسوسية، شب قتال بين اتباع داود، وبين اتباع ابنه ابشالوم. "فانكسر شعب إسرائيل، امام عبيد داود. وكانت هناك مقتلة عظيمة في ذلك اليوم. قتل عشرون الفاً صم2

18/8". وقتل ابشالوم. فحزن عليه داود. "وصعد إلى علية الباب يبكي ويقول: يا ابني ابشالوم. يا ليتني مت عوضاً عنك. يا أبشالوم ابني. صم 2 18/334". "وستر الملك وجهه، وصرخ الملك بصوت عظيم: يا ابني ابشالوم. يا ابشالوم ابني. يا ابني. فدخل يوآب "أحد قواد داود" إلى الملك، وقال: قد اخزيت اليوم وجوه جميع عبيدك.. لاني علمت اليوم، انه لو كان ابشلوم حياً، وكلنا اليوم موتى، لحسن حينئذ الأمر في عينيك. صم2 19/4".

"واما إسرائيل فهربوا كل واحد إلى خيمته. وكان جميع الشعب في خصام، في جميع اسباط إسرائيل، قائلين: ان الملك قد انقذنا من يد اعدائنا، وهو نجانا من الفلسطينيين. والان قد هرب من الأرض لاجل ابشالوم. صم 19/9".

ويقول كاتب التوراة أنه "كانت حرب بين الفلسطينيين، وبين إسرائيل. فانحدر داود، وعبيده معه. وحاربوا الفلسطينيين، فاعيا داود". وقد حاول أحد الفلسطينيين ان يقتل داود، فانجده واحد من بني إسرائيل. "حينئذ حلف رجال داود له قائلين: لا تخرج ايضاً معنا إلى الحرب ولا تطفئ سراج إسرائيل. صم2 21/15".

رأيت؟..

هذه صورة خاطفة وسريعة لداود، "ملك الملوك" ورجل الدماء. كما عرضها الكتاب المقدس. تحدث عن نفسها بنفسها.

بعد موت داود، اخذ ابنه سليمان زعامة القبائل الإسرائيلية. "وكان لما اكمل سليمان بناء بيت الرب. ملوك 1 9/1" "جمع شيوخ إسرائيل، وكل رؤوس الاسباط.. واصعدوا تابوت الرب، وخيمة الاجتماع، مع جميع انية القدس التي في الخيمة.. إلى محراب الرب. ملوك 1 8/1". "ووقف سليمان امام مذبح الرب، تجاه كل جماعة إسرائيل. وبسط يديه إلى السماء، وقال: يا يهوه، اله إسرائيل. ليس اله مثلك في السماء، من فوق، ولا على الأرض من اسفل. وليعلم كل شعوب الأرض ان يهوه هو الله وليس آخر.. إذا انكسر شعبك إسرائيل امام العدو، لانهم اخطأوا أليك. ثم رجعوا، واعترفوا باسمك، وصلوا

وتضرعوا اليك نحو هذا البيت. فاسمع أنت من السماء، واغفر خطية شعبك، وارجعهم إلى الأرض التي اعطيتها لابائهم.. إذا اخطأوا اليك. وغضبت عليهم، ودفعتهم إلى العدو. وسباه سابوهم إلى أرض العدو. بعيدة أو قريبة.. فإذا تضرعوا اليك في أرض سبيهم.. وصلوا اليك نحو ارضهم التي اعطيت لابائهم.. فاقض قضاءهم. ملوك 81".

فالكاتب الذي خط هذا السفر، على ما يظهر، أثناء السبي البابلي. اراد من صلاة سليمان ان تكون تعبيراً عما كان يختلج في صدور بعض المسبيين من امل العودة إلى "أرض الميعاد".

والكاتب واحد من المسبيين، يضنيه الحنين إلى الأرض. جعل مزامير الاسرائيليين ترجع التغني بالارض، قبل ان يطردوا من الأرض.

سِفْر الملوك

عاشت مملكة سليمان عشرين عاماً، يمزقها القلق، وينخر فيها سوس الاضطراب. وبموت سليمان يفتك بها الفقر والذل، وتتكس رؤوسها لأهل البلاد الاصليين. ويتنازع الملك ابناؤه ومواليه. فكان الكيد والدسيسة سلاح بعضهم، وكان الغدر والبطش سلاح البعض الآخر. وبموته تمزقت قبائل بني إسرائيل إلى فريقين متنازعين متحاربين. ملك على الاول "إسرائيل" يربعام بن سليمان. وملك على الثاني "يهوذا" رحبعام بن سليمان.

وسليمان لم يكن، وهو في اوج مجده الا ملكاً صغيراً، تابعاً. يحكم مدينة صغيرة[39]. وكانت دولته من الهزال وسرعة الزوال بحيث انه لم تنقض بضعة اعوام على وفاته، حتى استولى شيشنق، أول فراعنة الأسرة الثانية الخامسة للملك رجبعام، عد شيشق، ملك مصر إلى اورشليم، وأخذ خزائن بيت الرب، وخزائن بيت الملك، واخذ جميع اتراس الذهب التي عملها سليمان، ملوك 1 14/25".

اما المذبح الذي نصبه سليمان في هيكله، فصار مربطاً لعجول الاصنام، تزلفاً وقربى لليبوسيين، أصحاب مدينة القدس.

[39] H.G. Wells" A Short History of the Eorld, London. 1938. P. 77.

يقول الكاتب "وكانت حرب بين يربعام ورحبعام كل أيام حياتهما. ملوك 1 15/6".

"وفـي السنة الثامنة عشرة للملك يربعام، ملك ابيا على يهوذا.. وكانت حرب بين ابيا وبين يربعام.. فضرب الرب يربعام وكل إسرائيل امام ابيا ويهوذا. فانهزم بنو إسرائيل من امام يهوذا. وضربهم ابيا وقومه ضربة عظيمة. فسقط قتلى من إسرائيل خمس مئة ألف رجل مختار.

وكانت الحرب ابداً مشتعلة بين فريقي القبائل الإسرائيلية. وكثيراً ما كان أحد الفريقين يستعين بجيوش الشعوب المجاورة للقضاء على الفريق الآخر، كما فعل آسسا، ملك يهوذا. إذ "أخذ جميع الفضة والذهب الباقية فـي خزائن بيت الرب، وخزائن بيت الملك، ودفعها ليد عبيده، وارسلهم إلى بنهدد ملك ارام، الساكن فـي دمشق، قائلاً: ان بيني وبينك، وبين ابي وابيك، عهداً.. فتعال انقض عهدك مع بعشا، ملك إسرائيل، فيصعد عني. فسمع بنهدد للملك آسا، وارسل الجيوش على مدن إسرائيل، وضربها. ملوك1 15/18".

"وكانت حرب بين اسا وبعشا كل ايامهما. ملوك 1 15/31". ثم "ملك أيلة بن بعشا على إسرائيل. ففتن عليه عبده زمري.. وقتله.. وافنى زمري كل بيت بعشا.. وكان الشعب نازلاً على جبشون التي للفلسطينيين.. فملك كل إسرائيل عمري، رئيس الجيش على إسرائيل. ملوك 1 16/8". "حينئذ انقسم شعب إسرائيل نصفين. نصف الشعب كان وراء تبني بن خينة، ونصفه وراء عمري. ملوك 1 16/21".

يقول كاتب العهد القديم:

"وجمع بنهدد ملك ارام كل جيشه، واثنين وثلاثين ملكاً معه، وخيلاً ومركبات. وصعد وحاصر السامرة وحاربها. وارسل رسلاً إلى خاب ملك إسرائيل قائلاً: لي فضتك وذهبك، ولي نساؤك وبنوك الحسان. فأجاب ملك إسرائيل قائلاً: حسب قولك يا سيدي الملك. انا وجميع مالي لك. ملوك1 20/1".

ورغم هذا الجواب من ملك إسرائيل. فقد رفض الكاتب ان تصدر هذه الذلة والمسكنة عن ملك إسرائيل. فكيف غير مجرى الأمور؟ قال: "وإذا نبي تقدم إلى آخاب ملك إسرائيل وقال: هكذا قال يهوه. هل رأيت كل هذا الجمهور العظيم؟ ها انذا ادفعه ليدك اليوم. فتعلم اني انا يهوه. فقال آخاب: بمن؟ فقال هكذا قال يهوه: بغلمان رؤساء المقاطعات.. فعد غلمان رؤساء المقاطعات، فبلغوا مئتين واثنين وثلاثين. وعد بعضهم كل الشعب، كل بني إسرائيل، سبعة الاف. ملوك1 20/13".

"فخرج غلمان رؤساء المقاطعات، لملاقاة بنهدد والملوك الاثنين والثلاثين الذين ساعدوه.. وضربوا .. فهرب الاراميون، ونجا بنهدد. ملوك 1 20/17".

رأيت؟

بمعجزة يهوية ضرب 232 رجلاً اسرائيلياً، "ملك ارام، وكل جيشه، واثنين وثلاثين ملكاً معه":. وهرب من نجا من أيديهم.

وفي السنة الثانية صعد بنهدد ليحارب إسرائيل. "فنزل بنو إسرائيل مقابل الاراميين نظير قطيعين صغيرين من المعزى. واما الاراميون فملأوا الأرض. فتقدم رجل الله، وكلم ملك إسرائيل، وقال: هكذا قال يهوه. من أجل ان الاراميين قالوا ان يهوه انما هو اله جبال، وليس هو اله اودية، ادفع كل هذا الجمهور العظيم ليدك، فتعلمون اني انا يهوه.. فضرب بنو إسرائيل من الاراميين مئة ألف راجل في يوم واحد.. وسقط السور على السبعة والعشرين ألف رجل الباقين. ملوك 1 20/26".

كيف؟

بمعجزة يهوية.

وقد كان انتقام يهوه رهيباً، لمجرد اتهامهم له بأنه اله جبال، وليس اله اودية. "واقاموا ثلاث سنين من دون حرب بين ارام وبين إسرائيل. ملوك 1 22/1".

ثم تعاون يهوشا فاط ملك يهوذا، وآخاب ملك إسرائيل،على حرب ارام. فقتل آخاب "ولحست الكلاب دمه. ملوك 1 22/38". "وعبرت الرنة في الجند

عند غروب الشمس، فهرب كل رجل إلى مدينته، وكل رجل إلى ارضه. ملوك 1 22/36".

ثم تعاون يهورام ملك إسرائيل، ويهوشافاط ملك يهوذا، على محاربة مؤاب. فقال لهما نبي الرب، اليشع: "هكذا قال الرب: لا ترون ريحاً، ولا ترون مطراً. وهذا الوادي يمتلئ ماء.. الرب يدفع مؤاب إلى ايديكم. فتضربون كل مدينة محصنة، وكل مدينة مختارة. وتقطعون كل شجرة طيبة، وتطمون جميع عيون الماء، وتفسدون كل حقلة جيدة بالحجارة. ملوك 2 3/17".

ثم "بكر المؤابيون صباحاً. والشمس اشرقت على المياه، ورأى المؤابيون مقابلهم اليماه حمراء كالدم. فقالوا هذا دم. قد تحارب الملوك، وضرب بعضهم بعضاً. والان إلى النهب يا مؤاب.. فقام بنو إسرائيل، وضربوا المؤابيين. فهربوا من امامهم..وهدموا المدن. وكان كل واحد يلقي حجرة في كل حقلة جيدة، حتى ملأوها. وطموا جميع عيون الماء، وقطعوا كل شجرة طيبة. ملوك 2 3/22".

فالنصر كان بمعجزة يهوية. اما هدم المدن، وتكويم الحجارة في الحقول، وردم عيون الماء، وقطع الاشجار الطيبة. فكان تعبيراً عن مرارة الحقد يغتلي في صدورهم وشهوة الانتقام تفح في نفوسهم.

"ثم بعد ذلك اتى بنو مؤاب وبنو عمون، ومعهم العمونيون، على يهوشافاط للمحاربة.. فخاف يهوشافاط، وجعل وجهه ليطلب الرب.. وان يحزئيل. . كان عليه روح الرب.. فقال: اصغوا يا جميع يهوذا. هكذا قال الرب لكم: لا تخافوا بسبب هذا الجمهور الكثير، لأن الحرب ليست لكم، بل الله.. اخرجوا للقائهم، والرب معكم..

وقال يهوشافاط: اسمعوا يا يهوذا سكان اورشليم. آمنوا بالرب الهكم فتأمنوا. آمنوا بأنبيائه فتفلحوا. ولما استشار الشعب اقام مغنين للرب ومسبحين.. ولما ابتدأوا في الغناء والتسبيح، جعل الرب اكمنة على بني عمون ومؤاب وجبل ساعير، الاتين على يهوذا. فانكسروا. وقام بنو عمون ومؤاب على سكان جبل ساعير ليحرموهم ويهلكوهم. ولما فرغوا من سكان ساعير، ساعد

بعضهم على اهلاك بعض. ولما جاء يهوذا إلى المرقب في البرية، تطلعوا نحو الجمهور، وإذا هم جثث ساقطة على الأرض. ولم ينفلت أحد. فأتى يهوشافاط وشعبه لنهب اموالهم.. وكانوا ثلاثة أيام ينهبون الغنيمة..

وكانت هيبة الله على كل ممالك الأرض، حين سمعوا ان الرب حارب اعداء إسرائيل. أخبار2 20".

رأيت اعاجيب يهوه ومعجزاته؟ "جعل الرب اكمنة على بني عمون.. وإذا هم جثث ساقطة.. وكانت هيبة الله على كل ممالك الأرض.. وساعد بعضهم على اهلاك بعض". كيف؟ من الطبيعي ان يكون يهوه قد ضرب قلوبهم بالعمى.

وبعد موت يهوشافاط" ملك يهورام ابنه عوضاً عنه.. فقام يهورام على مملكة ابيه، وتشدد، وقتل جميع اخوته بالسيف. أخبار 2 21/1". إلى يهوذا، وافتتحوها، وسبوا كل الأموال الموجودة في بيت الملك، مع بنيه وسنائه ايضاً. أخبار 2 21/16".

رأيت؟

حين انقسموا على أنفسهم، وتصارعوا بعضهم مع بعض، كانت شعوب كنعان، خاصة الشعب الفلسطيني، وجيوش الامم المجاورة، تصعد اليهم، فتقهرهم وتذلهم. فيرحلون من مكان إلى آخر، أكثر امناً واشد اطمئناناً، يحطون لرحالهم ويضربون اطنابهم.

ويستمر الكاتب في سرد اسفار "المجد والبطولات". يقول: "واما ملك ارام فكان يحارب إسرائيل". قال لعبيدة يوماً "في المكان الفلاني تكون محلتي. فأرسل رجل الله" اليشع" إلى ملك إسرائيل قائلاً: احذر من ان تعبر من هذا الموضع، لأن الاراميين حالون هناك. فحذر الموضع ملك إسرائيل، وتحفظ منه. وتكرر هذا الأمر أكثر من مرة. فحسب ملك أرام ان بين جنده من يخونه "فاضطرب ودعا عبيده: ليس كذا يا سيدي الملك. ولكن اليشع النبي يخبر ملك إسرائيل بالامور التي تتكلم بها في مخدع مضجعك. ملوك 2 6/8".

أرأيت إلى اليشع النبي، يعرف ما يدور في رأس ملك ارام، من خطط وأفكار؟

"فارسل ملك ارام خيلاً ومركبات وجيشاً ثقيلاً، وجاؤوا ليلاً، واحاطوا بالمدينة.. "هي دوثان حيث يقيم اليشع".

"وصلى اليشع إلى الرب وقال: اضرب هؤلاء بالعمى. فضربهم الرب بالعمى، كقول اليشع. فقال لهم اليشع: ليست هذه هي الطريق، ولا هذه هي المدينة. اتبعوني فأسير بكم إلى الرجل الذي تفتشون عليه. فسار بهم إلى السامرة. فما دخلوا السامرة قال اليشع: يا رب افتح اعين هؤلاء فيبصروا. ففتح الرب اعينهم، فابصروا، وإذا هم في وسط السامرة". ولكنه لم يأمر بضربهم بل أولم لهم، ثم اطلقهم. "فلم تعد جيوش ارام تدخل إلى أرض إسرائيل. ملوك 2 6/14".

ورأيت إلى يهوه، ينفذ ما يأمر به اليشع؟ فحين قال له: اضربهم بالعمى. ضربهم الرب بالعمى، وحين قال: افتح اعينهم. فتح الرب اعينهم.

والنصر. بمعجزة يهوية أو نبوية، كما رأيت. ويتابع الكاتب متغنياً بملاحم هؤلاء الملوك. يقول: "وكان بعد ذلك ان بنهدد ملك أرام، جمع كل جيشه، وصعد، فحاصر السامرة. وكان جوع شديد في السامرة. حاصروها حتى صار رأس الحمار بثمانين من الفضة. ملوك2 6/24". وصارت المرأة تأكل ابنها من الجوع.

وعندما تدخل اليشع، وطلب النصر من الرب. استجاب له "فاسمع جيش الاراميين صوت مركبات وصوت خيل، صوت جيش عظيم. فقالوا الواحد لاخيه: هوذا ملك إسرائيل قد استأجر ضدنا ملوك الحثيين وملوك المصريين. فقاموا وهربوا، وتركوا خيامهم وخيلهم وحميرهم.. فصارت كيلة الدقيق بشاقل وكيلتا الشعير بشاقل. ملوك 2 7/6".

تُرى، لماذا لم يُسمع الرب جيش الاراميين، صوت مركبات وصوت خيل وصوت جيش عظيم، قبل ان يحاصروا السامرة، ويصبح رأس الحمار بثمانين من الفضة. وتصير المرأة تأكل ابنها؟

لست أدري!

أدري ان الكاتب فك الحصار بمعجزة يهوية.

أرأيت إلى أمجاد بني إسرائيل؟

"ثم حول حزائيل، ملك ارأم، وجهه ليصعد إلى اورشليم. فأخذ يهواتش، ملك يهوذا، جميع الاقداس.. وكل الذهب الموجود في خزائن بيت الرب، وبيت الملك. وأرسلها إلى حزائيل، ملك ارام. فصعد عن اورشليم. ملوك 2 12/17".

"وضايقهم ملك ارام.. فلم يبق ليهوه أحاز، ملك إسرائيل الا خمسين فارساً وعشر مركبات وعشرة آلاف راجل. لأن ملك ارام افناهم، ووضعهم كالتراب للدوس حتى اعطى الرب إسرائيل مخلصاً. فخرجوا من تحت يد الاراميين. واقام بنو إسرائيل في خيامهم. ملوك 2 13/4".

ويروي الكاتب في الفصل الخامس والعشرين من سفر أخبار الأيام الثاني، ان امصيا، ملك يهوذا، احصى من يهوذا "ثلاث مئة الف مختار.. واستأجر من إسرائيل مئة ألف جبار بأس، بمئة وزنة من الفضة". فأشار عليه رجل الله قائلاً: "ان الرب ليس مع إسرائيل.. فقال امصيا لرجل الله: فماذا يعمل لاجل المئة الوزنة التي اعطيتها لغزاة إسرائيل". "وضرب امصيا من بني ساعير عشرة آلاف. وعشرة آلاف احياء سباهم بنو يهوذا، واتوا بهم إلى رأس سالع، وطرحوهم. فتكسروا اجمعون. واما الرجال الغزاة الذين أرجعهم امصيا، فاقتحموا مدن يهوذا.. وضربوا منهم ثلاثة الاف، ونهبوا كثيراً".

أرأيت إلى شعب الله المختار، استأجر من إسرائيل مئة ألف جبار. "مرتزقة" وعندما قال له رجل الله: ان الرب ليس مع إسرائيل. خامره الخوف من ضياع الفضة التي استأجر بها مرتزقة إسرائيل، من غير ان يجني منها فائدة. فضرب برأي يهوه عرض الحائط. وحارب، وانتصر. وطبيعي بمعجزة يهوية.

ثم تواقع يهوآش، ملك إسرائيل، وامصيا ملك يهوذا، في بيت شمس "فانهزم يهوذا اما إسرائيل، وهربوا كل واحد إلى خيمته.. فجاء يهوآش إلى "اورشليم"، وهدم سورها.. وأخذ كل الذهب والفضة وجميع الانية الموجودة في بيت الرب، وفي خزائن بيت الملك. ورجع إلى السامرة. ملوك 2 14/12".

هذه اورشليم المقدسة، والهيكل بيت الله. ويأتي ملك إسرائيل. يهدم الاسوار، ويستبيح الهيكل، ويغنم ما فيه من ذهب وفضة، ومن تحف وآنية. ثم يموت مرضياً عنه. يقول الكاتب أنه "اضطجع من ابائه، ودفن في السامرة مع ملوك إسرائيل. ملوك 2 14/16". أي قضى على الأقل غير مغضوب عليه.

اما امصيا، ملك يهوذا فقد "فتنوا عليه في اورشليم. فهرب إلى لخيش فارسلوا وراءه، وقتلوه هناك. ملوك 2 14/19".

وفتن شالوم بن يابيش على زكريا بن يربعام، ملك اسرائيل "وضربه امام الشعب، فقتله، وملك عوضاً عنه.. ثم صعد منحيم بن جادي من ترصه. وجاء إلى السامرة وضرب شالوم بن يابيش فقتله، وملك عوضاً عنه. ملوك 2 15/8".

وفي عهد منحيم هذا "جاء فول، ملك اشور على الأرض. فاعطى منحيم لفول ألف وزنة من الفضة، لتكون يداه معه، ليثبت المملكة في يده. ووضع منحيم الفضة على إسرائيل.. ليدفع لملك اشور خمسين شاقل فضة على كل رجل. فرجع ملك اشور. ولم يقم هناك في الأرض. ملوك 2 15/19".

وبعد منحيم ملك ابنه فقحيا. "ففتن عليه فقح بن رمليا. وضربه في السامرة قتله وملك عوضاً عنه. ملوك 2 15/25".

وفي أيام فقح، ملك إسرائيل، جاء تغلت فلاسر، ملك اشور، واخذ عيون وابل بيت معكة ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل.. وسباهم إلى اشور.

وفتن هوشع من ايلة على فقح بن رمليا. وضربه، فقتله. وملك عوضاً عنه. ملوك 2 15/29".

وهوشع هذا "صعد عليه شلمناسر، ملك اشور، فصار هوشع له عبداً. ودفع له جزية. ووجد ملك اشور في هوشع خيانة.. فقبض عليه، واوثقه في السجن. وصعد ملك أشور على كل الأرض. وصعد إلى السامرة، وحاصرها.. سبى إسرائيل إلى اشور. ملوك 2 17/3".

"وأتى ملك اشور بقوم من بابل.. واسكنهم في مدن السامرة، عوضاً عن بني إسرائيل. فامتلكوا السامرة، وسكنوا في مدنها. ملوك 2 17/24".

ثم "صعد سنحاريب ملك اشور على جميع مدن يهوذا الحصينة، وأخذها.. فوضع ملك اشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاث مئة وزنة من الفضة، وثلاثين وزنة من الذهب. فدفع حزقيا جميع الفضة الموجودة في بيت الرب، وفي خزائن بيت الملك. وفي ذلك الزمان قشر حزقيا الذهب عن أبواب هيكل الرب، والدعائم.. ودفعه لملك اشور، ملوك 2 18/13".

وسنحاريب هذا قفل راجعاً إلى نينوى، كما يقول الكاتب، طلان ملاك الرب خرج، وضرب من جيش اشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفاً. ولما بكروا صباحاً، إذا هم جميعاً جثث ميتة. ملوك 2 35/19".

كيف؟

طبيعي بمعجزة يهوية. ولكن، لماذا لم يضرب ملاك الرب جيش اشور قبل ان يصل إلى اورشليم. ويضطر حزقيا ان يدفع كل الذهب الموجود في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك. ويقشر الذهب عن أبواب هيكل الرب، والدائم. ويدفعه إلى ملك اشور؟.

وملك يهو آحاز في اورشليم "فاسره فرعون نخو.. وغرم الأرض بمئة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب. ملوك 2 33/23".

وجاء في الفصل الثامن والعشرين من سفر أخبار الأيام الثاني ان "آحاز" ملك اورشليم "عمل تماثيل مسبوكة للبعليم.. فدفعه الرب الهه ليد ملك ارام فضربوه وسبوا منهم سبياً عظيماً، وأتوا بهم إلى دمشق..

وقتل فقح بن رمليا في يهوذا مئة وعشرين الفاً في يوم واحد.. وسبى بنو إسرائيل من اخوتهم مئتي ألف من النساء والبنين والبنات. ونهبوا ايضاً منهم غنيمة وافرة.

في ذلك الوقت أرسل الملك احاز إلى ملك أشور، لكي يساعدوه. فإن الادوميين اتوا ايضاً، وضربوا يهوذا، وسبوا سبياً. واقتحم الفلسطينيون مدن السواحل، وجنوبي يهوذا، وأخذوا بيت شمس وايلون وجديروت، وسوكو وقراها، وتمنة وقراها، وجمزو وقراها، وسكنوا هناك".

في أيام يهوياقيم، ملك اورشليم "صعد نبوخذ ناصر، ملك بابل. فكان له يهوياقيم عبداً. ملوك 2 24/4". ثم "قيده بسلاسل نحاس ليذهب به إلى بابل. وأتى نبوخذ ناصر ببعض انية بيت الرب إلى بابل. أخبار 2 36/6".

وفي أيام يهوياكين ايضاً "جاء نبوخذ ناصر، ملك بابل، إلى اورشليم .. فسبى اهلها إلى بابل.. واخرج من هناك جميع خزائن بيت الرب؟ وخزائن بيت الملك. وكسر كل انية الذهب التي عملها سليمان. ملوك2 24/11".

ثم ان نبوخذ ناصر عزل يهوياكين "وملّك صدقيا اخاه على يهوذا واورشليم" ولما "عمل الشر في عيني الرب.. اصعد عليهم الرب ملك الكلدانيين. فقتل مختاريهم بالسيف، في بيت مقدسهم. ولم يشفق على فتى أو عذراء، ولا على شيخ أو اشيب. بل فع الجميع ليده. وجمع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة، وخزائن بيت الرب، وخزائن الملك، ورؤسائه، اتى بها جميعاً إلى بابل. وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل. فكانوا له ولبنيه عبيداً. إلى ان ملكت فارس. أخبار 2 36/10".

هذا عرض موجز لسجل "امجادهم" من خلال اسفارهم المقدسة.

وقد رأيت كيف غزوا أرض كنعان، متسلحين بوعد الههم، وبمجازر وحشية. هدفها ابادة السكان أو تشريدهم. ونصبوا خيامهم زمناً قصيراً في بعض تلولها. يتخذون من شعابها وصخورها حصناً لهم واسواراً. ولم يتركهم أصحاب الأرض ينعمون بشيء من الطمأنينة أو الاستقرار. فعاشوا بين كر وفر. وكانت التلول بين أخذ ورد.

وظلوا طوال فترة ملكهم القصيرة، محاطين بممالك أكثر قوة، وارقى مدنية، وحضارة[40]. وظلت دويلتهم، كما رأيت، محصورة في بعض المرتفعات. وهي بنت استيلاء عابر، طارئ، ولم تعمر أكثر من سبعين عاماً في عهدي داود وسليمان. ولم يتمتع الشعب العبراني بخفض العيش الا امداً وجيزاً. فمات حيرام، وانقطع عون صر، الذي كانت تقوى به اورشليم. ثم قويت شوكة مصر ثانية. وانقطع عون صور، الذي كانت تقوى به اورشيم. ثم قويت مصر ثانية.

40 E.H. Weech: "Civilization of the Near East, P. 82.

واصبح تاريخ ملوك إسرائيل وملوك يهوذا، تاريخ ولايتين صغيرتين بين شقي الرحى. تعركهما على التوالي سوريا، ثم بابل من الشمال، ومصر من الجنوب وهي قصة نكبات. قصة ملوك برابرة يحكمون شعباً من البرابرة. حتى إذا وافت سنة 721 ق.م. محت يد الاسر الاشوري مملكة إسرائيل من الوجود. وزال شعبها من التاريخ زوالاً تاماً وظلت مملكة يهوذا تكافح حتى اسقطها البابليون سنة 586 ق.م.[41].

أرأيت إلى حياة بني إسرائيل في فلسطين، خاصة بعد موت سليمان؟ لقد كانت اشبه بحياة رجل اصر على الوقوف في وسط ميدان صاخب. فكان مصيره ان دهمته السيارات[42]. وهكذا انتهت القرون التي عاشتها الملكية العبرانية. وكانت من بدايتها إلى نهايتها، مجرد حدث صغير على هامش احداث تاريخ مصر وسوريا واشور وفينيقيا[43].

رؤيا الخلاص

وعندما شتتهم الاشوريون ثم البابليون، راحوا يحلمون بالعودة إلى "أرض الميعاد". وكان كتبة العهد القديم من البراعة ان جعلوا من هذه الاحلام نبوءات، تدفق في صدورهم الامال، بأن يهوه سيفتقدهم، وينقذهم من عذاب الاسر وذل النفي ويعيدهم إلى "أرض الميعاد".

يقول كاتب العهد القديم: "وفي السنة الأولى لكورش، ملك فارس. لاجل تكميل كلام الرب بفم ارميا. نبه الرب روح كورش، ملك فارس. فأطلق نداء في كل مملكته، وكذا بالكتابة قائلاً: هكذا قال كورش، ملك فارس: ان الرب اله السماء قد اعطاني جميع ممالك الأرض. وهو اوصاني ان أبني له بيتاً في اورشليم. من منكم من جميع شعبه. الرب الهه معه وليصعد. أخبار 2 36/22".

بهذ الكلام ينهي الكاتب سفر أخبار الأيام الثاني. ويستهل سفر عزرا "النبي" بالكلام ذاته. مضيفاً إليه "يصعد إلى اورشليم. فيبني بيت الرب، اله

41 H.g. Wells: A Short History of the World. London. 1938. P. 78.

42 H.G, Wells: The Outline of History. P. 280.

43 Ibid. P. 282.

إسرائيل. هو الاله الذي في اورشليم. وكل من بقي في أحد الاماكن حيث هو متغرب فلينجده أهل مكانه بفضة وبذهب وبأمتعة وببهائم، مع التبرع لبيت الرب. عزرا 1/3".

فبعد السبي والتشتت، والقهر والتشرد، والشعور بالخوف، وعدم الاستقرار. لم يبق لهم ما يبث في نفوسهم الهدوء، ويدب في روعهم الاطمئنان، غير الامال، يزرعها انبياؤهم في صدورهم، وينشرون حبل الاماني في وجوههم المتعبة. وكان الوعد بيوم الرجاء، بالخلاص الاتي. فرسخت في اذهانهم فكرة المسيح المخلص، الذي يأتي، وينقذهم مما صاروا عليه من ذل وهوان. ويعيد لهم مجد داود وسليمان. وكانت رؤياهم عن المسيح المنتظر، ملكاً من نسل داود. مملكته في الدنيا يخضع الشعوب لسيطرتهم، ويضع اقدامهم فوق رقاب الامم.

وحياة السبي التي عانوها عمقت في نفوسهم عقدة الحقد والكراهية للشعوب، كل الشعوب.ومنها استوحوا اعتقادهم بمجيء المسيح الملك، لينتقم لهم من امم الأرض.

قال النبي اشعيا "ويكون في ذلك اليوم ان أصل يسى[44]، القائم راية للشعوب. اياه تطلب الامم، ويكون محله مجداً. ويكون في ذلك اليوم ان السيد يعيد يده ثانية، ليقتني بقية شعبه، التي بقيت من أشور ومن مصر ومن فتروس ومن كوش ومنعيلام ومن شنعار ومن حماة ومن جزائر الامم. ويرفع راية للامم. يجمع منفيي إسرائيل، ويضم مشتتي يهوذا، من أربعة أطراف الأرض.. وينقضان على اكتاف الفلسطينيين غرباً، وينهبون بني المشرق معا. يكون على ادوم وموءاب امتداد يدهما، وبنو عمون في طاعتهما 11/10".

لم يبق لهم ما يروون به غلة الحقد والانتقام، غير الحلم ـ النبوءة: في ذلك اليوم.. ينقضان على اكتاف الفلسطينيين. وينهبون بني المشرق. ويخضعون ادوم وموءاب وبني عمون. الشعوب التي قهرتهم واذلتهم، قم قذفتهم

---

[44] يسى هو والد داود.

خارج تخومها، عندما رأتهم يصلون الشعوب، كل الشعوب، بنار الحقد والكراهية. وكان الحلم ـ الرؤيا، ان أصل يسى يقوم راية للشعوب.

هذا قديماً.

وحديثاً قال بن غوريون "ان ما خلق دولة اسرائيل هو رؤيا الخلاص المسيحي المنتظر لدى شعب مشتت في سائر انحاء العالم. ولكن الدولة لم تحقق الرؤيا بعد[45].

وفي تموز 1957 دعا بن غوريون إلى مؤتمر عقائدي بمدينة القدس. وفي هذاالمؤتمر اعلن ان الامل في الخلاص من النفي والتشتت. وبعبارة أخرى، الانتظار المسيائي، يؤلف ايمان إسرائيل.

ورأى ان رؤيا الخلاص عند مجيء المسيح المنتظر، ينبغي ان تكون القاعدة التي يرتكز عليها ايمان اليهودي. وبالتالي تكون الرابط الذي يجمع الشعب اليهودي. قال "ان فكرة العودة إلى صهيون، واحياء الدولة اليهودية. ليست من اختراع بنسكر أو هرتزل. فالرؤيا والامل هما بعمر الغربة ذاتها. وجل ما فعلته الصهيونية السياسية هو محاولة ارساء هذه الفكرة القديمة، بجذورها العميقة، في حياة الشعب اليهودي.

فليس من الممكن فهم كل ما حدث في ايامنا، من تجديد الدولة اليهودية، وهجرة عشرات الآلاف من اليهود الذين لم يقرأوا هس وبنسكر وهرتزل، وربما لم يسمعوا باسم الصهيونية مطلقاً، دون الالتفات إلى رؤيا الخلاص على يد المسيح المنتظر. تلك الرؤيا التي تمتد جذورها إلى اعماق الشعب اليهودي[46].

وبن غوريون يرى في التوراة الاثر الاعظم قوة وتأثيراً في اليهود، من الناحيتين: القومية والدينية. خاصة في ما يتعلق برؤيا الخلاص، وانتظار مجيء المسيح المخلص. وهذه الرؤيا شحنت اليهودي على مر العصور بقوة وحيوية، جعلته قادراً على مواجهة الوان المحن التي حلت به والصعوبات التي اعترضت طريقه.

---

[45] بن غوريون ـ بعث إسرائيل ومصيرها. ص 489.

[46] بن غوريون ـ إسرائيل والدياسبورا ـ في كتاب الحكومة السنوي لاسرائيل 957.

نفهم من التوراة، ومن كلام بن غوريون انه عندما استبان لهم استحالة تحقيق احلامهم في العودة، وتشييد امبراطورية تخضع لها الامم. باستخدام طاقاتهم البشرية، عمدوا إلى ابتكار قوة خارقة، تحقق لهم احلامهم. وراحوا ينتظرن هذه القوة في شخص داود آخر. أو ما يسمى بالمسيح المنتظر.

وتشبثوا بفكرة مجيء المخلص، الذي يجمع شمل التائهين المشردين. وهذه الفكرة هي تعبير عن الروح القومية لليهود من جهة. ومن جهة أخرى هي تأكيد لاستعدادهم الحي الخالد ابداً للعودة إلى فلسطين.

كلما اشتعلوا حنيناً إليها. يشرعون في جميع الوجوه احلامهم بمسيح منظر، يكون ملكاً لهم، ورباً. يعيدهم إلى فلسطين، ويعيد لهم "مجداً" كان.

يقول حزقيال النبي "كما يفتقد الراعي قطيعه يوم يكون في وسط غنمه المشتتة. هكذا افتقد غنمي، واخلصها من جميع الاماكن التي تشتت إليها.. واخرجها من الشعوب وأجمعها من الأراضي، وآتي بها إلى ارضها، وارعاها على جبال إسرائيل، واقيم عليها راعياً واحداً، فيرعاها عبدي داود. هو يرعاها. وهو يكون لها راعياً. وانا يهوه اكون لهم الهاً، وعبدي داود رئيساً في وسطهم 34/12".

"فالصهيونية والمسيانسيم ظلتا فكرة واحدة لغاية واحدة. بمعنى ان التضرع لمجيء المسيح، الذي سوف يكون الخلاص على يده، هو في الوقت ذاته دعاء للرجوع إلى "أرض الميعاد"[47].

أكرر:

عندما عانوا الاضطهادات المريرة عبر التاريخ، نما في نفوسهم توق ونزوع إلى مخلص، ينقذهم من عار الخيبات التي يمنون بها، ويخلصهم من الاضطهاد الذي يلحق بهم. فكانت نبوءة التجمع، وفكرة مجيء مخلص، دعوة سياسية، آمنوا بها كباعث على التحرر من وطأة السبي، واستعباد الشعوب لهم. وكمنطلق ديني يجمع اليهود باسم الشريعة وطقوسها وذبائحها وانظمتها، ليعيدوا بناء مجد، تخيلوا انه كان لهم أيام داود وسليمان.

---

[47] من مقال لمحمد المحمصاني ـ جريدة فتى العرب البيروتية ـ 4 ايار 1914. والمسيانسيم نسبة إلى المسيح المنتظر.

"يقول الرب: وانا اجمع بقية غنمي من جميع الأرضي التي طردتها إليها. وأردها إلى مرابضها. فتثمر وتكثر.. واقيم لداود غصن بر، فيملك وينجح، ويجري حقاً وعدلاً في الأرض. في ايامه يخلص يهوذا، ويسكن إسرائيل آمناً.. لذلك ها أيام تأتي، يقول الرب، ولا يقولون بعد حي هو الرب الذي اصعد بني إسرائيل من أرض مصر. بل حي هو الرب الذي اصعد وأتى بنسل بيت إسرائيل من أرض الشمال، ومن جميع الأراضي، التي طردتهم إليها. فيسكنون في ارضهم. ارميا 23/3".

وهكذا وضعوا خطة الرجوع إلى فلسطين، وبناء الهيكل في اورشليم، ليكون عرشاً للمسيح المنتظر، الذي يأتي في سطوة زمنية. ينقذهم من حكم الدول التي استعبدتهم، ويعيد لهم مجداً يدعون انه كان لهم في غابر الأزمان. "هكذا قال السيد يهوه: ها اني ارفع إلى الامم يدي، والى الشعوب اقيم رايتي. فيأتون بأولادك في الاحضان. وبناتك علياالاكتاف يحملن. يكون الملوك حاضنيك، وسيداتهم مرضعاتك. بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك. ويلحسون غبار رجليك. اشعيا 49/22".

وبمقدار ما كان شعورهم بالضعف والمهانة يقوى، بمقدار ما كان الامل بالعودة يقوى. وراح انبياؤهم يضخمون صورة الامل، والاطار الذي يحتضن هذه الصورة. فإذا صورة المملكة التي يحلمون ببنائها صورة خيالية، لا نظير لها في عالم الواقع، لأنها بنت خيالهم. وكان اطار تلك الصورة امبراطورية عالمية، واسعة الارجاء، بعيدة الحدود. يكونون فيها سادة، وجميع الشعوب عبيداً. وتكون اورشليم عاصمة العالم.

وكلما تضاءلت امامهم فرص النجاح، كلما قوي في نفوسهم الامل ببناء مملكة يهودية.

"ارفعي عينيك حواليك، وانظري. قد اجتمعوا كلهم. جاءوا اليك. يأتي بنوك من بعيد. وتحمل بناتك على الايدي.. تتحول اليك ثروة البحر، ويأتي اليك غنى الامم. اشعيا 60/4".

"وبنوا الغريب يبنون اسوارك. وملوكهم يخدمونك.. تنفتح ابوابك دائماً.. ليؤتى اليك بغنى الامم، وتقاد ملوكهم. اشعيا 60/10". "ويقف الأجانب، ويرعون غنمكم، ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم. اما انتم فتدعون كهنة الرب. تأكلون ثروة الامم، وعلى مجدهم لتآمرون. اشعيا 61/5".

تُرضعون، وعلى الايدي تُحملون، وعلى الركبتين تدللون. اشعيا 66/22".

بهذه التنبؤات وامثالها، ظل امل العودة إلى فلسطين دائم الاتقاد في صدورهم، كظاهرة ورع روحية مقدسة.

ولبثوا دهراً يتخيلون المسيح الموعود ملكاً صاحب عرش وتاج. بفتح بيت المقدس بالسيف، ويعيد فيها بناء الدولة الدائلة.

وفي الاسر البابلي تعلقت آمالهم بعودة المملكة على يد بطل من ابطال الغيب. ولم يكن هذا البطل مقصوراً عندهم على ذرية داود. بل زعموا مرة انه كورش الفارسي الذي سمي بالمسيح.

هكذا يقول الرب لمسيحه كورش. الذي امسحت بيمينه لادوس امامه امماً.. لاجل عبدي يعقوب واسرائيل، مختاري. دعوتك باسمك. لقبتك وأنت لست تعرفني. انا الرب، وليس آخر. اشعيا 45/1".

وعن كورش يقول اشعيا في نبؤة أخرى "انا الرب.. القائل عن كورش راعي. فكل مسرتي يتمم. ويقول عن اروشليم ستبنى، وللهيكل وعن كورش يقول رب الجنود، كما تنبأ اشعيا "هو يبنى مدينتي، ويطلق سبي. لا بثمن ولا بهديه. قال رب الجنود 45/13".

طبيعي لا بثمن ولا بهدية. لأن امه استير اليهودية ارضعته لبان محبة إسرائيل. فرؤيا الخلاص، اكرر، أصبحت تكون جبلة النفسية اليهودية، بعد الاضطهاد والاستعباد، في بابل وفي مصر، وبعد التشتت في نواحي الارض. وراحوا يتطلعون، وفي صدورهم امل وقاد، إلى مجيء مخلص، يفتدي اسرائي، ويعيدهم اسياداً إلى "أرض الميعاد" ، ويضع الامم تحت اقدامهم الامل الذي يضري في نفوسهم، وكأنه تعبير عن عقدة الشعور التي تستحر في ذواتهم، بأنهم كانوا تحت اقدام الامم.

فالنصوص التوراتية حضرة وتنبأت بمسيح يأتي ليحل مشاكل اليهود السياسية. ويبني لهم مملكة أرضية.

وقد رأيت في مستهل هذا البحث، أنهم حين عجزوا عن تأسيس دولة، واقامة ملك، اوكلوا هذا الامر إلى الههم. ومن هنا كانت جميع المعتقدات المستمدة من فرائض يهوه واحكامه، تدور حول محور واحد هو الشؤون السياسية. وظل يهوه اسير حوادث تاريخية معنية، وحبيس آمال سياسية خاصة بهم. كتب على نفسه أمر تحقيقها أو الظفر بها. فأخضعه اتباعه اليهود لهم، وجعلوا منه قائداً يعمل على تحقيق نزواتهم، حين كانوا قبائل رحلاً، يبتغون الاستقرار في قطعة أرض، تكون وطناً لهم. فاتخذوا من يهوه الهاً قومياً، وزجوه في مسألة البحث عن وطن، وتعيين الأرض. ثم اصدار وعدهم بتمليكهم هذه الأرض. فكان ان تسلحوا بوعد الههم، حين فكروا بغزو الأرض، وظلوا متسلحين به في فترة حكمهم القصيرة، وفي حروبهم المستمرة مع أصحاب الأرض الفلسطينيين والكنعانيين. حتى انبياء يهوه. فأن الغرض الأول الذي يستشفه الباحث من اقوالهم وتصرفاتهم. ينحصر في ما ارادوه للشعب اليهودي من تحقيق ملكية أرض. وتثبيت هذه الملكية إلى نهاية الدهور.

وكان كتبة العهد القديم من البراعة، ان لفقوا تاريخهم بمهارة فائقة، ليكون عوناً لهم في تحقيق مختلف اهوائهم ونزعاتهم. ونسبوا كل شيء إلى الرب، عبر انبيائهم الكثيرين. وذلك ليضمنوا تقبله من اتباعهم، وفرضه على سائر الشعوب. فحين قذفتهم الأرض، وشتتتهم جيوش بابل واشور، في مختلف بقاع الأرض، فوضوا أمر اعادتهم إلى فلسطين، للرب. يقول النبي ارميا "واجعل عيني عليهم، وارجعهم إلى هذه الأرض. وابنيهم، لولا اهدمهم. واغرسهم، ولا اقلعهم. واعطيهم قلباً ليعرفوني اني انا الرب. فيكونوا لي شعباً. وانا اكون لهم الهاً، لانهم يرجعون الي بكل قلبهم 24/6".

ويقول النبي حزقيال "ارضى عنكم حين اخرجكم من بين الشعوب، واجمعكم من الأراضي التي تفرقتم فيها. واتقدس فيكم امام عيون الامم.

فتعلمون اني انا الرب حين آتي بكم إلى أرض إسرائيل،إلى الأرض التي رفعت يدي لاعطي آباءكم اياها 20/41".

ويقول النبي عاموس "في ذلك اليوم اقيم مظلة داود الساقطة، واحصن شقوقها، واقيم روحها. وابنيها كأيام الدهر. لكي يرثوا بقية ادوم، وجميع الامم. وأرد سبي شعبي.. واغرسهم في أرضهم. ولن يقلعوا بعد من ارضهم التي اعطيتها. قال يهوه الهك 9/11".

ويقول النبي ميخا "واني اجمع جميعك يا يعقوب. اضم بقية إسرائيل 2/12".

ويقول النبي زكريا "هكذا قال رب الجنود.ها انذا اخلص شعبي من أرض المشرق. ومن أرض المشرق. ومن أرض مغرب الشمس. وآتي بهم، فيسكنون في وسط اورشليم. ويكونون لي شعباً، وانا اكون لهم الهاً 8/7".

إسرائيل تجسيد للرؤى والتنبؤات

فمنذ السبي الشاوري والبابلي، وهم يرنون بحسرة إلى فلسطين، ويتطلعون بأمل ورجاء إلى يوم العودة إلى صهيون، والهيكل، وارض العسل واللبن. وبعد خراب الهيكل، وبدء عهد الشتات، ضري الامل وقوي الرجاء. حتى باتت التنبؤات والرؤى، خاصة رؤيا الخلاص، بواعث قوية، تحدو بهم إلى التجمع والتكتل، وشحذ العزائم، للعودة إلى أرض الرب ومهد الانبياء.

وجاءت الصهيونية تتبنى تحقيق التنبؤات، وتنفيذ رؤيا الخلاص. فالصهيونية قائمة في جذور الديانة اليهودية. والديانة اليهودية قومية، تجسدت في الحركة الصهيونية. هذا ما عبر عنه بن غوريون[48] عام 1967 قال "لقد آمنا طوال آلاف السنين بنبوءات انبيائنا. وبيننا اشخاص يؤمنون بمجيء المسيح الذي سيجمع يهود العالم، امواتاً واحياء، في الأرض المقدسة".

وقال "ان الصهيونية تستمد وجودها وحيويتها وقوتها من مصدر عميق، عاطفي، دائم. وهو مستقل عن الزمان والمكان، وقديم قدم الشعب اليهودي ذاته. هذا المصدر هو الوعد الالهي، والامل بالعودة".

48 الكتاب السنوي لحكومة إسرائيل 1967.

نفهم من كلام بن غوريون ان الحركة الصهيونية، ارست دولة إسرائيل في أرض فلسطين، ايماناً منها بتنبؤات العهد القديم. وما تزال الصهيونية العالمية تضغط على الدول التي تتمتع فيها بنفوذ واسع، اميركا مثلاً، لمساندة إسرائيل سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، لمواصلة تحقيق التنبؤات. ونفهم ايضاً ان الصهيونية حركة قومية. لها جذورها في الديانة اليهودية. فلا صهيونية من دون يهودية. ولا ديانة يهودية من غير صهيونية. لأن الصهيونية، هذه الحركة القومية السياسية، عملت، وما فتئت تعمل بجهد هائل وقوة جبارة على جعل التنبؤات والرؤى والوعود حقيقة واقعة. وهل في الديانة اليهودية غير الوعود بتمليك اليهود أرض الآخرين، والتنبؤات التي تدفق الامل في صدورهم، وتبشر بعودتهم، كلما كسحتهم مناجل التنكيل والاضطهاد، واضناهم الشوق وبعد المزار.

هذه الرؤى والتنبؤات، حملت اليهودي بعد آلفي سنة من التشتت والاضطهاد، على تسخير جميع القوى والعوامل، للعودة إلى الأرض التي حددها العهد القديم، ليعيد عليها تاريخه القديم وسيرته الماضية. فكانت إسرائيل تجسيداً للرؤى التوراتية والتنبؤات الدينية، التي حضنها اليهود آلاف السنين.

جاء في بيان مجلس الحاخامين الاعلى 1937 قولهم:

أ. ان ارضنا المقدسة، قد منحت لنا من قبل سيد الكون، عن طريق ميثاق ابدي، لكي نمارس في هذه الأرض قوانين وتعاليم التوراة، ولكي نحيا بروح التوراة. وهكذا يرتبط الشعب اليهودي إلى الابد بهذه الأرض، بكل خلجات نفسه.

ب. ولما كنا قد طردنا من ارضنا، لما ارتكبناه من خطايا، فإن الله قد وعدنا عن طريق انبيائه المقدسين، انه سوف يحررنا مرة أخرى عن طريق المسيا. وان الايمان بهذا الوعد هو أحد المبادئ الاساسية للعقيدة اليهودية.

ج. وهكذا فإن حق الأمة اليهودية فـي ارضها المقدسة، تمتد جذوره إلى توراتنا المقدسة، وفـي الضمانات التي اعطاها الانبياء كرسل للرب[49].

واظن ان العقل الانساني غير قادر على تقبل هذه النبوءات، بغير ترجمتها إلى توقعات، أو رغبات فجة مسعورة، لم يستطيعوا خنق نباحها فـي صدورهم، الا بوضعها على لسان اله، ومن ثم اخذها من فم نبي. والعمل على تحقيقها، ولو فـي الشعور والحلم.

وفـي فورات النصر فـي ساحة حرب، أو الفوز فـي مؤتمر أو محفل، تفور هذه التنبؤات، والتوقعات الدينية، المترسبة فـي العقل الباطن عند رجالات الصهيونية. يقول بن غوريون فـي رسالة له "ان اليهود لم ينسوا مطلقاً أرض آبائهم واجدادهم، حيث عاشوا كشعب واحد، ونزل عليهم الكتاب المقدس، الذي يعتبر ذروة عظمة شعبنا. فبعد تفرقنا واضطهادنا فـي جميع انحاء المعمورة، منذ آلاف السنين، عدنا للتجمع فـي وطننا الأم، لبناء دولة كبرى، نجمع فيها شعبنا من جديد".

هل يسمح لنا بن غوريون، واي بن غوريون آخر أن نسأله:

ومتى كانت ارضهم؟ ومتى عاشوا شعباً واحداً؟ ومن أين نزل عليهم الكتاب المقدس؟

عرفت قصة الأرض،التي اجتاحت بعض مرتفعاتها هذه القبيلة. الهمجية لفترة قصيرة من الزمن. ثم انحسرت عنها، مخلفة فـي عمرانها التدمير والتخريب. وعرفت كيف تمزقت هذه القبيلة إلى بطون وافخاذ. يحتمي كل بطن تحت جناح عشيرة أو شعب من أصحاب أرض. اما الكتاب المقدس فلم ينزل عليهم كما يدعي بن غوريون. وانما نزل صاحب الكتاب يهوه. وقد رأيت كيف كان يحضر على جناح البرق، يكلمهم ويظهر لهم. خذ مثلاً قول الكاتب "فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم".

---

[49] Samuel Halperin, The Political Word of American Zionism, 1961, P. 321.

والله صارع يعقوب حتى الفجر، كما يقول الكاتب في الفصل الثاني والثلاثين من سفر التكوين.

وفي نشوة الانتصار ايضاً، يضرب قادة الصهيونية على اوتار المشاعر الدينية المشبوبة، لبث الحماس في النفوس، وايقاد العواطف الدينية، في سبيل تحقيق التنبؤات، واستعادة الارض التي يدعون انها أرض آبائهم. فتراهم يستغلون الكتب والنشرات والمحاضرات والندوات، ويسخرون آلاف المبشرين لتأويل الآيات، وتفسير التنبؤات، بأن ما حدث، ويحدث من وقائع وحروب. ان هو الا تحقيق لنبوءة، أو مصداق الآية. قال الحاخام الأكبر لليهود في برقية لدايان "ان وجود إسرائيل في المناطق الجديدة، هو تحقيق لاحلام السلف من شعبنا". والتقى معه الوزير ايغال الون في وصفه المناطق المحتلة بأنها "المناطق التي تم تحريرها". ورد على أحد الوزراء الذي اقترف ذنباً حين نفى وجود روابط توراتية في مرتفعات الجولان وجبال حوران. وجاء في رده "ان الجولان قطعة من إسرائيل القديمة، لا تقل اهمية عن الخليل ونابلس[50].

وبعد احتلال إسرائيل للقدس العربية، هب حاخام الجيش ينفخ بالبوق،[51] يؤجج في الصدور العواطف الدينية الهاجعة، ويذكي الروح الدينية الراقدة.

وراح زعماء إسرائيل يؤكدون ان استيلاءهم على الأراضي المحتلة، انما هو تحقيق لما جاء في اسفار العهد القديم. ويستحضرون بعض النبؤات، يكبون عليها تفسيراً وتأويلاً، لدغدغة المشاعر وبلبلة الافكار وشحن العواطف الدينية بمزيد من الحماس الثائر والتعصب الديني الاشوه.

وقد استحدث زعماء الصهيونية مفهوماً جديداً لربط اتباع الديانة اليهودية. اطلقوا عليه اسم "الشعب اليهودي" الذي وعده الهه بأرض معينة. ثم تملك هذه الأرض لفترة معينة. واليوم يعود إليها، بعد قرون من النفي والسبي والتشتت في أربع ناحيات الأرض، محققاً بذلك نبوءات الكتاب المقدس.

---

[50] Jerusalem Post. August 16. 1967

[51] بوق يشوع بن نون.

واتخذوا من فكرة العودة إلى "أرض الميعاد" وسيلة اثارة لحماس اليهود الديني والعاطفي. ومن ثم استغلال هذا الحماس لاقتلاعهم من مواطنهم، والسير بهم إلى فلسطين، أو لانتزاع التأييد والمساندة المادية والمعنوية. فبن غوريون ظل ابداً ينادي بالعودة إلى فلسطين. "والصهيوني، في رأيه، هو اليهودي الذي يريد العودة إلى جبل صهيون. هو اليهودي الذي يحس انه إذا كان يعش في أي بلد آخر. غير إسرائيل،فهو يعيش في منفى. وانه آن الاوان لانتهاء عصر النفي والتشرد. ولا بد من العودة إلى أرض إسرائيل".

ويتساءل بن غوريون، في محاضرة له، من هو اليهودي؟ وما هي مقومات الشعب اليهودي؟ ويجيب قائلاً: "ان ما يربط بين اليهود ليس الدين اليهودي. بدليل ان الحركة الصهيونية فيها يهود متدينون، ويهود لا دينيون. ولا العنصر الواحد بعد تشتت اليهود الواسع في انحاء العالم. ولا اللغة الواحدة، بدليل ان اللغة العبرية كادت تختفي تماماً قروناً طويلة. ومعظم يهود العالم لا يعرفونها. ان ما ربط بين اليهود، هو صفة أخرى اساسية هي: رؤيا العودة. الايمان بأن الخلاص هو في العودة إلى جبل صهيون، حيث اقام داود معبده الأول. وما دامت دولة إسرائيل قد قامت عند جبل صهيون، فعلى كل يهودي ان يعود إليها. ومن لا يعود ليس صهيونياً بالتأكيد".

وفي خطاب له، في الضباط المتخرجين من المدرسة الحربية بتاريخ 7 حزيران 1949 قال "نحن لم نحرر من بلادنا سوى جزء واحد.. واننا ننتظر الوقت الذي يتم فيه انقاذ أرض الآباء والاجداد..

سنحقق رؤيا انبياء إسرائيل.. والشعب اليهودي سيعود إلى الاستيطان في أراضي الاباء والاجداد، الممتدة من الفرات شرقاً حتى النيل غرباً".

"وجميع العسكرين الملحدين، والصهيونيين الذين ركبهم شيطان التوسع،يستخدمون هذه النصوص المسمومة. منذ زمن طويل،وبصورة منهجية مدروسة، لكي ينفذوا إلى عقول شبيبتهم فيصوغوها من جديد في قوالب اطماعهم[52]. وقد اتخذوا لهم شعاراً **"الشعب الذي لا أرض له، للارض التي لا**

[52] جاك دومال وماري لوروا ـ التحدي الصهيوني ـ ترجمة نزيه الحكيم ص 9.

شعب فيها". واستطاعوا ايهام اليهود، والعالم بأن فلسطين أرض خالية، تنتظر عودة اليهود ليتسلموا قسمة يهوه لهم، والميراث الذي وعدهم به.

هذا ما عبر عنه موشيه منوحن في قوله "ان ما ادهشني خلال تلك الفترة[53]، هو ما كان يسرب إلى اذهاننا من خلال التعليم. إذ كان هناك بيت شعر معين، يحشر مع الدروس، ويلقن لنا بمناسبة وبغير مناسبة.

سواء كنا ندرس عن الانبياء، أو الادب العبري، أو تاريخ الصهيونية، يترجمونها بكلمة "شعبنا". وانني الاحظ أنهم يفعلون ذلك في الصحف. فحينما ترد في الصحف الكلمة العبرية "عمينو"، يترجمونها "شعبنا" ليخبئوا ما يضمرون. ثم هنالك كلمة "ارتسينو" أي ارضنا. فكانوا يعلموننا "عمينو"، "ارتسينو". ثم جاءت كلمة كانت في منتهى الغباء. ولكننا اضطررنا إلى بلعها، وهي كلمة "مولادتينو" ومعناها وطننا، أو مسقط رأسنا. ولا اظن انه كان بين طلاب الجمازيوم، أو على أقل تقدير بين زملائي التسعة في الصحف، من ولد في فلسطين العربية. إذ كنا، جميعنا، مهاجرين من روسيا.

وكانوا يرددون على اسماعنا كل يوم، وكلما وأتت الفرصة، وحيثما يفلح المدرس في تسريبها، "عمينو، ارتسينو، مولادتينو"، حتى في دروس العلوم، كانوا يسربونه، خلال الدرس،إلى مسامعنا. وكانوا يلقنوننا "عمينو، اتسينو، مولادتينو" في كل حين، وفي أي مكان سواء خلال النزهات، أو في الصفوف، أو أثناء لقاءاتنا المدرسية نهار السبت حيث كنا ندعى لمناقشة القضايا السياسية. وكانوا يتوخون من هذا الوعظ المتكرر، تسميم افكارنا لننقلب إلى يهود قوميين. وتذكروا بأن هذا الوعظ والتلقين، كان قد بدأ بالنسبة لزملائي في الصف في عام 1904. وبالنسبة لي ابتداء من العام 1908 إلى 1913. حتى أصبح الجمنازيوم بروة للافكار القومية السياسة المتطرفة المجنونة.

لقد كان في فلسطين العربية في ذلك الوقت 35000 يهودي فقط. بينما كان هنالك حوالي 60000 من العرب المعافين، الأسوياء، العقلاء، المجدين، البريئين، القليلي المعرفة. ومع ذلك، كانوا يعلموننا في الجمنازيوم "عمينو،

[53] "الفترة" المقصودة، هي العقود الأولى من القرن العشرين. وقد كانت هجرة منوحن إلى فلسطين عام 1904. وهذه المذكرات ترجمتها ونشرتها مجلة شؤون فلسطينية.

ارتسينو، مولادتينو". وظلوا طوال خمس سنوات يشحننوني بأفكار القومية اليهودية والصهيونية".

وإذا كان السواد الاعظم من اليهود خاص المتدينين، والشديدي الايمان، يبغون العودة إلى فلسطين، لبناء هيكل سليمان، وانتظار المسيح الذي يأتي ليضع الامم تحت اقدامهم. فإن لساسة الصهاينة هدفاً آخر، هو استغلال هذه الطاقات الكامنة في نفس اليهودي. طاقات الامل باستعادة المجد، والانتصار على الشعوب، ثم الخلاص في الدنيا والاخرة. الامل الذي تحييه وعود مقدسة، وعهود ومواثيق جليلة، قطعها يهوه مع شعبه المختار.

فالامل بالعودة، ومجيء المسيح، يتجذر في نفوس المؤمنين، والمتدينين اليهود. وهم يشكلون نسبة كبيرة بين أفراد جنسهم. ولذلك كان لهم اثر بالغ في تحويل الرأي العام اليهودي، وبالتالي كان محور إعلام اليهود يدور حول هذه الناحية.

وهذا الامل مرتكز على وعد "الله" لابراهيم، وجميع انبياء اليهود من بعده، بتمليكهم الأرض الواقعة بين الفرات وبين النيل. ولذلك رفضوا بشدة عرض بريطانيا العطوف، بتمليكهم جزءاً من يوغندا، بعد اضطهاد روسيا لهم. لأن زعماءهم كانوا يدركون قيمة الرابطة العاطفية، والتقليدية التي تشد اليهودي إلى "أرض الميعاد" وكانوا يرون في "الوعد الالهي، والدافع الديني، مقدرة فريدة لا يستعاض عنها في ايقاظ طاقات الشعب اليهودي"[54]. ويدركون ان الحافز الديني هو الذي يغذي نزعة التوسع الإسرائيلي.

وكانوا يشددون على الجانب الروحي للصهيونية، مؤكدين "انه ليس من شيء يستطيع ان يبقي هذه الحركة حية فاعلة الا الايمان الديني الراسخ. وان هذا الايمان يجب ان يتركز على فلسطين، فلسطين بالذات. وان أي انحراف عن فلسطين يكون بمثابة الكفر بهذا الايمان"[55] يقول هرتزل "انها مقر الاجداد

[54] مذكرات وايزمن ص 54

[55] المرجع السابق ص 110.

الذي لا ينسى عند شعبنا. وان اسمها نفسه يؤلف برنامجاً. وانها تجتذب الجماهير الدنيا بقوة"[56].

وقد حاول حاييم وايزمن، خليفة هرتزل في قيادة الصهيونية، دمج التيارات المختلفة في الحركة الصهيونية. فجمع بين التيار السياسي، وبين تيار الامل بالعودة. وقد كان التيار الأخير الورقة العاطفية الرابحة كما يقول. اما الجانب المادي، المتجسد في دولة إسرائيل، فقد قام عندهم على دعائم ثلاث: العودة، فازدياد السكان، فاستملاك الأرض.

في سنة 1928 اضطر حاييم وايزمن للذهاب إلى رومانيا، ليحفز اليهود فيها على الهجرة إلى فلسطين. قائلاً لهم "انظروا. لقد انتزعنا وعد بلفور من البريطانيين دون الاستناد إلى أي أساس واقعي. والان يظل البريطانيون يسألوننا: أين هم يهودكم؟ فإذا كان سيتأتى لنا ان نملك أرض إسرائيل، وإذا كنتم تؤمنون بذلك، فتعالوا إلى فلسطين"[57].

وبن غوريون ظل ابداً يقول "ان درع إسرائيل هو في ازدياد عدد سكانها".

اما وايزمن فيرى ان هناك سبيلاً واحداً لتحقيق الوطن القومي اليهودي. وذلك السبيل هو ضم دونم من الأرض إلى دونم آخر. وبقرة إلى بقرة. ومزرعة إلى مزرعة[58].

أرض فلسطين

غزوة رعاة

قالت غولدا مئير رئيسة حكومة إسرائيل في 24 آذار 1971: "ان المنطقة بين المتوسط والعراق لا تتسع الا لدولتين".

---

[56] مذكرات هرتزل ص 133.

[57] مذكرات موشيه منوحين. انظر الهامش رقم 53.

[58] مذكرات وايزمن ص 73.

كان الاحرى بها ان تقول ان هذه المنطقة لا تسع الا لدولة واحدة وهي إسرائيل، تمشياً مع ارادة الرب "يهوه" واحكامه وفرائضه،المسطرة في كتاب العهد القديم. اما قول مئير هذا، فهو مخالف لارادة اله الصهيونية، واله المسيحية المتهورة اولاً. وهو ثانياً كرم اخلاق من مئير ان تبقي من سوريا ولبنان وفلسطين والاردن والعراق، دولة واحدة. اما الباقون فينبغي تشريدهم أو ابادتهم، كما اوصاهم الههم "يهوه".

ويرى بن غوريون "ان العقيدة اليهودية لا تتمثل في الايمان بالتوحيد، فحسب. ولكن يلازمها دوافع اقليمية وقومية. هي التي أدت الى ارتباط اليهود ارتباطاً روحياً عميقاً بأرضهم القديمة، حتى أثناء اقامتهم في المنفى[59].

"بأرضهم القديمة"..

ومتى كانت فلسطين أرضهم؟

رأيت ما قاله كتابهم "العهد القديم" وعرفت أنهم قبائل بدوية.ارهف حدها الجوع والرحمان، وقوّى عودها التهجر والتبدي في صحراء سيناء. فشهرت سيوفها واشرعت رماحها للاستيلاء على أرض العسل واللبن. وحين "رأوا أصحاب الأرض ساكنين بطمأنينة، كعادة الصديونيين، مستريحين، مطمئنين. قضاة 18/7" انقضوا عليهم "انقضاض جموع جياع على جماعة مستقرين امنين[60]. ودامت معارك الغزو، والاستيلاء على منطقة التلول الخلفية في أرض كنعان ما يقرب من مائتي عام. وقد حددها المؤرخون في الفترة الواقعة بين 1200 و1045 ق.م تقريباً. ولم تقم لهم سلطة الا في عام 1030 ق.م حين اتحدت اسباطهم في عهد شاول، ثم في عهدي داود وسليمان.

وفي عام 927ق.م انقسموا على أنفسهم. ولم يبق من آثار ملكهم الا مملكتان صغيرتان "إسرائيل" في الشمال. وقد قضى عليها الاشوريون. وسبوا اهلها عام 721 ق.م و"يهوذا" في الجنوب. وقد غزاها نبوخذ نصر عام 587 ق.م، سبى اهلها.

59 Ben Gurion Looks Back - In Talks with Moshe Pearlman. N. Y. 1965.

60 ول ديورانت ـ قصة الحضارة ـ ج2، ص 228.

"فيكون مجموع سني ملوك إسرائيل 241 سنة، وملوك يهوذا 260 سنة. في اجزاء وازمنة متقطعة"، كما يقول المطران يوسف الدبس في كتابه "تاريخ سوريا".وظلوا طوال فترة احتلالهم مرتفعات فلسطين، شعباً مغموراً. تشغله المناوشات المستمرة بينهم وبين الفلسطينيين، والمؤابيين، وأهل مديان، وساهم من أصحاب الأرض. ومنذ انقسامهم إلى أيام السبي الثاني، عاشوا خاضعين لنفوذ الفلسطينيين، وملوك مصر، ودمشق، وبابل. كما رأيت أثناء استعراضنا لقصة الأرض. وعندما احتلت جيوش الفرس بابل عام 538 ق.م،كان كورش، حاكم الامبراطورية الفارسية، يصبو إلى الاستيلاء على الطريق التجارية الهامة، فلسطين. فسمح لليهود بالعودة إلى فلسطين، وساعدهم ايضاً. بل امرهم بالعودة، لأن السواد الاعظم من الشعب اليهودي، آثر البقاء في بابل. ولانه "كان من الصعب الاعتقاد بأن اليهود، وقد اثروا هناك، يتركون بابل الخصيبة المعطاء من أجل جبال يهوذا الجرداء[61]. ولانهم كانوا يرون "انه في بابل يتفجر نبع الحكمة، والنبوة. ومن هنا بالذات، وليس من اورشليم، يشع برج الفجر الوضاء على على شعبنا بالنور[62]. وعاش الذين عادوا منهم، خاضعين لنفوذ الفرس واليونان والرومان، حتى كان التشتيت النهائي عام 130م.

كيف عاشوا في فلسطين فترة احتلالهم لها؟

قبائل بدوية. كلما اغتنموا فرصة التفوا حول شخص، ودعوه ملكاً. ولا يكاد يبايع ويمسح بالزيت، حتى يهاجمهم ملك من ملوك مصر أو دمشق أو بابل أو فارس، فيدك هيكلهم، ويحرق بيوتهم، ويشردهم، وينفيهم. وفي أرض كنعان يهاجمهم الفلسطينيون من الساحل، والادوميون من اريحا، والمديانيون من ضفاف الاردن، والحوريون من نابلس، والاموريون من الشمال، واليبوسيون من الداخل، كما سبق ورأيت في قصة الأرض.

[61] Olmstead: History of the Persion Empire. 1960. P. 67.

[62] Salo Baron: A Social and Religious History of the Jews. 1964 P. 25.

وكأن كل هؤلاء الملوك، وجميع هذه العشائر، يرون الخبث والمكر والحيلة وسوء الطوية والحدق والكراهية وضراوة الانتقام و... قد تجسمت، فشكلت شخصاً هو اليهودي. بل هو الحية الرقطاء، تتمتع بجلد لين املس، وتهتبل الفرص لتلدغ اللدغة المميتة. ولذا كلما حاولت رفع رأسها، اقبل عليها أحد أبناء الإنسانية، فسحقه بنعله الحديدي.

عـاش يهود "مملكة" يهـوذا، مشردين تحت جناح كل عشيرة من عشائر فلسطين. شرذمة متشردة، اضناها الترحل، وأورى حقدها التخلف والجوع. فهي تحط رحالها وتضرب اطنابها فـي حمى قبيلة، حتى إذا كشفت عن وجهها القنع، فبانت عليه ملامح الحقد والكيد، نبذتها القبيلة المجيرة خارج تخومها.

ويأتي واحد من القائمين على الحركة الصهيونية، قائلاً لك "ان تاريخ اليهود الفريد، يكفـي وحده لجمع شمل اليهود، وتكوين ما يسمى بالشعب اليهودي". فقد صرح ناحوم غولدمان، يوم كان رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية، بقوله "ان محاولة وصف الشعب اليهودي بأنه جماعة تتميز بالجنس، والديانة، أو بالوحدة الثقافية والقومية، يعد موضوعاً غير ذي اهمية. فتاريخه الفريد قد خلق وحدة جماعية فريدة".

"تاريخه الفريد..".

ومتى كان لهم تاريخ فريد؟

عاشوا على أطراف الممالك الكبيرة، وعلى فتات موائد الامم الحضارية. فنما فـي نفوسهم داء الحقد الوبيل على حضارة الامم، والحسد البغيض على عظمتها. فراحوا يعملون،بمساعدة الههم "يهوه" على تحطيم الحاضرات، وابادة الامم، ليقيموا ملكاً لهم، ويرفعوا عرشاً ليهوه فـي أراضـي الآخرين. ويزعم اليهود ان شعورهم بأنهم أبناء ماض مجيد، يوحد بينهم.

أي مجد كان لهم؟ وفي أي حقبة من الزمن؟

ان اعظم مؤرخي تلك العصور، هيرودتس اليوناني، الذي عاش فـي القرن الخامس ق.م، لا يأتي على ذكر لذلك الماضي الذي كان هو من معاصريه.

وكذلك فإن مكتشفات اوغاريت، ومصر، وما بين النهرين، وسواها لا تشير من قريب أو بعيد، لهذه القبيلة الهمجية.

فأين ما يدعونه من ماض عريق، ومجد لا يضاهيه مجد؟

طبعاً في التوراة التي استطاع اليهود ان يجعلوا من قصصها وحكاياها، الاغرب من الخيال، اسفار دين. ولقحوا بها العقول. وجعلوا اساطين الغرب يعترفون بأنهم اصبحوا يعرفون عن اتفه تفاصيل ذلك الماضي السحيق، أكثر مما يعرفون عن مآثر ملوكهم، وير ابطالهم، كما قال رئيس الوزارة البريطانية، لويد جورج عن نفسه[63]، "لقد تشبعنا كل التشبع بتاريخ الجنس العبري، في أيام اعظم امجاده".

ولو سألته. ومتى كان لهذا الجنس امجاد عظيمة؟ واين؟ لبدت في عينيه الدهشة، ورعت وجهه علائم الحيرة. ترى بماذا يجيب؟

والحقيقة انه القبيلة البدوية، استطاعت ان تغزو أرض كنعان، وتؤسس ملكاً لم يتجاوز عمره القرنين والنصف، وفي فترات متقطعة، كما تروي التوراة. واهم فترة هي ملك داود "أربعين عاماً" وبعده ابنه سليمان، حتى خراب السامرة عام 721 ق.م.

وفي هذه الفترات المتباعدة، والمتقطعة، كانت عشائر اليهود شبه معزولة في الجبال. تجتنب السهول خوفاً من سكانها.

والجدير بالذكر أنه كان في فلسطين نحو من خمسين ملكاً. فليس بغريب أن يطلقوا على قائد شرذمة يهودية "مرتزقة" كداود وسليمان، سام ملك. فاحتلال اليهود لفلسطين، لم يكن في يوم من الأيام كاملاً. وانما ظل في رقعة ضيقة داخل حدودها، وفي فترة قصيرة جداً.

"وإذا ما قارنا الوضع التاريخي للعرب في فلسطين، بالوضع التاريخي لليهود فيها، لبدا لنا ان امتلاك العرب لفلسطين قد ابتدأ قبل خمسة آلاف عام. ولم ينقطع عنها يوم من الأيام، حتى يومنا هذا. انه اقوى امتلاك على

[63] الصهيونية بين تاريخين ـ عبد الله النجار بالاشتراك مع كمال الحاج ـ بيروت 1972.

ظهر الأرض. واشده قوة وامعاناً. انه امتلاك راسخ في تربة الأرض. في حين ان الدولة اليهودية قد قامت وتألقت وطنطنت بمقدار عمر برغشة. ثم تلاشت.

لقد اعطى كر القرون عرب فلسطين اسماء مختلفة، لأن الاعراق كانت تذوب فيهم، الواحد تلو الآخر بيد ان الحصيلة العامة من كل هذه الاعراق: العمورية والكنعانية والفلسطينية والعربية، هي التي ملكت هذه الأرض، وتشبثت فيها[64].

أرض غربة

ويأتي زعيم آخر من أبناء صهيون، بن غوريون، مخاطباً الشعوب الأوروبية والأمريكية، وحكامها الذين استعبدت اليهودية افكارهم. فهي تسوقهم بسياطها، وترعاهم في حظائرها. يقول، وتنقل قوله جميع وسائل الإعلام في مجتمع من العميان: "تتألف كل دولة من الأرض والشعب. واسرائيل لا تشذ عن هذه القاعدة. غير انها دولة لم تأت مطابقة لارضها أو شعبها.. واضيف الآن انها قامت على جزء من أرض إسرائيل. وحتى أولئك الذين يشكون في استعادة حدودنا التاريخية، كما جرى رسمها وتعيينها منذ بداية الزمان، لا يستطيعون ان ينكروا شذوذ حدود الدولة الجديدة[65]".

"حدودنا التاريخية"..".

وهل كانت لهم حدود على الأرض، أم على صفحات الكتاب المقدس؟ وهل رسم هذه الحدود غير صك التمليك ـ وعد يهوه؟

وهل الزمان يبدأ مع ظهور هذه القبيلة، في القرن الثاني عشر قبل الميلاد؟ وهل يستطيع مسؤول صهيوني ان يمحو حضارة كنعان، ومصر، وما بين النهرين، ولو نفخ في جميع ابواق الأرض، وخطب من فوق كل منابر العالم؟

"ارضها.. وارض إسرائيل.."

ومتى كانت فلسطين أرض إسرائيل؟ وكيف؟ واين؟ وما هي وثيقة تمليك الأرض لهم؟ ومن أعطى هذه الوثيقة؟

[64] فلسطين الحقيقة ـ جيفرز . ترجمة أحمد خليل الحاج ـ الهيئة المصرية للنشر ج1 ص 45.

[65] Revirth and Destiny of Israel . P. 460

كتابهم.. ماذا يقول؟

يخبرنا كتاب العهد القديم ان فلسطين هي أرض غربة بالنسبة لابراهيم واسحق ويعقوب وآلهم من بعدهم. ويعتبرهم الكتاب المقدس مغتربين بين من "اور" إلى أرض كنعان، يقول كاتب العهد القديم، انه "حدث جوع في الأرض، فانحدر ابرام إلى مصر ليتغرب هناك. تكون 12/10". ثم ظهر الرب لابرام وقال له "ان نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم. تكوين 15/13". وعندما عاد ابرام إلى أرض كنعان، ظهر له الرب، وقطع العهد معه، قائلاً "اعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان، ملكاً ابدياً، واكون الههم. تكوين 17/8.

ثم "تغرب إبراهيم في جرار. تكوين 20/1". "وتغرب إبراهيم في ارض الفلسطينيين اياماً كثيرة تكوين 21/34" وعندما ماتت زوجته سارة "كلم إبراهيم بني حث قائلاً: أنا غريب ونزيل عندكم. اعطوني ملك قبر معكم، لادفن ميتي من امامي. تكوين 23/4". وحين شاخ إبراهيم دعا عبده، واستخلفه قائلاً "لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين انا ساكن في ارضهم. بل إلى ارضي والى عشيرتي تذهب، وتأخذ زوجة لابني اسحق. تكوين 24/1".

فأرض إبراهيم وعشيرته، كانتا في "اور"، في بلاد ما بين النهرين. اما أرض كنعان، فقد كانوا على امل استملاكها بموجب الوعد ـ الوثيقة، الربانية، من الههم "يهوه".

وبعد موت إبراهيم، يقول الكاتب، "كان في الأرض جوع.. فذهب اسحق إلى ابي مالك، ملك الفلسطينيين إلى جرار. وظهر له الرب وقال .. تغرب في هذه الأرض تكوين 26/1".

" ثم دعا اسحق يعقوب وباركه، واوصاه قائلاً: لا تأخذ زوجة من بنات كنعان. قم اذهب إلى فدان ارام. إلى بيت بتوئيل، ابي امك، وخذ لنفسك زوجة هناك من بنات لابان أخي أمك.. والله القدير يباركك.. ويعطيك بركة إبراهيم، لترث أرض غربتك. تكوين 28/1".

وذهب يعقوب إلى فدان ارام وتزوج من ابنتي خاله ومن جاريتيهما "وكان بنو يعقوب اثني عشر. بنو ليئة: رأووبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبلون. وأبنا راحيل: يوسف وبنيامين. وبنا بلهة، جارية راحيل، دان نفتالي. وابنا زلفة، جارية ليئة، جاد واشير. هؤلاء بنو يعقوب الذين ولدوا له في فدان ارام. تكوين 35/22".

وعندما عاد يعقوب من فدان آرام "سكن في أرض غربة ابيه، في أرض كنعان. تكوين 37/1". ثم أخذ يعقوب وبنوه "مواشيهم ومقتناهم الذي اقتنوا في أرض كنعان. وجاؤوا إلى أرض مصر.. فأتى يوسف، واخبر فرعون قائلاً: ابي واخوتي وغنمهم وبقرهم، وكل مالهم، جاؤوا من أرض كنعان. وهوذا هم في أرض جاسان. واخذ يوسف من جملة اخوته خمسة، واوقفهم امام فرعون. فقال فرعون لاخوته: ما صناعتكم؟ فقالوا لفرعون: عبيدك رعاة غنم. نحن واباؤونا جميعاً. وقالوا لفرعون: جئنا لنتغرب في الأرض. إذ ليس لغنم عبيد كمرعى، لأن الجوع شديد في أرض كنعان. تكوين 47".

وحين قادهم موسى من أرض مصر، في رحلة الخروج المعروفة، ظهر له الرب وقال "اعطيهم أرض كنعان، أرض غربتهم التي تغربوا فيها. خروج 6/4".

رأيت...؟

هم قبيلة بدوية. ربما كانوا بطناً من بطون العشائر الارامية، التي استقرت في بلاد ما بين النهرين، بعد نزوحها من البادية العربية.

عشيرة بدوية، رعاة غنم. اغتربوا في أرض كنعان. ثم رحلوا ليتغربوا في أرض مصر. وبقيت كلمة "اغتراب" تلحقهم اينما حلوا وانى رحلوا.

أرض كنعان

هذه صفتهم: التغرب والاغتراب. اما الأرض. فليست "أرض إسرائيل"، كما يدعي بن غوريون. انما هي أرض كنعان. أرض الفلسطينيين.

ايضاً. ماذا يقول "العهد القديم" كتابهم، وكتاب المسيحيين المتهودين؟

جاء إبراهيم، في رحلته المشهورة، من اور "إلى أرض كنعان. تكوين 12/5". "وسكن في أرض كنعان. تكوين 13/12". وهناك اعطى له الهه وعده المشهور ـ وثيقة التملك، قائلاً "اعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك. كل أرض كنعان. تكوين 17/8". "وتغرب إبراهيم في أرض الفلسطينيين. تكوين 21/34". ومن فدان ارام "ساق يعقوب كل مواشيه.. ليجيء إلى اسحق ابيه، إلى أرض كنعان. تكوين 31/18". اما عيسو "فأخذ نساءه وبنيه وبناته وجميع نفوس بيته، ومواشيه وكل بهائمه وكل مقتناه، الذي اقتنى في أرض كنعان. ومضى إلى أرض أخرى، من وجه يعقوب أخيه.. لانه لم يستطع ان تحملهما أرض غربتهما من أجل مواشيهما. تكوين 36/6"

بدو. يرحلون من أرض إلى أرض، ينتجعون الكلأ والماء.

وكاتب التوراة لا يطلق على الأرض غير اسم واحد "أرض كنعان". وتردد هذا الاسم عشرات المرات في سفر التكوين.

وفي سفر الخروج ايضاً، لا يطلق الكاتب على الأرض غير اسم واحد "أرض كنعان". فقد ظهر الرب لموسى وقال "اصعدكم من مذلة مصر إلى أرض الكنعانيين والحثيين والاموريين والفرزيين والحوريين واليبوسيين، إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً. خروج 3/17".

وفي سفر اللاويين، قال الرب لموسى، على أبواب الأرض، بعد ان تمت عملية الخروج:

"انا يهوه الهكم، الذي اخرجكم من أرض مصر ليعطيكم أرض كنعان. لاويين 25/38". وفي سفر العدد تردد اسم "أرض كنعان" عشرات المرات. وفي سفر التثنية ايضاً. وفي سفر يشوع، بعد ان تم لهم غزو بعض الثغور، قال الكاتب أنهم "اكلوا من محصول أرض كنعان. يشوع 5/12".

وراح يعدد اسماء المناطق "التي امتلكها بنو إسرائيل في أرض كنعان. يشوع 14/1".

وبقيت الأرض "أرض كنعان" حتى بعد ان قال الكاتب "فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التي اقسم ان يعطيها لابائهم. فامتلكوها وسكنوا بها. يشوع 21/43".

ويكفي ان تعلم ان اسم "أرض كنعان" تردد في الفصل التالي لهذا القول، أربع مرات. اما في سفر القضاة، وفي الاسفار اللاحقة. فقد صار الكاتب يذكر اسماء الشعوب والممالك في أرض كنعان، حين يسرد أخبار تلاحمهم مع القبائل اليهودية الغازية. يقول مثلاً "ودفع الرب الكنعانيين والفرزيين بيدهم. قضاة 1/4".

ويقول "فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والاموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين. قضاة 13/5". "وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة ارام والهة صيدون والهة مؤاب والهة بني عمون والهة الفلسطينيين. وتركوا يهوه ولم يعبدوه. فحمي غضب الرب على إسرائيل. وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بني عمون. فحطموا ورضضوا بني إسرائيل. قضاة 10/6".

ويقول "فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة. قضاة 13/1". "وفي ذلك الوقت كان الفلسطينيون متسلطين على إسرائيل. قضاة 14/4".

وعندما هرب شمشون من وجه الفلسطينيين واختبأ في "شق صخرة عيطم" قال له بنو يهوذا "اما علمت ان الفلسطينيين متسلطون علينا؟ فماذا فعلت بنا؟ قضاة 15/11". ويقول مثلاً "فانكسر إسرائيل امام الفلسطينيين. صم4/2". "فارعد الرب بصوت عظيم في ذلك اليوم، على الفلسطينيين، وازعجهم، فانكسروا امام إسرائيل. صم7/10".

هذه صور، نماذج يسيرة مما يقوله كتابهم. ورغم ذلك يخاطب بن غوريون، بعينين وقحتين، مجتمعاً من العميان في أوروبا واميركا، مدعياً انها "أرض إسرائيل".

ويجد آذاناً صاغية، وعقولاً بسيطة، مصدقة. تقبل ترهات الصهيونية، واباطيلها المضمنة في التوراة، على أنها كتاب مقدس، ترنم شعائره الفاسدة في الكنائس، وتروى قصصه البشعة على مسامع الناشئة في المدارس.

فجهـل الغرب الاوروبي والاميـركي، وغبـاؤه، اتـاحـا للصهاينة نشـــــــــر الاضاليل، وتوزيع الاباطيل، بغير حساب، على ساسة الغرب ومفكريه. كما هيأ لهم هذا العمى، أو التعامي الغربي، تزوير التاريخ وتزييف الوقائع، رغبة في التضليل، وامعاناً في التجهيل.

وتسأل بمرارة قاتمة:

كيف يدعي بن غوريون، وغيره من زعماء الصهيونية، العودة إلى "أرض إسرائيل". والأرض التي غزوها. واقاموا فيها شبه ملك، في عهدي داود وسليمان، اللذين لم يتجاوز حكم الواحد منهما 40 عاماً، هي بضعة كيلو مترات من المرتفعات. وان عمر هذه الدولة الصغيرة، الدويلتين الصغيرتين، لم يتجاوز القرنين والنصف؟

"ما اشبه هذه العودة بالاستيلاء على بيت طرد صاحبه منه، ليقيم فيه رجل، كان أحد اجداده ماراً في جواره.

ذلك هو منطق القوة[66].

كانت غزوة العشائر اليهودية لارض كنعان، القسم الجنوبي من سوريا، طارئة ومحصورة. وقد ظلوا يتبدون في صحراء سيناء أربعين عاماً، قبل ان يهاجموا الثغور الكنعانية، في غزوة دينية وحشية. استطاعوا بنتيجتها ان يسيطروا على بضعة كيلو مترات، تمتد وتتقلص تبعاً للمجابهات التي كانت تدور بينهم وبين أصحاب الأرض.

وجاءت الغزوة بناء على وعد مزعوم. لفقه اليهود، خاصة موسى، على لسان الههم "يهوه" واستطاعوا به ان يجمعوا شملهم ويرصوا صفوفهم، لغزو الأرض الموعودة.

ومع الزمن أصبح يهوه هو الله، واصبح الوعد الملفق مقدساً في كتاب مقدس، هو العهد القديم، الذي استطاعوا بواسطته ان يضللوا الامم.

وما زالوا، بالتضليل والتجهيل، يجرون العالم إلى هاوية المحن والكوارث. ولا تزال القوى الغاشمة، المضللة، المخدوعة، خاصة أوروبا واميركا، تساعد

---

[66] الصهيونية بين تاريخين ص 23.

اليهود اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً. بفعل هذه الاضاليل التي استحكمت في النفوس وتجذرت في الصدور.

ويأتي بن غوريون، نبي الصهيونية الثاني بعد هرتزل، يقول في رسالة بعث بها إلى ديغول " ان هذا البلد "فلسطين"، لم يكن في أي حقبة من تاريخه، الوطن الاوحد لأي شعب آخر غير الشعب اليهودي"[67].

فلسطين، أرض كنعان. سواء سكنها اليهود فترات متصلة أم متقطعة وهم غرباء فيها. غزوها بهدف الاستيلاء عليها والاستيطان فيها. والكنعانيون والفلسطينيون اصحابها قبل دخول إبراهيم إليها بقرون يتعذر تحديدها. وقد قضى يعقوب "إسرائيل" شطراً من حياته، ينتجع الكلأ والماء في بواديها، قبل ان يتسلل إلى مصر بقبيلة لا تتجاوز سبعين رجلاً.

وعندما هرب بنو إسرائيل من مصر بقيادة موسى، لم يجرؤا على الاقتراب من تخومها. لأن الجواسيس الذين ارسلهم موسى ليستطلعوا اخبارها، روعوه بقولهم "هي أرض تأكل سكانها.. كنا في اعيننا كالجراد، وهكذا كنا في اعينهم. عدد 13/32".

وقد تنبه الكنعانيون لحيلة يشوع في استيلائه على اريحا. وكأنهم شعروا بخطر غريب يتهددهم. خطر الحيلة والدهاء والجاسوسية والمكر والجنس، سلاح القبيلة اليهودية الغازية. فوطنوا النفس على مجالدة اليهود، لدرجة استغرق معها احتلال المسافة بين اريحا والقدس مئة واربعين عاماً.

ثم ان داود وآباء داود، الذين دخلوا أرض فلسطين غزاة، باعتراق التوراة ذاتها، لم يبنوا ولم يزرعوا ولم يحفروا بئر ماء، لأن الههم "يهوه" وعدهم، كما رأيت في ما سبق، بتمليكهم أراضي شعوب أخرى بعد افنائها، وبجني ثمار لم يغرسوا اشجارها، وبحصد سنابل لم يزرعوا بذورها. فكيف يدعي اليهود، ويجاريهم في هذا الادعاء، مسيحيو الغرب، بأن التاريخ، والتاريخ المقدس، يبدأ مع اليهود على أرض فلسطين؟

---

[67] جريدة لوموند الفرنسية 27/1 1968.

اما الفلسطينيون أصحاب الأرض. فقد بنوا المدن، ورفعوا المعابد، وغرسوا الكروم، قبل وعد يهوه بالاف السنين، واقاموا للفكر مسرحاً في فلسطين، ونظموا المجتمع، وبنوا العلاقة بين الأفراد، وبينهم وبين السلطة، على اسس من العدالة. وهم الذين سنوا القوانين، ودونوا الشرائع، ورفعوا الصلوات لله تعالى. وقد كانت شعوب فلسطين عريقة في الحضارة والقوة والعمران، قبل ان تطأ اقدام اليهود أرض فلسطين.

وتزعم التوراة ان اليهود كسروا 31 ملكاً "يشوع 12/1" في عملية الاستيلاء على بعض التلول في فلسطين. اما كان هؤلاء الملوك أصحاب الأرض وصناع الامجاد فيها، وبناة أفاق من الفن والمعرفة؟

وقد دلت المكتشفات التي عثر عليها في أرض كنعان على ان الفلسطينيين والكنعانيين، عمروا المساكن بالحجر، وبنوا المدن، منذ الالف الثامن قبل الميلاد. وخير شاهد على حضارة القوم مدينة اريحا التي كانت محاطة بأسوار حجرية قاهرة منذ 7000 سنة قبل الميلاد[68].

فكيف يجاري العالم، خاصة الغربي، اليهود في ادعائهم بأن جنوب سوريا هو "أرض إسرائيل" و"أرض الميعاد" التي وعدهم بها الههم "يهوه" منذ الالف الثاني قبل الميلاد؟

ايشنف العالم اسماعه لابواق الصهاينة عن عمى أو تعام؟

لست ادري؟

ادري ان هذا القسم من سوريا هو أرض الفلسطينيين، كما تشهد التوراة نفسها. "وقد كانت سورية منذ اقدم عصور التاريخ، ينظر إليها على انها وحدة طبيعية واحدة، وتشمل فلسطين. وقد كتب هيرودتس قبل المسيح بخمسة قرون يقول: "ويعرف هذا الجزء من سوريا باسم فلسطين".

وفلسطين ليست رقعة متناهية في الصغر، فحسب. بل انها لم تكن في يوم من الأيام وحدة ادارية حقيقية. وقد اخترع حدودها، أثناء الحرب الكونية الأولى، تقسيم بريطانيا وفرنسا لمناطق النفوذ في الشرق الغربي. ولم يستطع

---

68 انظر ما كتبه في هذا الموضوع قاسم الشواف في كتابه: مع الكلمة الصافية.

أحد، فـي ما سبق من أزمان، ان يقول لنا من أي نقطة فـي الشمال تبدأ، والى أي مدى نحو الشرق تمتد. كما لم يكن مختلقو " الوطن القومي"، وابطاله أنفسهم يعلمون عن تعيين حدود الأرض التي سيقام فيها.

وقد اجمع المؤرخون فـي العقد الأول من القرن العشرين على القول ان حدود سوريا: البحر من ناحية الغرب، والصحراء من الجنوب والشرق، وجبال طوروس من الشمال. وتعطيها هذه الحدود طبيعية، وتفصلها عن بقية العالم. وإذا لم تكن قد أصبحت بلداً منفرداً بعد،فمن الواضح انها تنتظر ان تصبح كذلك[69].

ويقول التاريخ ايضاً ان العموريين كانوا يشغلون الأراضي الواقعة إلى الجنوب من مرج ابن عامر. فـي زمن لا يقل عن بداية الالف الثالث الذي سبق ميلاد المسيح. ولقد انصهروا انصهاراً تاماً مع من سبقوهم، لدرجة ان هويتهم الخاصة قد ضاعت فـي معظم المناطق، كما يقول البروفسور ت. هـ. روبنسون[70].

وكان الفينيقيون في صيدا وصور. والفلسطينيون فـي الجنوب الشرقي، فـي عكا وحيفا ويافا. وكان الحوريون فـي نابلس. واليبوسيون فـي الداخل.

والاموريون فـي الشمال. والمديانيون حول ضفاف الاردن، كما يقول كتابهم المقدس.

مدينة السلام

ويدعـي الزعماء الصهاينة. بتبجح فـارغ وغرور احمق، بأن مدينة اليبوسيين، اورشليم، كانت لهم. صرح بذلك بن غوريون. وتنقل تصريحه جميع وسائل الإعلام فـي مجتمع من العميان. قال "لا معنى لفلسطين من دون القدس، ولا معنى للقدس من دون الهيكل.

اما حاييم وايزمن، فحين قابل بلفور، ابن بريطانيا العطوف، وصاحب الوعد المشهور. واصبح له السبب فـي رفض اليهود وطناً قومياً عرض عليهم

69 فلسطين الحقيقة ـ جيفرز ـ ترجمة أحمد الحاج ص 33

70 المرجع السابق ص 33.

سنة 1903 في شرق افريقيا. قال "يا مستر بلفور. إذا عرضت عليك باريس بدلاً من لندن. فهل تقبلها؟ فرانت ملامح الدهشة على وجه بلفور، وقال مستغرباً "ولكن لندن هلي لنا". عندها انبسطت اسارير وايزمن. وسرح في وجه بلفور، المسيحي المتهود، ابتسامة العارف، وقال "هكذا القدس. انها لنا، مذ كانت لندن قاعاً صفصفاً". فهز بلفور رأسه موافقاً، وقال بلهجة الواثق العارف: هذا صحيح.

وايزمن كان يعرف ان التوراة تشكل أساس القاعدة الفكرية عند بلفور، وسواه من الإنكليز. وبلفور كان يصدر عن هذه القاعدة حين اجابه موافقاً، بلهجة الواثق العارف.

"انها لنا".

ومتى كانت لهم؟

دعنا نستعرض تاريخها بايجاز، من كتابهم، وكتاب المسيحيين المتهودين "العهد القديم".

رأيت، أثناء استعراضنا لعملية غزو الأرض بعضاً من صور التناقض التي رسم خطوطها كتاب التوراة، أثناء تدوينهم سفر امجاد بني إسرائيل. ففي سفر يشوع قال الكاتب "واما اليبوسيون الساكنون في اورشليم، فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم. فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في اورشليم إلى هذا اليوم 15/63".

وفي السفر ذاته يقول الكاتب "فأعطى الرب إسرائيل جميع الأراضي التي اقسم ان يعطيها لابائهم، فامتلكوها وسكنوا بها 21/43".

وفي السفر التالي "القضاة" يعود الكاتب ليقول "وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين، سكان اورشليم. فسكن اليبوسيون مع بني بنامين في اورشليم إلى هذا اليوم 1/21". ويقول كاتب السفر "وفي تلك الأيام، حين لم يكن ملك في إسرائيل، كان رجل لاوي متغرباً.. جاء إلى مقابل يبوس وهي اورشليم.. فقال الغلام لسيده تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها. فقال له سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بني إسرائيل هنا. قضاة 19/1".

حتى داود "ملك الملوك" لم يدخل اورشليم. يقول الكاتب "جاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك، إلى حبرون. فقطع داود معهم عهداً في حبرون امام الرب. ومسحوا داود ملكاً على إسرائيل.

وذهب داود وكل إسرائيل إلى اورشليم أي يبوس. وهناك اليبوسيون سكان الأرض. وقال سكان يبوس "اورشليم" لداود لا تدخل إلى هنا. فأخذ داود حصن صهيون. وهي مدينة داود. وقال داود: ان الذي يضرب اليبوسيين اولاً يكون رأساً وقائداً. اخبار1 11/3".

وكان ربهم لا يزال يقيم في خيمة. فقد "عمل داود لنفسه بيوتاً في مدينة داود، وأعد مكاناً لتابوت الله، ونصب له خيمة. أخبار 1 15/1".

هذه هي أرض كنعان وهذه هي شعوبها. اما الاسرائيليون الذين ندنس انفسنا[71] بهذه العملية القذرة، من أجل خاطر جزء من خمسة وثلاثين جزءاً من اخلافهم، فقد دخلوا هذه البلاد على شعوبها المتأصلة بها، في غزوة وحشية، اقتصرت على المرتفعات فقط، خوفاً من سكان السهول. وفي تاريخ لا يمكن تحديده بالضبط. وربما كان، على وجه التخمين القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

امبراطورية الاتباع

فامتلاك اليهود، في غزوهم لفلسطين، كما سبق ورأيت في ما قصته التوراة، قصير العمر، ضيق الرقعة. استولوا على بعض التلول، وأخفقوا في الاستيلاء على السهول.يقول الكاتب "وكان الرب مع يهوذا، فملك الجبل. ولكن لم يطرد سكان الوادي، لأن لهم مركبات حديد. قضاة 1/19".

وكان بعض القبائل اليهودية في حال من التبعية لسلطة أهل البلاد. يقول الكتاب المقدس:

"فعبد بنو إسرائيل كوشان رشعتايم، ثماني سنين. قضاة 3/8".

"فعبد بنو إسرائيل عجولن، ملك موءاب، ثماني عشرة سنة. قضاة 3/14".

---

71 الكلام لجيفرز الانكليزي. وهو يشير إلى وعد بلفور، واحتضان الإنكليز للصهيونية.

"فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين.. فعمل بنو إسرائيل لأنفسهم الكهوف التي في الجبال، والمغاير والحصون. وإذا زرع إسرائيل كان يصعد المديانيون والعمالقة وبنو المشرق، ويتلفون غلة الأرض، إلى مجيئك إلى غزة. ولا يتركون لاسرائيل قوت الحياة، ولا غنماً ولا بقراً ولا حميراً. قضاة 6/1".

"وباعهم بيد الفلسطينيين، وبيد بني عمون.. ثماني عشرة سنة قضاة 10/7".

"ثم دفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة. قضاة 13/1".

"وفي ذلك الوقت كان الفلسطينيون متسلطين على إسرائيل. قضاة 14/4".

وكثيراً ما خضعوا للاراميين، واحنوا رقابهم ذلاً واستكانة. وهاجر بعضهم إلى أرض الحوريين، فعبدوا اصنامهم، وعاشوا بظلهم خداماً ومرؤوسين.

ولا ننسى ان وجود الفلسطينيين في جيش داود، قد مهد، وساعد في ارتقائه العرش. وقد اسهم الفلسطينيون ايضاً في اعطاء العرش لسليمان.

لقد كان لهذه الامبراطورية التي عمرت سبعين عاماً، أساس اقليمي ضيق. أو كانت لها وحدة اقليمية صغيرة، لا تعدو، كما تقول التوراة، وكبار المؤرخين، مائة وعشرين ميلاً في الطول وستين ميلاً في العرض، واقل من ذلك بكثير في اغلب الاحيان[72].

ويروي المؤرخ الدكتور فوكس جاكسون[73]، من جامعة كمبردج، في كتابه "يوسف واليهود" إلى أي مدى انكمشت رقعة المملكة اليهودية، في معرض تعليقه على صمت هيرودتس، الذي هو أكثر المنقبين في جنبات الكرة مثابرة وفضولاً، في ما يتعلق باليهود. قال: ما يزال صمت هيروتس مشكلة بالنسبة للبعض. لكن تفسيره بسيط غاية البساطة. لقد كانت لدرجة ان اذكى وابصر السواح، في القرن الخامس قبل الميلاد "القرن الذي عاش فيه هيرودتس" كان يزور ما كان يسمى بفلسطين سورية، أو بسورية الفلسطينيين، وقد لا يسمع

[72] فلسطين الحقيقة ـ جيفرز ـ ترجمة أحمد الحاج ص 43

[73] المرجع السابق ص 44.

عن اليهود شيئاً ابداً. ولا بعد ان القدس كانت في أيام النبي نحميا " معاصر هيرودتس" مدينة خاملة الذكر. وان تلك الأيام كما يقول نحميا هي "أيام الاشياء الصغيرة".

"فلا يستطيع أحد ان يقول ان "أرض الميعاد" كانت يوماً في قبضة العبرانيين تماماً. ففي اسفار التوراة نجد الفلسطينيين مستمسكين بملكية أراضي الجنوب الواطئة الخصبة. كما نجد الكنعانيين والفينيقيين صامدين في الشمال"[74].

"ويجب الا يظن أحد ان اسلاف عرب فلسطين كانوا يمثلون البربرية. على النقيض من حضارة الاسرائيليين. لقد كان الفينيقيون أولئك التجار الذين جابوا افاق العالم، وبلغوا شواطئ بريطانيا ذاتها. ولقد كان الفلسطينيون يملكون ثقافة متقدمة وعريقة. يقول المؤرخ "روبنسن": انها سخرية عجيبة من سخريات القدر، ان كتب على لفظة "فلسطيني" ان تكون مرادفة لكلمة "بربري". وقد نشأ هذا الاستخدام اللفظي، لأن تاريخ ايامهم وصل الينا[75] عن طريق الاسرائيليين.

ويقول مؤرخ آخر "دين ستانلي": وما جنس الكنعانيين "الملعون" حسب ما جاء في اسفار العهد القديم، الا ذلك الجنس عينه، الذي كنا نتطلع إليه عبر القرون، من بلاد اليونان، باعتباره ابا للكتابة والتجارة والحضارة[76].

سرقة الأرض

وصك الانتداب. جرى تحميله صفة خاصة، هي "الاعتراف بالرابطة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين، وبالأسس الموضوعة لاعادة بناء وطنهم القومي في ذلك البلد". ولو سألت الدولة أو الدول التي صاغت هذه العبارات، واخذت على نفسها أمر تحقيق هذا الصك: ما المقصود بالرابطة التاريخية؟ لجاءك الجواب: ان القصد منها هو تبرير اقامة الوطن

[74] معالم تاريخ الإنسانية ـ هـ. جـ. ويلز. ترجمة عبد العزيز جاويد ـ القاهرة 1948 مجلد 2 ص2 245.

[75] الكلام لجيفرز الانكليزي.

[76] انظر اقوال مؤرخين آخرين في كتاب جيفرز ـ فلسطين الحقيقة.

القومي اليهودي. وتبرير كل ما نتج وما ينتج عنه من أعمال. أقل ما توصف به، انها وحشية، تعمل إلى ابادة شعب وتشريده، لتحل آخر محله.

ولو سألت مستغرباً: وما هي صفة هذه الرابطة التاريخية، الغابرة، التي تمنح اليهود الحق في بلاد زالت سلطتهم عنها منذ تسعة عشر قرناً؟ وسألت مستنكراً: واي سلطة كانت لهم؟ وما مساحة الرقعة التي كانت تنشر ظلها عليها؟

وربما سألت وتساءلت بدهشة بالغة: واي مرحلة من مراحل الماضي اليهودي المتباين جداً في فلسطين، تلك التي سيجد الصهاينة نباءها؟

وما نوع هذه الرابطة التاريخية،التي تمنح حقوقاً لقوم، بابادة قوم آخرين، واحتلال اراضيهم؟

لبقي سؤالك علامة استفهام كبيرة تسم الوجوه، كل الوجوه، في الشرق والغرب.

ويظهر ان الدول التي التزمت بانشاء هذا الوطن القومي، من ضمن التزامات الانتداب، لم تكن تعلم شيئاً عن هذه المراحل، ولا تريد ان تعلم. ويكفيها ما تعلمه من الحوادث التاريخية المجتزأة من التوراة، التي حشتها في وجدانه التربية البيتية أو المدرسية أو الاجتماعية، بصور من المبالغات المقبولة، لتدخل الارادة الالهية فيها.

أقول التربية المدرسية والاجتماعية.. واكرر سائلاً:

ماذا يتعلم الطالب في مدارس البروتستانتيين والانجيليين، والسبتيين، وشهود يهوه، وجميع الطوائف المنشقة عن البروتستانتية. وفي المدارس التي تسيطر عليها اليهودية. أو البيئات التي تعيش فيها دعوات الصهيونية المتسترة بالدين؟

انه يتخرج بفكر محشو بسير ملوك التوراة، وحروبهم وامجادهم ومآثرهم وبطولاتهم، وقدسيتهم ويبقى، عمره، اسير الدعاية الصهيونية. يؤيد، أو يساعد،أو يصمت، دلالة تأييد أكثر منه دلالة رفض.

ولعل المستر لويد جورج، رئيس الوزارة البريطانية، كان ينطق بلسان هؤلاء الحكام الذين كانوا يتصرفون بمصائر الامم، بأجساد انكليزية وفرنسية، واسماء مسيحية. ولكن بنفوس وعقول يهودية، صهيونية، حين قال "لقد تربيت في مدرسة. تعلمت فيها عن تاريخ اليهود، أكثر بكثير مما تعلمته عن تاريخ بلادي انا. وفي وسعي ان اخبركم بجميع ملوك إسرائيل. ولكني اشك في قدرتي على ان اسمي لكم ستة من ملوك انكلترا. لقد تشبعنا كل التشبع بتاريخ الجنس العبري في أيام اعظم امجاده".

وربما كان المستر لويد جورج، الذي تشبع بتاريخ الجنس العبري، يعرف المرحلة التاريخية التي سيجدد الصهاينة بناءها. ولكنه نسي أو تناسى ان يحدد. جغرافياً، الوطن القومي اليهودي المزمع انشاؤه في فلسطين، ليكون تجديداً لماضيهم "المجيد". ومن المستحسن ان نقول انه تناسى عن عمد وأصرار، تحديد هذا الوطن المزعوم. ليترك للصهاينة حرية اقتطاع الأرض التي يشاءون، واقامة الوطن الذي يريدون. مع الاذن بحرية التوسع، بما يتناسب ومقدرتهم ومبلغ الدعم الخارجي لهم. كما صرح ترومن، ريس الولايات المتحدة الأمريكية في 25 تشرين الأول عام 1948 بقوله "نؤيد إسرائيل في حدودها المقررة وفي كل تعديل توسعي لها، ترضى هي عنه".

لقد تعمد ساسة الغرب الذين تمت الصفقة على ايديهم، ان يطمسوا بالغموض والابهام والتعمية كل شيء له علاقة بالوطن اليهودي.

لماذا؟

ربما لأن اللغة عاجزة عن التعبير في عملية سرقة الأرض واختلاس الاوطان، ومنحها لشذاذ الافاق

وجاء في صك الانتداب: "اعادة بناء وطنهم".

أي وطن كان لهم؟ وكم دام عمره؟ وما مساحة الرقعة التي كان يشغلها؟

وكم كانت هذه الرقعة تتمدد وتتكمش؟ وكم هي الاعوام التي خضعوا فيها لسلطة أصحاب الأرض؟

هذا ما يعرّفك به كمّاً، وكيفاً، وعمراً، تاريخهم المقدس فـي كتاب العهد القديم.

وإذا كانت دول الحلفاء الكبرى، لم تكتشفه، ولم تعين حدوده. بل تعمدت الغموض والتعمية، لتطلق يد الصهاينة فـي هذه الأرض. فإن "يهوه" نفسه، عاقد العهد ومانح الأرض، قد عدل فـي حدوده أكثر من مرة. ونقله بالغدر والانانية من صاحبه الشرعي، الابن البكر، اسماعيل إلى الابن الثاني، اسحق. ونقله بالحيلة والخداع من عيسو إلى يعقوب، كما رأيت في ما سبق من قصة الأرض.

الكيان. الظل

والحقيقة ان الهدف الاقليمي للكيان الصهيوني فـي فلسطين، يقترن باللغز المبهم. لانه لم يصدر أي تصريح يعرّف هذا الكيان أو يحدد خطوطه. والدولة الصهيونية، لا حدود لها الا فـي اذهان القادة والحاخامين الصهاينة، الذين يريدون ان يرووا غلة الحقد والانتقام، التي تتآكل في نفوسهم منذ بدأت غزوتهم الدينية إلى جنوب سوريا، وعبر ما لاقوه من قهر واضطهاد. ويحققوا حلم صهيون باستملاك الأرض الواقعة بين الفرات والنيل، التي دحروا، فـي غزواتهم المتكررة، منها مراراً. واستعباد الشعوب التي استعبدتهم اجيالاً.

فقد كان الزعماء الصهاينة يوافقون مبدئياً على الحدود التي ترسمها الامم المتحدة، أو اللجان المتفرعة عنها. ولكنهم كانوا ابداً يسعون إلى توسيع الحدود المرسومة بواسطة القوة. ان وايزمن اعلن قبوله بالتقسيم الذي اقترحته لجنة "بيل" عام 1937، ولكنه قال فـي معرض تعليقه على هذا التقسيم الذي استثنى النقب من الدولة اليهودية "ان النقب لن يهرب منا فـي مطلق الظروف والاحوال". وقد توقع وايزمن، فـي وقت مبكر، قيام دولة يهودية، تكون صغيرة فـي البداية، لكنها تصبح توسعية بعد فترة لاحقة. ولا ننسى ان "إسرائيل" هرتزل فـي رواية "الأرض القديمة ـ الأرض الجديدة" امتدت إلى الفرات[77].

[77] من مقال الآن تايلور المنشور فـي كتاب: تهويد فلسطين ـ اعداد إبراهيم أبو لغد ـ ترجمة اسعد رزق.

وكان بن غوريون قد حدد خطوط هذا الكيان الصهيوني عام 1950. فالتقى مع هرتزل. والاثنان مع يهوه في كتاب العهد القديم. قال بن غوريون "فليفهم الجميع ان إسرائيل قد قامت بالحرب، وانها لن تقنع بحدودها. وان الامبراطورية الإسرائيلية سوف تمتد من النيل إلى الفرات"[78].

والتقى مع توقع وايزمن، حين قال "ان خلق الدولة الجديدة لا ينقص بحال من الاحوال اطار الحدود التاريخية لارض إسرائيل[79].

ونية التوسع كانت على لسان ليفي اشكول، رئيس وزراء إسرائيل، حين صرح في باريس عام 1964 لجريدة لوموند الفرنسية، بقوله "ان الأرض التي تملكها دولة إسرائيل لا تغطي في الحقيقة سوى 20 في المائة من فلسطين التاريخية".

وبعد حرب الخامس من حزيران 1967، انعكست نشوة الانتصار، على افواه الصهاينة، في غمرة شعور ديني جامح. فكانت تصريحاتهم تعبيراً عن رغبات موؤدة، اذكى نارها واضرى اوارها، وعود يهوه المسطرة في العهد القديم، بتجميعهم، واعادتهم إلى فلسطين. فحاخام إسرائيل الأكبر يقول غداة الخامس من حزيران 1967، مدعية تعيين المواقع التاريخية القديمة.

وعندما تمت عملية المسح، خرجت ابواق الدعاية الصهيونية لتعلن ان فريق علماء الاثار وحد أكثر من ألف موقع لم تكن مسجلة أو معروفة من قبل. وان خريطة مملكة إسرائيل الوارد ذكرها في التوراة، يجري رسمها من جديد، على أساس النتائج الحاصلة من عملية مسح الاثار، في مناطق جبال الجليل والسامرة ومرتفعات الجولان[80].

فتعيين المواقع التاريخية القديمة، يعني، بعرف الصهاينة، انها جزء من أرض إسرائيل. وقولهم: لم تكن مسجلة، معناه أنهم يبغون تسجيلها، أي ضمها

---

[78] الكتاب السنوي لحكومة إسرائيل لعام 1950.

[79] الكتاب السنوي لحكومة إسرائيل لعام 1950.

[80] جريدة الانوار اللبنانية 13 نيسان 1968.

خريطة مملكة إسرائيل. ودعوتهم إلى رسم خريطة التوسعية التي يرمون من ورائها إلى تحقيق مملكة إسرائيل، كما حددها كتاب العهد القديم.

وهكذا كانوا وما زالوا، يرمون من تصريحاتهم ورسائلهم ومحاضراتهم، إلى اضفاء طابع "الشرعية" أو "القداسة" أو "الحق التاريخي" على توسعهم وعلى اهدافهم المستقبلية في التوسع، لجعل حدود إسرائيل من الفرات إلى النيل. قال وزير الشؤون الدينية بعد حرب 1967 "ها قد عدنا إلى ارضنا، ومن الآن إلى الابد". وقال ايغال الون نائب رئيسة الوزراء في دولة إسرائيل "جاء اليهود إلى البلاد، لكي يستردوا الأرض التي يعتقدون انها كانت أرض ابائهم. الأرض التي وعدها الله لهم ولذراريهم في العهد القديم، المبرم قبل آلاف السنين، بين الله وبين ابراهيم[81].

حتى المناطق المحتلة اطلقوا عليها اسم المناطق المحررة. فقد خطب بن غوريون في الضباط اليهود المتخرجين من المدرسة الحربية، في السابع من حزيران عام 1949 "قال "نحن لم نحرر من بلادنا سوى جزء واحد. واننا ننتظر الوقت الذي يتم فيه انقاذ أرض الاباء والاجداد.. سنحقق رؤيا أنبياء إسرائيل".

وفي التاسع من آذار سنة 1964 ادلى بن غوريون بتصريح إلى جريدة "هابوكر" قال فيه "ان حدود الدولة اليهودية، كان من الممكن ان تكون ابعد وأوسع مما هي عليه، لو كان الجنرال موشيه دايان رئيساً للاركان العامة أثناء حرب 1948 ضد العرب في فلسطين. وقد سارع ايغال الون، غوريون ايقاف اطلاق النار، بصفته رئيساً للحكومة ووزيراً للدفاع، لكانت قواتنا اكملت زحفها لتحقيق النصر: باحتلال نهر الليطاني في الشمال، وصحراء سيناء في الجنوب الغربي. ولاستطعنا بعد أيام من متابعة القتال لتحرير أرض وطننا باكملها".

وراحوا في فورة النصر يتحدثون عن الحدود الجديدة للدولة اليهودية.

---

[81] إسرائيل في الكتاب المقدس. بقلم مجموعة من اساتذة اللاهوت. ترجمة حسني خشبة. ط 1972 ص9.

قال بن غوريون "العالم كله. العالم المسيحي وكل العالم اليهودي، يعتبر ان ضفتي الاردن تؤلفان فلسطين واحدة، لا تتجزأ". واضاف قائلاً انه يأمل ان "تصبح من جديد وطن اليهود الذي وعدت به التوراة والانبياء".

رأيت؟..

لا يزال نبي الصهيونية الثاني، يتسلح، في غزوة أرض فلسطين في القرن العشرين بعد الميلاد، بالوعد الذي تسلح به انبياء التوراة وابطالها، في غزوهم هذه الأرض في القرن العاشر قبل الميلاد.

وشعب فلسطين، تقول التوراة، كتابهم وكتاب المسيحيين المقدس، هو صاحب الأرض. اما اليهود فبدو عبروا أرض فلسطين في وقت متأخر، رعاة، غزاة. سلاحهم السيف والحقد والانتقام. ثم انسحبوا، ولم يخلفوا وراءهم غير الدم والدمار. فكان مثلهم مثل الاشوريين والبابليين والفرس واليونان والرومان والعثمانيين، غزاة. دخلوا واستوطنوا، ثم اجلوا. وبقي الشعب الفلسطيني يعمر ارضه ويبني حضارته.

ويأتي من يدعي ان التاريخ، وتاريخ الأرض المقدسة بالذات، قد بدأ مع يشوع والقضاة، وتسنم ذرى المجد مع مملكة داود، ومن بعده ابنه سليمان. وقد نسي العالم عن جهل،أو تناسى عن سابق قصد وتصميم، ان شعب فلسطين العريق في القدم، والعريق في الحضارة، هو الذي عمر فلسطين، قبل ان يظهر اليهود على مسرح الوجود. فعندما جاء إبراهيم، الحد الذي ينتمي إليه اليهود، متغرباً في فلسطين، كان شعب كنعان قد أقام المدن، وشيد المعابد والهياكل، وتطلع إلى الله، وبنى المدارس للفكر والفن، واستغل موارد الطبيعة، ونظم حياته في هيئات اجتماعية، تديرها سلطة ملكية، وترعاها قوانين وتشريعات[82].

[82] راجع ما كتبه في حضارة فلسطين القديمة، قاسم الشواف في كتابه: مع الكلمة الصافية. انظر: W.F. W.F. Albright: The Archaeology of Palestine 1960. Gordon Childe: de Le prehistoire a Lhistoire. 1961...

ونسي العالم ان أرض ما بين النهرين، وسوريا، ومصر، هي مهد لاقدم حضارة إنسانية.

وقد اعتبر الدارسون حضارة سوريا، في مجال التاريخ الحضاري، من أهم البقع الضوئية، التي شعت منها انوار الحضارات. قال كلود شايفر،أحد كبار الاركيولوجيين والمؤرخين الاوروبيين في محاضرة له في باريس "كل إنسان متمدن في العالم، يجب ان يكون له وطنان: الأول موطن ولادته. والثاني سوريا. لأن سورية هي منهل المعرفة الإنسانية للشرق والغرب[83].

ولا ننسى ان فلسطين هي الجزء الجنوبي من سوريا، كما عرفها هيرودتس منذ القرن الخامس قبل الميلاد.

---

[83] راجع ما كتبه في هذا الموضوع، الدكتور فيصل النفوري، في مجلة البناء السورية العدد 29 لسنة 1971.

مدرسة التوراة
موسى الجديد

عادوا..

فهل تحققت نبوءات العهد القديم؟

قال حزقيال في إحدى نبوءاته "هكذا قال السيد يهوه: عندما اجمع بيت إسرائيل من الجنوب الذين تفرقوا بينهم، واتقدس فيهم امام عيون الامم. يسكنون في ارضهم التي اعطيتها لعبدي يعقوب 28/25". "واقيم عليهم راعياً واحداً. فيرعاها عبدي داود. هو يرعاها، وهو يكون لها راعياً. وانا يهوه اكون لهم الهاً، وعبدي داود رئيساً في وسطهم 34/12".

ذلك ما يقوله الصهاينة..

ففي عام 1895 قال الحاخام غودمان لهرتزل "كانني أرى موسى بلحمة وعظمه.. ربما كنت ذاك الذي اصطفاه الله[84].

اما زعماء المسيحية المتهودة، فهم أكثر تأكيداً واشد ايماناً بأن النبوءات تتحقق، أو هي في الطريق إلى الواقع الحق.

فإن القدس وليم هتشار (Rev. William Hechler) الذي استحوذت على عقله نبوءة حزقيال، بعدما فرغ من قراءة كتاب هرتزل "الدولة اليهودية" اقتحم مكتب هرتزل بقوله: هو يشوعكم الجديد الذي جاء لتحقيق نبوءة حزقيال. ان الصهيونية هي يهودية الله[85].

[84] Alex Bein: Theodor Herzel. 1945. P. 150.

[85] المرجع السابق ص 282.

هؤلاء رأوا في هرتزل موسى جديداً، أو يشوعاً آخر، أو المسيح المنتظر. اما هرتزل نفسه، فقد احس ان في أعماقه يرقد نبي. قد يكون موسى، وقد يكون المسيح. روى بأنه قرأ في الثانية عشرة من عمره في كتاب الماني، عن المسيح الملك، الذي ما زال اليهود ينتظرون مجيئه. ونمت القصة في نفس الصبي "هرتزل" وكبرت بفعل قصص الاضطهاد والتنكيل التي عاشها اليهود. حتى بات انتظار مجيء المسيح، وانقاذه لهم، العزاء الوحيد لهم. ولشدة ايمانه بمجيء مخلص ينقذ الشعب اليهودي، ولقوة هذه العقيدة في نفسه، وكثرة اجترارها في خياله ووهمه، رأى هرتزل حلماً قال فيه: ظهر لي المسيح ـ الملك. فطوقني بذراعيه وحملني بعيداً على اجنحة الريح، حتى التقينا على إحدى الغيوم، بصورة موسى. فالتفت المسيح إلى موسى مخاطباً اياه: "من أجل هذا القصبي كنت اصلي". ثم قال لي: اذهب واعلن لليهود بأنني سوف اتي عن قريب. لاجترح المعجزات الكبيرة، وأسدي الأعمال العظيمة لشعبي[86].

وكان اليهود قبل هرتزل "ما يزالون ينتظرون بفارغ الصبر عودة موسى. الجميع يؤمنون بذلك. الجميع بدءا بأكثر "الجيد"[87] فقراً، إلى اكثرهم ثراء. مروراً بالعلماء منهم والفلاسفة والحاخامات. يؤمنون بذلك اليوم الذي سيأتي فيه موسى، ويجمعهم في اورشليم من جديد، ليحصد بسيفه رؤوس جميع الشعوب الأخرى، ويدعها تتدحرج تحت اقدامهم[88].

والقس هتشلر الذي اقتحم مكتب هرتزل قائلاً: أنت المسيح المنتظر. جاء بصحبة هرتزل إلى مؤتمر بال بسويسرا عام 1897، معتبراً نفسه سكرتير "المسيح المنتظر" هرتزل. وطالما كان يردد في الاجتماع: يحيا الملك. يحيا الملك. معتبراً "مسيحه" هرتزل ملك الملوك. وقد قال في إحدى مقالاته:

---

86 المرجع ذاته ص 13.

87 جيد" كلمة روسية تعني "يهودي". وبمرور الوقت أصبحت تحمل مدلولاً سلبياً وتحقيرياً.

88 "المسألة اليهودية" ـ مجموعة مقالات لفيودور دوستويفسكي. نشرت لأول مرة عام 1877 في "مفكرة كاتب"، وترجمها إبراهيم الكوني في مجلة بيروت المساء العدد 98 لعام 1975.

استفيقوا يا أبناء إبراهيم. فالله يدعوكم للرجوع إلى وطنكم القديم، ويريد ان يكون الهكم[89].

وقد بشر إسرائيل، حسب فهمه للتوراة، وتفسيره لنبوءاتها، بأنها ستعود إلى فلسطين قبل عودة المسيح الثانية. الذي يأتي ملكاً مجيداً يتربع على عرش القدس. ويحكم العالم من هناك، ملكاً للملوك. وفي عام 1884 اصدر كراساً بعنوان "ارجاع اليهود إلى فلسطين حسبما ورد في اسفار الانبياء".

وهو يرى ان عودة اليهود إلى "أرض الميعاد" قد بدأت بالفعل. ويؤيد هذه الرؤيا بآيات من العهد الجديد. اخرجها بالتفسير والتأويل عن مدلولها الظاهر. فإذا هي تعني ما في فكره. وتوافق هواه. قال ان بعض نبوءات المسيح قد تحققت منذ قديم الزمان. مثل الاية "ملوك الامم يسودونهم، والمتسلطون عليهم يدعون محسنين. لوقا 22/25". والاية "ويقعون بفم السيف،، ويسبون إلى جميع الامم. وتكون اورشليم مدوسة من الامم حتى تكمل ازمنة الامم. لوقا 21/24".

اما النبوءات الأخرى، فقد طبق عليها حسابات تنبوئية غريبة. ان دلت على شيء، فانما تدل على مدى تاثير مدرسة الشرح والتأويل اليهودية في الديانة المسيحية، وتحويلها إلى مسيحية متهودة.

جاء في رؤيا يوحنا قوله "وسيدوسون[90] المدينة المقدسة اثنين واربعين شهراً. وسأعطي لشاهدي فيتنبآن الفاً ومئتين وستين يوماً 11/2".

فكانت حسابات هتشلر على النحو التالي:

يعتبر اللاهوتيون ان الشهر على النحو الاتي:

يعتبر اللاهوتيون ان الشهر النبوي يساوي ثلاثين يوماً نبوياً. وان اليوم النبوي يساوي سنة. فإذا ضربنا 42 × 30 حصلنا على 1260 يوماً نبوياً أو سنة. واعتبر هتشلر دخول عمر بن الخطاب إلى القدس سنة 637م هو بداية دوس الامم للمدينة المقدسة. فإذا اضفنا 1260 سنة إلى 637 سنة كانت لدينا

[89] Barent Litvinoff: To The House of Their Fathers. 1965 p. 79.

[90] الضمير في "سيدوسون" يعود إلى الامم.

سنة 1897م نهاية دوس الامم، وبدء عودة اليهود إلى "سابق عزهم ومجدهم". وكان القس هتشلر الصهيوني يكرر دائماً على مسامع هرتزل قوله "لقد مهدنا السبيل لك[91].

وتظهر صهيونية القس الانجيلي في حملة لخريطة فلسطين، وقوله لهرتزل "يجب ان تكون حدودنا الشمالية جبال كبادوكيا، والجنوبية قناة السويس. وشعارنا فلسطين داود وسليمان[92].

وكان القس هتشلر شديد الاهتمام بيهود أوروبا الشرقية. فقضى شطراً من حياته في مساعدتهم، بجمع المال، والتبرعات للهجرة إلى فلسطين، واستيطانها بحماية بريطانيا. ومن هنا كان وصف المؤلفات الصهيونية له بأنه "حبيب صهيون المسيحي" وكم من مسيحي حبيب الجماهير إلى هاوية الصهيونية المرعبة. الأولى بواسطة الكنيسة والمدرسة. والثانية بواسطة الصحيفة والكتاب.

وإذا كانوا قد رأوا في هرتزل، موسى جديداً، أو يشوعاً آخراً، أو نبياً، وفي "وايزمن" ايضاً. فاليهود يعتقدون بأن عهد الانبياء لم ينقض. ولذلك يرفعون هرتزل "نبي الصهيونية" إلى مرتبة موسى، وسائر انبياء بني إسرائيل. حتى ان الكثيرين منهم يفضلون انبياء اليوم على انبياء الماضي. ولم تخف ارملة وايزمن هذا التفضيل حين قالت "ان موسى قد احتاج إلى أربعين سنة ليصل ببني إسرائيل إلى "أرض الميعاد". اما حاييم وايزمن "زوجها الراحل" فلم يحتج إلى أكثر من ثلاثين سنة ليفعل ذلك[93] ربما يشهدك هذا التقويم لزعماء الصهيونية، وخامرك الذهول من اعتبارهم في مرتبة الانبياء. وربما انتابك التأمل المقرون بحسرة حزينة: كيف؟ هل من المعقول ان نرفع هرتزل ووايزمن وبن غوريون إلى مصاف الانبياء؟ وماذا بقي لنا من موسى "كليم الله" ومن سليمان "الحكيم" ومن "يشوع" الذي اوقف الشمس باشارة من اصبعه و...؟

---

91 يوميات هرتزل ج1 ص 105.

92 يوميات هرتزل ص 342.

93 الصهيونية في الستينات ـ محمود نعناعة ص 82.

مهلاً.

فإن رب "العهد القديم"، الكتاب المقدس لدى جميع الطوائف المسيحية، قد جعل من كورش، امبراطور الفرس وابن استير اليهودية، مسيحاً. جاء في نبوءة لاشعيا "هكذا يقوب الرب لمسيحه كورش، الذي امسحت بيمينه لادوس امامه امماً.. لاجل عبدي يعقوب، واسرائيل مختاري. دعوتك باسمك. لقبتك، وأنت لست تعرفني. انا الرب وليس آخر 45/1".

فإذا كان رب العهد القديم قد اعتبر كورش الفارسي، مسيحاً، لانه اعاد من يرغب منهم، من السبي إلى فلسطين. فما احراهم ان يعتبروا هرتزل، المسيح المنتظر. وينظروا إلى وايزمن وبن غوريون، نظرتهم إلى نبيين، كموسى ويشوع. لانهم اعادوا اليهود إلى أرض كنعان بعد الفي سنة من التشتت والتشريد.

انبياء الأرض

وإذا كانت قافلة الانبياء لا تزال تقطر في الحياة اليهودية، فانها قد انقطعت في الحياة المسيحية، بمجيء المسيح عيسى بن مريم، الذي كمل انبياء اليهود، كما يقول تلميذه متى اليهودي "لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس أو الانبياء. ما جئت لانقض، بل لاكمل 5/17".

لكن قافلة الانبياء القدامى، اعني بهم انبياء العهد القديم، لا تزال تفعل فعلها في نفوس المسيحيين، وتوجه مسار تفكيرهم، وتقود خطاهم.. كيف لا! والمسيح جاء يكمل هذه القافلة، كما قال تلميذه متى.

وقد رأيت ان الهدف، الذي رمى إليه أولئك الانبياء، الذين رافقوا عملية الغزو، هو الأرض. الأرض. وهل من قضية شغلت الههم "يهوه" غير الأرض؟

فابراهيم رحل من اور إلى أرض كنعان، متسلحاً بالوعد. وموسى جمعهم في مصر، وقادهم بالوعد والوعيد، بالترغيب والترهيب، إلى أرض كنعان. وعندما مات موسى، قام خادمه يشوع يكمل ما بدأه القائد: الاستيلاء على الأرض.

وجميع الانبياء بعد يشوع، انحصر همهم في الأرض. وإذا ما توانى احدهم عن تنفيذ ما أمر به يهوه، التذبيح والتحريم والاستيلاء على أرض. فأن يهوه يندم على اختياره ملكاً، ويعمل على نقل السلطة إلى سواه

خذ مثلاً شاول، "الذي مسحه الرب على ميراثه رئيساً. صم1 10/1" "وعندما أدار كتفه لكي يذهب من عند صموئيل "النبي" ان الله اعطاه قلباً آخر.. وإذا بزمرة من الانبياء لقيته، فحل عليه روح الله، فتنبأ في وسطهم صم1 10/9".

وبقي يهوه يسبغ رضاه ومحبته على شاول، ما دام هذا الأخير سير في الخط الذي رسمه يهوه: قتل أهل الأرض، ابادتهم. أو تشريدهم. لكن شاول خالف أوامر يهوه، حين "عفا عن اجاج، وعن خيار الغنم والبقر.. ولم يرضوا ان يحرموها صم 1 15/9". وكان يهوه قد امره قائلاً: "اذهب واضرب عماليق. وحرموا كل ما له. ولا تعف عنهم. بل اقتل رجل وأمرة، طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً. ص1 5/3".

ازاء هذه المخالفة الجريئة لأحكام يهوه "قال الرب لصموئيل: ندمت على اني قدجعلت شاول ملكاً، لانه لم يقم كلامي صم1 15/10". وارسل الرب صموئيل إلى بيت يسى حيث مسح داود بن يسى ملكاً من وراء ظهر شاول.

فالرب، أو صموئيل الناطق باسم الرب، سار مع شاول ما دام هذا الأخير يهجم على القرى الآمنة، يعمل فيها التذبيح والتدمير. وانقلب عليه حين عفا عن اجاج الملك، ولم يرض ان يحرم الغنم والبقر.

اما الانبياء الذين رافقوا مرحلة السبيل والتشتيت، فكان عملهم هو التعبير عن مشاعر اليهود المسبيين. ونقل رغبة يهوه، التي تعبر عن مشاعرهم، بتجميع اليهود، واعادتهم إلى فلسطين.

وكان لتنبؤات اشعيا وارميا وعاموس وميخا وزكريا وحزقيال ونحميا وعزرا، اثر بالغ في نفوس المسيحيين المتهودين. فحملوا المشاعل في الدعوة الصهيونية، ورفعوها في كل الوجوه، ولوحوا بها من فوق منابر العالم. وحين قامت الحركة الصهيونية، تجندوا فيها فكرا، وقلماً، ومالاً، وسلاحاً.

متخرجو مدرسة التوراة

فكثير من المسيحيين. ان لم نقل اغلبهم قد آزروا الصهيونية، لاعتقادهم بأن نبوءات التوراة حول عودة اليهود إلى فلسطين، واقعة حتماً. ولذلك قال وايزمن "ان من الأسباب الرئيسية لفوز اليهود في الحصول على تصريح بلفور من بريطانيا، بانشاء الوطن القومي اليهودي، هو شعور الشعب البريطاني المتأثر بالتوراة".

ولا ننسى ان ساسة بريطانيا المتصهينين، بفعل صهيونية التوراة، التي تشربوها في البيت، وفي اجتماع الكنسية، وفي المدرسة. قد وجهوا سياسة انكلترا لخدمة الصهيونية وتحقيق مآربها. فقد ظهر اهتمام بلفور باليهود قبل ظهور الصهيونية الهرتزلية. وكان من اثر اهتمامه البالغ بالفلسفة اليهودية، ان رأى الدين والحضارة المسيحيين، يدينان لليهودية. ولعل هذا الاهتمام يعود، كما تقول ابنة اخته، إلى دراسة امه للعهد القديم. والى تربيته الاسكوتلاندية[94]. وطالما كان رفاقه يرونه غارقاً في سفر اشعيا. يتغنى بالشوق الممض إلى "أرض الميعاد". وكان يرى في اليهود شعباً منفياً. وانه من الواجب اعادتهم إلى وطنهم.

وللشعب الاميركي عطف خاص على اليهود، لأن اكثريته من البروتستانت، المتأثرين، إلى حد بعيد، بتنبوءات التوراة، عودة اليهود إلى فلسطين. حتى ان رجال الكنيسة البروتستانتية اخذوا يتدخلون متشددين، لتأييد القضية اليهودية. ففي عام 1945 وقع نحو خمسة آلاف قسيس منهم مذكرة رفعوها إلى الحكومة، طالبين فيها فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية.

والحقيقة ان اغلب سكان البلدان الجرمانية والانكلوسكسونية، خاصة طائفة البروتستانت، وجميع الفرق المنشقة عنها أو المتحدة منها، قد نشأوا في تواصل حميم مع التوراة. مما ولج في نفوسهم عطفاً على الصهيونية. فالسياسي الانكليزي لورنس أو ليفانت صاحب كتاب "أرض جلعاد"، 1880 هو من ابوين انجيليين. استوطن حيفا، وفيها مات سنة 1888. حال الحصول على

[94] Blanche Dugdale: Arthur Balfour. 1936. P. 433.

براءة من السلطان العثماني، تقضي بمنح اليهود جنوبي سوريا، لاستصلاح الأراضي وتعميرها. وكان من شدة ايمانه بالعنصر اليهودي، وبمقدرته على التفوق والتعمير، ان جعل شعاره "تجديد شباب تركيا بواسطة اليهود وتحت اشراف بريطانيا".

متنبئ آخر مثل هتشلر، هوفرانك جناوي. أكد في مقالاته وكتبه ان الحركة الصهيونية هي العلامة الدالة على قرب مجيء المسيح، ليبسط سلطانه على العالم من على عرشه في القدس. وقال "ان هجرة اليهود إلى أرض كنعان تمثل التحقيق المطلق لتلك النبوءات، في ما يتعلق بعودة اليهود إلى أرضهم، قبل مجيء المسيح المنتظر إلى هذا العالم[95].

وبعد فرض الانتداب البريطاني على فلسطين، اصدر عام 1922 كتاب "فلسطين والعالم". طبع شعاره على الغلاف "أرض إسرائيل لشعب إسرائيل".

وجناوي كان الناطق باسم الطائفة الدينية المعروفة بـ "اخوة المسيح". وقد تركزت دعواتها التبشيرية على تفسير نبوءات الكتاب المقدس، خاصة سفر الرؤيا. ومحاولة تطبيقها على الاحداث الجارية والمستقبلية.

وسياسي آخر مثل بلفور هو المستر سكوت، رئيس تحرير صحيفة المانشستر غارديان. يقول وايزمن انه اجتمع به، وبسط امامه بعض الافكار الصهيونية. فانبرى الصحافي الانكليزي، ذو النفوذ القوي والواسع، قائلاً: انه مستعد لمساعدتنا في أي مسعى نبذله لصالح اليهود.

لماذا؟

مستر سكوت مسيحي. تقلب في ايمانه تحت وطأة مجموعة من التأثيرات. فهو مرة رافض لعقيدته المسيحية. ومرة شاك في ما يتعلق بالاخرة. وكان قد نوى في شبابه، الانتساب إلى سلك الكهنوت. ثم تراجع، لانه لم يمل إلى مثالية المسيحية واخلاقية المسيح. بل استهوته الديانة اليهودية. اولاً: لانه تشرب بالتوراة منذ نشأته. وثانياً: لأن العقيدة اليهودية،

95 95 Frank Jannaway: palestine and the Jews or: The Zionist Movement an Evidence that the Messiah will soon appear in Jerusalem to rule the whole world therefrom. 1914

التي تفوح منها رائحة العنف، وصفاء العرق، واختيار العنصر، قد فعلت في نفسه، فوافقت هواه. وتجاوبت مع ميوله. وهكذا وقف من وايزمن وقفة هتشلر من هرتزل. فكان، بحكم عمله الصحفي، صلة الوصل بين حاييم وايزمن وبين شخصيات بريطانيا وقادتها السياسيين، من مثل لويج جورج وسواه. ويقول عنه وايزمن "اني تعرفت على رجل. قيمته لا تقدر بالنسبة للحركة الصهيونية، لأن عطفه على المثل العليا اليهودية كان عظيماً. ونفوذه الشخصي العام كان هائلاً[96].

كان اغلب زعماء بريطانيا ينادون بالصهيونية، ويبشرون بها في المحافل والمؤتمرات، أكثر من الصهيونيين أنفسهم.

بلفور صاحب الوعد المشهور، ذهب إلى اميركا، واتصل بزعماء اليهود، داعياً اياهم إلى نصرة الصهيونية، والالتفاف حول زعمائها، لدرجة انه اطلق، في خطاب له في واشنطن سنة 1917 قوله المشهور: انني صهيوني.

ومثله كان لويد جورج، ولورد سيسل، وغيرهم من ساسة بريطانيا، صهيونيين أكثر من الصهاينة أنفسهم.

ولا ننسى ان حزب العمال البريطاني، قد دعا إلى اجلاء العرب عن فلسطين، من أجل ايواء اليهود فيها[97]. وكأن اليهود كانوا مشردين، يبيتون في العراء، أو في الخيام، كما هو حال الفلسطينيين اليوم. والحقيقة ان الإنسان يقف مبهوتاً امام هذا البيان أو الدعوة التي يطلقها حزب العمال في بريطانيا العظمى "اجلاء العرب"، و"ايواء اليهود".

ومجلس لوردات انكلترا اصدر عام 1944 وثيقة. جاء فيها "على العرب ان يرحلوا من فلسطين. إذ لهم اوطان سواها. والا تعرضوا لمنهج الابادة".

فلوردات انكلترا، المسيحيون المتهودون،لا يعرفون ان فلسطين، هي وطن الفلسطينيين، بشاهدة التوراة نفسها، وان اليهود بدو، غرباء، طارئون عليها.

---

[96] Paul Goodman & Arthur Lewis: Zionism. 1916. P. 3. وانظر ما كتبه في هذا الموضوع الدكتور اسعد رزوق في كتابه: إسرائيل الكبرى. منشورات مركز الابحاث ـ بيروت.

[97] اسرار المؤامرة الصهيونية لعبد الله النجار ص 52.

استطاعوا الاستيلاء على بعض المرتفعات بمعونة ربهم وقائدهم "يهوه" كما يدّعون.

وكأن مجلس اللوردات لم يحفظ من العهد القديم، الجزء الأول من كتابهم المقدس، غير منهج الابادة، لأن رب الجنود "يهوه" كان يأمر قواده وجنوده بابادة الشعوب، وقتل البقر والغنم والجمال والحمير.. وقطع الاشجار..

الا تعني وثيقة مجلس وردات بريطانيا المسيحية، أنهم صهاينة. وان منهج الابادة هو منهج توراتي، رسخ في اذهانهم قبل ان يرسخ المنهج المسيحي، الداعي إلى المحبة والعدل والرحمة.

فقد كان من نتيجة الانسياق الاعمى في تيار التوراة، ان انتفت من نفوس المسيحيين، في أوروبا وامريكا، روح الانجيل التي تنضج بالرحمة والمحبة والتسامح. وحلت محلها شرائع العهد القديم، التي تغلي بالحقد والكراهية، وتفور حباً بالابادة والتدمير.

يقول كالفن زعيم البروتستانتية "ان الله يحب ان تطرح الرأفة والانسانية جانباً".

الا تعتقد ان كالفن يقصد بقوله: اله التوراة، الذي لا يعرف رأفة ولا رحمة؟ وهل يؤمن زعيم البروتستانتية بغير التوراة، والهها؟

ولما زار تشرتشل، وزير المستعمرات البريطاني، فلسطين في شباط 1921 صرح فيها بقوله "من الحق الصريح لليهود المشتتين، ان يكون لهم وطن قومي يجمعهم. وهل يكون هذا الوطن غير فلسطين، التي ما برح اليهود، منذ ثلاثة آلاف سنة، مرتبطين بها".

هل يسمح لنا تشرشل، وجميع زعماء بريطانيا الذين يقتفون اثاره ويلهجون برأيه، ان نسألهم: ما هو نوع الرابط الذي لا يزال يشد اليهود إلى فلسطين؟

وطالما كان لويد جورج، رئيس وزراء بريطانيا، يردد قوله، الذي واجه به مجلس العموم البريطاني عام 1937 "ان العرب دخلاء على فلسطين.. وان اليهود هم سكانها الاصليون.. بعد طرد الحثيين والعموريين.."

وهل يسمح لنا جميع زعماء انكلترا. من وارتهم القبور، ومن لا يزالون يتصدرون المجالس والمحافل الدولية. ان نسأل: متى كان اليهود سكان فلسطين الاصليين؟ الم يكونوا غزاة، بناء على وعد مزعوم لفقوه على لسان الههم يهوه؟

وكم طالت فترة غزوهم؟

وهل طردوا الحثيين والعموريين؟ أم ان أصحاب الأرض هم الذين طردوا الغزاة وشردوهم في أربع ناحيات الأرض؟

أليست فلسطين أرض الفلسطينيين. ومن هنا كان اسمها. وعندما جاء الإسلام، اعتنق الدين الجديد من لم يكن على المسيحية. وبقوا في ارضهم؟

وقد ربط الدارسون قيام دولة إسرائيل، وهي لما تزل فكرة أو مشروعاً، بالمطامع الاستعمارية والمصالح الاستراتيجية. وقالوا ان الغرب عمد إلى مماشاة اليهود، ومن ثم استغلالهم، لتحقيق تلك المطامع والمصالح.

من ذلك ما جاء في دائرة المعارف البريطانية تحت مادة "صهيونية" "لقد وجد في انكلترا كتاب سياسيون يطالبون باعادة انشاء دولة يهودية في فلسطين، تحت الحماية البريطانية، كوسيلة إلى تأمين الطريق البرية إلى الهند".

ولكن دائرة المعارف البريطانية ذاتها تعود لتقول "ان الاهتمام بعودة اليهود إلى فلسطين، قد بقي حيا في الاذهان، بفعل المسيحيين المتدينين.

وعلى الاخص في بريطانيا، أكثر من فعل اليهود أنفسهم".

وكان دعاة الصهيونية قد اوهموا الإنكليز بأن انشاء دولة يهودية في فلسطين، هو ضمان لحماية قناة السويس، وسائر المصالح البريطانية في الشرق الأوسط.

فظاهر الاتفاق هو تبادل المنافع بين دعاة الحركة الصهيونية، وبين الحكومة الانكليزية. ولكن باطنه هو انعكاس للخلفية الفكرية عند الشعب الانكليزي. وهذه الخلفية الفكرية ترتكز على قواعد ثابتة. قطعت حجارتها من

"العهد القديم"، وصقلت بالتفاسير والتآويل، التي كان لليهود اليد الطولى في نحتها ورصفها بشكل يبهر الأبصار ويعمي البصائر.

واهم هذه المرتكزات أو القواعد التي بنيت عليها الخلفية الفكرية عند الإنكليز، هي ما اقتطع من كتاب العهد القديم، من عبارات ومضامين، تخدم مصالح اليهود وتحقق مآربهم. مثل: اختيار الله لهم.. وحقهم المقدس بأرض فلسطين.

فكتاب العهد القديم كان له أكبر الاثر في تأسيس وتكوين القاعدة الفكرية عند الإنكليز. حتى ان كبار رجال السياسة كانوا صهاينة أكثر من اليهود أنفسهم. وكانوا يرون في اعادة اليهود إلى فلسطين، وانشاء دولة لهم، ونشر ظل الحماية والعطف والعون عليهم. انما هو تحقيق لوعود الله في الكتاب المقدس، وتنفيذ لارادته ورغبته. وفي ذلك منتهى التدين والايمان.

وقد ادرك اليهود هذه الناحية، واستغلوها. فعندما بدأت الصهيونية تبث الدعوات، مرتكزة على وعود التوراة ونبوءاتها، كانت عقول الساسة الإنكليز والاميركان، ارضاً خصبة لتقبل هذه الدعوات، والعمل على تحقيقها.

وقد أشار إلى ذلك وايزمن في رده على اليهودي لوسيان وولف، زعيم الجناح المعارض لمشروع اقامة الدولة اليهودية في فلسطين. قال "إذ لم يكن يخطر في باله ان رجالاً امثال بلفور وتشرشل ولويد جورج، كانوا من المتدينين والمؤمنين بالتوراة. لدرجة أنهم يرون ان رجوع اليهود إلى فلسطين هو أمر واقعي. واننا نحن الصهيونيين نمثل لهم تراثاً عظيماً يكنون له اعظم التقدير[98].

يتصيدون الجهلة والبسطاء، ويستغلون العاطفة الدينية

ولا ننسى ان النجاح الذي اصابته الصهيونية في الدوائر البريطانية، وفوق ذلك ادراجها بين القضايا السياسية البريطانية، راجع بالدرجة الأولى

[98] مذكرات وايزمن ص 158.

إلى جهل الرأي العام البريطاني، كما يقول الكاتب الانكليزي جيفرز في كتابه "حقيقة فلسطين".

ومعظم الساسة الإنكليز، الذين كانوا يضطلعون بالمسؤولية انذاك، لم يكن يتوفر لديهم هم أنفسهم، المام بتاريخ هذه البلاد التي كانوا ينوون حكمها. مثل بلفور الذي اصطنع البراءة واستغلها. واغلبهم لم تكن له مصلحة في تبديد جهل الشعب.

وتعتبر الحركة الصهيونية من اقدر الحركات على استغلال جهل الشعب، وسطحيته، وبساطته، وبالتالي ابتعاده عن مطالعة الدراسات العميقة والتحليلية.

ولقد استطاع الصهاينة، ايهام الناس، خاصة البسطاء والسذج، بمسألة اختيار الله لهم. وما زالوا قادرين على استجهال الأمم، وحملها على الاعتقاد بأنهم في أصل الدين المسيحي. وان المسيح جاء يكمل ما بدأه انبياؤهم. فكانت مساعدة الامم لهم في العودة إلى "أرض الميعاد" التي يزعمون ان الله وعدهم بها، منذ رحل إبراهيم من "اور" الكلدانيين إلى أرض كنعان حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد. ولا يزال الوعد قائماً في الكتاب المقدس. وما على الامم الا تحقيق وعد الله، الذي اعطاه لابراهيم واسحق ويعقوب. وذكر به عشرات الانبياء مرات ومرات، عندما كان يشعر بتقاعسهم في العودة إلى "أرض الميعاد".

فعندما عجوا عن استمالة ذوي العقول المستنيرة، راحوا يتصيدون الجهلة والبسطاء، الذين تخيم في عقولهم اطياف الخوف، والرضى، والقبول. فكان أكثر المشدودين إلى مضامين اليهودية البراقة، ودعواتها المغررة، قد انجرفوا في تيارها وانزلقوا في حفرها عن غفلة وجهل وسذاجة وحسن نية. دونما علم بمقاصدها ودراية، بأهدافها.

وكانت تصريحات الصهاينة، المشفوعة بايات الكتاب المقدس، واقوال الانبياء، ومعجزات القديسين، تنفث السموم القاتلة عن طريق افاعيهم

المنتشرة فـي انحاء الأرض، لتشل عقول الناس، أو تخدرها، فتصبح ادوات طيعة فـي ايديهم.

قال بن غوريون "ان الدولة قد بعثت فـي الجزء الغربي من أرض إسرائيل. وهذا جزء من بلادنا الصغيرة". وقال فـي مناسبة أخرى "ان الدولة قد تأسست على جزء من أرض إسرائيل. ولابد من استعادة الحدود التاريخية، كما حددت وجسدت منذ بدء التاريخ[99].

وهل كانت فلسطين "بلادهم" و"ارضهم" فـي غير كتاب العهد القديم "المقدس"؟

وخاطب موشى دايان، قائد الجيش الإسرائيلي، الشعب اليهودي من اذاعة إسرائيل فـي 12 شباط 1952 قائلاً "على الشعب ان يتهيأ للحرب. وعلى الجيش الإسرائيلي ان يقوم بالقتال وهدفه الاسمى هو بناء الامبراطورية الإسرائيلية".

طبيعي، الامبراطورية التي تحدثت عنها التوراة، وتنبأ بها انبياؤهم.

وبعد حرب حزيران واحتلال إسرائيل لبعض المناطق العربية فـي الضفة الغربية للاردن، وسيناء، وهضبة الجولان. اعلن السفير الإسرائيلي فـي فرنسا: "ان إسرائيل لم تأخذ شيئاً يخص شخصاً آخر[100].

كذا.. لأن أرض الضفة الغربية، وسيناء، وهضبة الجولان. من ضمن الحدود التي خططها يهوه فـي كتاب العهد القديم "المقدس".

واستطاعت الصهيونية ان تستغل العاطفة الدينية لدى الغرب، خاصة رجال الطائفة البروتستانتية. والحقيقة ان الدعوة لاعادة اليهود إلى فلسطين، واقامة الدولة اليهودية، وجدت انصارها فـي الاوساط المسيحية البروتستانتية، قبل الاوساط الكاثوليكية. ولعل ذلك يعود إلى دعوة البروتستانتية اتباعها إلى العودة إلى التوراة.

---

[99] كتاب حكومة إسرائيل السنوي 1951-1952.

[100] نيويورك تايمز 27/7/1967.

والتوراة في مجملها، تاريخ اليهود، في فترة غزوهم أرض فلسطين. فكان من الطبيعي ان يرسخ في وجداناتهم الشعور باقتران فلسطين باليهود. ففي فلسطين تحققت مملكتا داود وسليمان، وفي القدس اقيم هيكل الرب. وصار تاريخ فلسطين الذي يعرفونه هو تاريخ اليهود في فلسطين.

وكانت كتب التاريخ القديم المتداولة بين ايدي الناس، وفي المدارس والجامعات، تساعد في بث هذه الافكار في نفوس الناس وتثبيتها في عقولهم. ويكفي ان اشير إلى كتاب واحد يعتبر مرجعاً عالمياً في التاريخ القديم، ويدرس حتى يومنا هذا في مدارس وجامعات الغرب والشرق، بما في ذلك البلاد العربية، للاسف الشديد. وهو كتاب "العصور القديمة" للمؤرخ هنري برستد.

فهذا المؤرخ لم يشر مثلاً: إلى الكنعانيين، أهل فلسطين، الا عرضاً، واثناء حديثه عن مجيء اليهود إلى فلسطين. فقد افرد أربعة فصول للحديث عن الغزاة اليهود. الذين قضوا أكثر من قرنين في احتلال بعض جبال فلسطين. ولم يدم ملكهم الذي اقاموه في هذه الأرض أكثر من قرنين ونصف القرن، وعلى فترات متقطعة. بينما لم يفرد للحديث عن الكنعانيين وحضارتهم التي دامت أكثر من 1500 سنة، مجرد فصل واحد.

جاء في حديثه عن الكنعانيين قوله "في ذلك الحين" أي عند مجيء اليهود" كان لدى المدن الفلسطينية، التي لم تقهر، حضارة عمرها 1500 سنة. تضم بيوتاً مريحة، وحكومة وصناعات، وتجارة، وكتابة وديانة.

حضارة أسرع الرعاة العبرانييون المتخلفون إلى اقتباسها[101].

ترى، لماذا تقاعس برستد عن أفراد فصل واحد للكنعانيين الذين كانت لهم باعترافه، حضارة ضمت الصناعة والتجارة والكتابة والديانة. وعمرت أكثر من ألف وخمسمائة سنة. ويفرد الفصول الطوال لتاريخ حياة الرعاة المتخلفين، الذين اقتبسوا حضارة الكنعانيين وديانتهم، ومسخوها، وشوهوها؟

لماذا؟

---

101 James Henry Breasted: Survey of the Anciet world 1919 P. 96.

لست ادري!

ادري شيئاً واحداً هو ان برستند، كسائر مؤرخي العالم القديم، كان واقعاً تحت تأثير التوراة. وإذا كانت حضارة الكنعانيين وديانتهم لا تزال طي الكتمان، في بطون الأرض،أو منقوشة على جدران الهياكل والمعابد والمقابر، فإن التوراة، التي هي صورة مشوهة عن ديانة الكنعانيين، قد ترجمت إلى أكثر من 120 لغة، وطبعت منها ملايين من النسخ. أو قل انها في كل بيت، وفي كل معبد، وفي كل مدرسة في الشرق والغرب تقريباً.

والملاحظ ان برستد الذي مجد الحضارة الكنعانية على هذا النحو يعرف عنها الكثير.

فلماذا صمت؟

لست ادري!

هذا مثال سقناه. نعود إلى البروتستانتية التي اعتمدت التوراة كتاباً مقدساً، واعتبرتها جزءاً اساسياً من عقيدتها. فكان لليهودية، ركن العقيدة البروتستانتية، والتي تكون القاعدة الفكرية عند كل بروتستانتي، اثر فعال في الدعوة لفكرة "العودة". عودة اليهود إلى فلسطين، التي هي باعتقادهم، مشيئة الله. وما على المؤمنين الا العمل على تحقيق هذه المشيئة الالهية.

وان التركيز في البحوث الدينية والتاريخية على كتاب العهد القديم، خلق الانطباع عند الغربيين بأن فلسطين يهودية. فعودة اليهود إليها أمر حتمي، لانه مشيئة الهية.

ثم انشقت البروتستانتية، بفعل عوامل متعددة، إلى مجموعة طوائف. مما افسح المجال امام الحركة الصهيونية للتعامل مع كل طائفة بمفردها. فضلاً عن تعاملها مع الأفراد في حرية تامة. فكانت هناك الجمعيات والمؤسسات والنوادي الكثيرة، مسيحية في ظاهرها، وصهيونية في برامجها واهدافها.

اضـــافة إلى جمعيـــات مشتركة بين اليهود والبروتستانت، تتبنى دعوة الصهيونية والعمل من اجلها.

وهكذا وجدت الحركة الصهيونية حلفاءها وانصارها في البلاد البروتستانتية على مستويين: حكومي، وشعبي. مما ساعدها على رفع الباطل وازهاق روح الحق.

وارباب الحركة الصهيونية، بما لديهم من خبرة ونفوذ، يعاونهم عدد وافر من غير اليهود. ممن تأثروا، لسبب أو لاخر، بالحركة الصهيونية. يولون التوراة اهتماماً شديداً. مركزين على تفسير النصوص بما يتلاءم والنظرة اليهودية، تمهيداً لاعادة تفسير النصوص في ما يتعلق بارض الميعاد. خذ مثلاً الراهب اللوثري الذي وقف في السادس من شباط 1964 محاضراً امام شبكة تلفزيون أمريكية. قال "انني اريد ان أذكر الناس بأن "العهد القديم" هو الكتاب المقدس الوحيد الذي استعمله يسوع"[102]. وكأن يسوع كان تلميذاً في مدرسة المتنبئين اليهود، وكان كتابه "العهد القديم"؟

ويقودون الامم بالابواق والمنابر

حين أخذ ظل بريطانيا العظمى يتقلص خلال الحرب العالمية الثانية، وفي اعقابها، توجه الصهاينة إلى اميركا. ورموا بكل ثقلهم الاقتصادي والسياسي في خضم المجتمع الاميركي، ورموا معه كل ما تحمله كتبهم الدينية والسياسية من نزعات وانحرافات، وامراض فكرية واجتماعية. سموها امالاً دينية. نذروا أنفسهم لتحقيقها. وسموها عقائد، أخذ بها الشعب الاميركي، واعتبرها الدين الصحيح والمعتقد القويم.

تغلغلوا، فأثروا، وفعلوا. كتب، محاضرات، ندوات، منشورات... حتى باتت اميركا قاعدة لتصدير الجمعيات والطوائف. خذ مثلاً الماسونية، والسبتية، والانجيلية، وحركة المتجددين.. وكلها تسير في ركاب الصهيونية وتخدم اهدافها. اما الميدان الذي عبأت له الصهيونية كل امكاناتها المادية والمعنوية، معتبرة اياه من أهم الميادين في تكون القاعدة الفكرية عند الرأي العام، وبالتالي استمالته وكسب تأييده، فهو ميدان الإعلام والثقافة. اعني الثقافة السياسية.

[102] مجلة تايم 7 شباط 1964.

وقد نجحت الصهيونية في اميركا، في اقامة الاستحكامات التي هيأت لها السيطرة على هذا الميدان. فاصبح الرأي العام الاميركي ينطلق من قاعدة صهيونية في الفكر والدين والسياسة. واصبح الاميركيون كالدمى. تلعب بهم اصابع الصهيونية. تصدرهم في المحافل والمؤامرات، فلا ينطقون الا باسمها. وترسلهم في بعثات تبشيرية فلا يخدمون الا مآربها.

هذا ما صرح به السناتور وليم اغنر عام 1955 قال: "لقد تمكنت الحكومة الخفية "يقصد الصهيونية" من ان تكون لها رقابة كاملة على الصحف والاذاعة والتلفزيون والمسرح والسينما، وكثير من المؤسسات التي تؤثر على الرأي العام الاميركي، بما في ذلك الكنائس المسيحية".

واستطاعت الصهيونية التسلل إلى الهيئات الدينية المسيحية، وكسب مودة رجال الدين. فكان رزر فورد، أحد رسلهم في الولايات المتحدة الاميركية، بوقاً لهم، يبشر بكتابهم، ويدعو دعوتهم، وينشر من مبادئهم ما يسمم فكر الغربي، خاصة الاميركي. لأن المجتمع الاميركي البدائي، الخالي من القيم الحضارية والانسانية، كان ارضاً خصبة لتقبل مثل هذه المبادئ.

جاء في كتابه "كتاب حياة" قوله "ان عودة اليهود إلى فلسطين. ان هي الا تحقيق لنبوءات الكتاب المقدس" وقوله " ان على المسيحي ان يتم باعادة اليهود إلى ارضهم في فلسطين. والتي هي أرض ابائهم واجدادهم".

وكان لرزر فورد وجماعته، جمعية باسم "جمعية التوراة". كانت تضم سنة 1950 ثلاثة ملايين نسمة، منتشرين في كافة انحاء العالم. لا عمل لهم الا التبشير، والتضليل. ولهذه الجمعية مجلة "برج المراقبة" تصدر بست وستين لغة. يطبعون منها أربعة ملايين نسخة. ومجلة أخرى "استيقظ" يطبعون منها أربعة ملايين نسخة، وتصدر بخمس وعشرين لغة.

جاء في مجلة لهم قولهم "هذا. واننا لنرى اليوم اعين اليهود في الأرض، شاخصة نحو فلسطين. يرمقون بعيونهم، وكأنهم يرون اقتراب الشيء المنتظر. وقلوب المتدينين منهم مفعمة بالرجاء، ان يكون وقت اجتماع اليهود في فلسطين، وانشاء الحكومة من اليهود ولليهود، قد دنا حسب التدبير الالهي".

وكان الدكتــور يوناثان تشيرمان اسقف لونج ايلاند ـ نيويورك، يقول "ان الكتاب المقدس الذي يضم العهدين: القديم والجديد، هو وحدة تجمع نصوصاً متنوعة، تحد وعود الله وتحقيقها عبر التاريخ"[103].

واستغل اليهود المجامع الكنسية، والمؤتمرات الدينية، وما تتخذه من مقررات هي على الاغلب، فـي صالحهم. ليستنفدوا طاقات الحكومات التي تحتضن هذه المجامع والمؤتمرات، فـي خدمة مصالحهم وتنفيذ غاياتهم. اما رجال السياسة، فيكفـي ان اذكر لك ما يقوله الكاتب الاميركي الصهيونية كما لو كانوا ينحنون امام ضريح له قداسته".

[103] إسرائيل فـي الكتاب المقدس. ترجمة حسني خشبة ص 65.

الكتاب ـ الوثيقة

"ينحنون امام الصهيونية"..

لماذا؟

الا تعتقد ان نصوص التوراة، التي نشأوا عليها في البيت وفي المدرسة وفي الكنيسة، جعلتهم يرون في اليهودية وكتابها أصل كتابهم "الانجيل". ومن هنا كان حدبهم على اليهود ومساعدتهم لهم في قضيتهم.

والتوراة، كما رأيت، ليست مجرد كتاب ديني، يربط اليهود بأحداث تاريخية معينة، وبمفاهيم دينية خاصة، على نحو ما نرى في كتب الديانات الأخرى. ولا يكفي ان لها، كما للتعاليم والشروح والتفاسير التي وضعت حولها، الاثر الأكبر في تكوين اليهود الفكري والاجتماعي والسياسي. وانما هي، قبل كل شيء، دعوة عنصرية في قالب عقيدة، ووثيقة سياسية مغلفة باطار ديني، ورسالة اجتماعية لها صفة المقدس. وقد استخدمت هذه العقيدة، لنشر دعوتها وتأكيدها في النفوس. ومن ثم عملت، وما تزال تعمل، على تحقيق الوثيقة حسب المخطط المرسوم في التوراة. وخرجت الاجيال بحسب منهجية هذه الرسالة. ووجهت اليهود إلى ما ينبغي ان يكون بعضهم ازاء بعض، وازاء غيرهم من الامم.

وان ما شغل زعماءهم واحبارهم وحكماءهم، من كتابهم. هو وضع الفكرة السياسية موضع التنفيذ. يساعدهم في ذلك الدعوة العنصرية التي تجمع اليهود المشتتين، في مفهوم قبلي. يزيده تماسكاً والتحاماً ضربات الاضطهاد التي نزلت بهم.

والحق نقول ان الصهيونية ليست وليدة القرن التاسع عشر، نتيجة الاضطهاد الذي عانى منه اليهود، كما يحلو القول للمؤرخين. وانما هي تضرب جذورها في أرض التوراة. وقد انبتها السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد، حين كان أبناء السبي يرنون بأبصارهم صوب صهيون. يندبون "المجد" الزائل، ويتغنون بالمجد الاتي. "على انهار بابل، هناك جلسنا. "بكينا

عندمـــا تذكرنا صهيون. ان نسيتك يا اورشليم تنس يميني. ليلتصق لساني بحنكي ان لم أذكرك. ان لم افضل اورشليم على اعظم فرحي. مزمور 137".

فهذه الكلمات تمثل بذور الصهيونية. وقد بقيت فكرة الصهيونية، ودولة إسرائيل، حية فـي كلمات هذا المزمور، وغيره من اسفار العهد القديم. ولقد كانت تلك الكلمات ذات اثر سحري عجيب فـي نفوس بني إسرائيل. وشيئاً فشيئاً أصبحت البذرة الأولى للحركة الصهيونية.

ولذلك قال أحد الصهاينة الإنكليز "ان الصهيونية قديمة قدم اسر الشعب اليهودي، وتدمير الهيكل من قبل نبوخذ نصّر[104]".

وقال مؤرخ صهيوني آخر "صهيون لم تكن مجرد اضغاث احلام.

لقد كانت تحف بها قلوب اليهود من شتى بقاع العالم[105]".

وقد روج زعماء الصهيونية هذه التصريحات بقدم الصهيونية، فـي مجتمع من العميان، لاقناع العالمين الاوروبي والاميركي، بأن عودة اليهود إلى فلسطين، واقامة دولة يهودية فيها، انما هو تحقيق لوعد الله فـي كتاب المسيحيين المقدس.

ولم يزل الوعد، والاله الذي قطع الوعد، والكتاب الذي يحمل الوعد، سلاح الصهيونية فـي كسب تأييد العالم الغربي، ومناصرته لها بالسلاح والدم والمال.

وكثيراً ما تبدو الصهيونية نظاماً دينياً عاطفياً. يترك فـي النفس اثراً بالغاً. عن طريق صوغ قواعده بعبارات شعرية. كقول وزير الدفاع الإسرائيلي موشي دايان "ما دامت التوراة، أم الكتب موجودة، ما دام للتوراة شعب. افلا ينبغي ان يكون لهذا العشب أرض"؟. وفـي مناسبة أخرى، فـي التاسع من آب 1967 قال موشي دايان "لما كان عندنا كتاب التوراة. ونحن أهل الكتاب. يصبح لدينا ايضاً أرض التوراة. أرض القضاة، والاباء، فـي القدس والخليل واريحا وجوارها".

---

104 104 N. Bentwich: "Palestine." London. 1934. P. 60.

105 H. Sacher: The Course of Modern Jewish History. N.y. 1963.

وقال فـي تصريح آخر "ان سلسلة الجبال الواقعة غربي نهر الاردن، تقع فـي صميم التاريخ اليهودي[106].

وفـي عام 1929 رفع اليهود المتطرفون يافطات كتب عليها "ليس الانتداب البريطاني، بل التوارة، هي التي تضمن حقوقنا على هذه الأرض".

وحتى اليوم، الربع الأخير من القرن العشرين، لا تزال الصلة بين اليهود وبين أرض فلسطين، تستقي صورتها وصياغتها من ينبوع التوراة، الذي يبدو انه لا ينضب. وقد رأيت فـي سياق هذا البحث، ان كتاب العهد القديم يدور حول فكرة واحدة، تشكل محوراً تدور حوله وتنصب فيه جميع الافكار الأخرى ـ الوعد بالارض.

فالتوراة، وجميع الكتب التي دارت فـي اطارها يشكل تفاسير وشروح، كانت هي القاعدة الفكرية عند اليهودي، وجميع الفرق والحركات المسيحية المتهودة. تتركز عليها وتنطلق منها جميع اتجاهاتهم الفكرية والسياسية والاجتماعية.

رسخت قصصها واساطيرها فـي اذهانهم، مذ نشأوا على مقاعد الدراسة، ومذ كانوا يترددون على المجامع والكنائس لاقتبال بركة كاهن أو سماع خطبة واعظ، يفصل فـي الشروح، ويعشب فـي التآويل، ويردد من التفاسير، ما يجعل عقل السامع حائراً فـي بيداء من الضياع والتشتت. وعذره ان هذه الغيبات مقدسة، لا يرقى إليها العقل، وليس بقادر على الاحاطة بها.

فالصهيونية، كفكرة، كانت راسخة فـي عقول المسيحيين، بتأثير العهد القديم. ثم صارت دعوة، أخذ بها مؤسسو الصهيونية. ثم أضحت حركة اجتماعية واسعة، على صعيد مؤسسات دينية، واجهزة أعلامية، ومؤتمرات دولية، ومحافل اممية. والدعوة والحركة اعتمدتا على الفكرة الراسخة فـي العقول، بتأثير الكتب الدينية المختلفة، من موسوية، إلى مسيحية، فمحمدية.

والصهيونية غزت افكار الفئة المسيحية المتدينة اوما نسميه بالتيار التقليدي فـي الكنيسة المسيحية. هذه الفئة تشكل الغالبية العظمى من الشعب

[106] Jerusalem Post, August 10. 1967.

المسيحي. وهؤلاء يؤمنون بأن اليهود عادوا إلى بلدهم. والعهد القديم يؤكد بنبوءاته المتعددة على هذه العودة. ويقولون: ان الله اختار هذا الشعب، ووعده بالارض. وبعد السبي والتشتيت، وعده بالعودة إلى "أرض الميعاد". إذن فعودة اليهود إلى فلسطين، واقامة دولة يهودية، هو تحقيق لوعد الله ونبوءات الانبياء.

وهكذا قامت جميع اعمالهم السياسية، بتنفيذ العقيدة التي زرعوها في عواطف الامم، وعقولها. جاء في نشرة صادرة عن مطرانية الروم الكاثوليك في الارجنتين "من اليقين ان الله اختار قديماً شعب إسرائيل.. وقد احتل هذا الشعب أرض فلسطين، في غابر الأزمان، بناء على وعد قطعه الله لابراهيم".

كذا يقول رجال الكنائس، وارباب المسيحية المتهودة.

ولذلك قال الاب الدكتور أ.س. فورست، رئيس تحرير مجلة الاوبزرفر، الناطقة باسم الكنائس المتحدة في أمريكا. عند عودته من جولة قام بها في الشرق الأوسط. قال "ان اكبر ظلم وقع على العرب كان من الكنائس الغربية".

وينشرون الاضاليل في وجوه الامم

لقد صنفت آلاف الكتب في عرض وتحليل الوسائل التي استخدمها الصهيونيون في الاستيلاء على فلسطين. وعرضت المؤلفات الكثيرة براعتهم المتناهية في كسب تأييد زعماء العالم لهم ولقضيتهم. والذرائع المتنوعة التي تسلحوا بها للوصول إلى عقول ساسة الغرب وحكامه.

غير ان سبباً واحداً بقي خافياً على كثير من الدارسين. منه تفرعت جميع الوسائل والاسباب واليه تعود: فلسطين، أرض الميعاد، التي وعد بها الله اباء اليهود منذ آلاف السنين.

ومس هذا السبب شغاف القلوب، قلوب العالم المسيحي برمته. لأن الكتاب الذي يحمل هذا الوعد، هو كتاب مقدس عند سائر المسيحيين. وقد اضفى زعماء الصهيونية على حركتهم ثوباً دينياً براقاً. رجوا به جذب يهود العالم إلى فلسطين، وأخذ تأييد الفئات المسيحية المتهودة، المتدينة. واستغلت الصهيونية العاطفة الدينية، فكان احتضان العالم الغربي للصهيونية،

بالعطف والمال والتأييد والسلاح. ولا ننسى ان العاطفة الدينية تعمي الإنسان عن رؤية الحق الصراح.

وعندما تم الغزو الصهيوني، برزت رواسب النبوءات المتوارثة، والقابعة في الطبقات السلفية المظلمة من عقول المسيحيين، السذج والبسطاء. وسارعت الطوائف المسيحية المتهودة، ورجالاتها المتصهينون، جنباً إلى جنب، مع اباء الصهيونية، إلى عرض الاجتهادات الدينية، وتفسير بعض آيات الكتاب المقدس، في محاولة لتبرير الغزو الصهيوني.

والاهم من ذلك انها نشرت، وتنشر، هذه الاجتهادات الدينية، والتفسيرات في بوق الدعاية الصهيونية، عبر المؤسسات الدينية، والندوات الاجتماعية، والاجهزة الدعائية، رامية إلى اقناع العالم، أو حمله على الاقتناع، بأن ما حدث، وما قد يحدث. انما هو تحقيق لنبوءات الكتاب المقدس.

واهم حجة برروا بها عملية الغزو والاستيلاء، هي ان فلسطين "أرض الميعاد". وعد الله بها إبراهيم، وكرر وعده مراراً وتكراراً لملوكهم وانبيائهم. ووعدهم، بعدم اقتلاعهم منها ونفيهم، باعادة تجميعهم، والعودة بهم إلى فلسطين، لانشاء الدولة اليهودية التي يكون كرسي الله فيها. وهذا الوعد باعادة تجميعهم، والعودة بهم، حاولوا ترسيخ جذوره في العقل الغربي. وقد تمكنوا من ذلك. كيف لا؟ والوعد ـ الوثيقة هو محور الكتاب المقدس، وخلاصته.

ثم أنهم اعتمدوا التأويل، وتحميل الاية احياناً، أكثر من معنى، لاشاعة التضليل. واتخذ بعضهم من الوعد والارشاد مهنة لهم، ليخدم الغاية التي نذر نفسه من اجلها. وكان لهم جيش من الرسل والمبشرين الذين يحملون اسماء مسيحية وقلوباً يهودية. وجيش من أفراد الطوائف التي انشقت عن المسيحية، كالبروتستانتية، وجميع الفرق التي تفرعت عنها.

وهناك حركات دينية متصهينة. هي اشبه بالحركات الباطنية. ظاهرها مبادئ إنســانية، كالاخاء والمحبة والمساواة والحرية.. أو التقشف ونبذ حطام الدنيا.. كشهود يهوه، والسبتية، والمتجددين.. وباطنها حركات سياسية

واجتماعية، تعمل على خدمة مآرب الصهيونية وتحقيق اهدافها. فكانت العودة إلى "أرض الميعاد"، وبناء الدولة اليهودية، واعادة تعمير هيكل سليمان و.. هي الرسالة التي حملوها، ويحملونها في وجداناتهم وفي مجالسهم وكتبهم وتبشيرهم. فكان المسيحي الغربي يشب، وفي اذنيه تطن اصداء هذه الرسالة. وصار العالم الغربي، بعد سيطرة اليهود على مجاري الفكر وتياراته، بعامل اعتبار التوراة كتاباً مقدساً، وبقوة الدعاية التي لقحت الفكر بالزيف والاباطيل، صار هذا العالم يؤمن بعماء، ان حق اليهود في أرض فلسطين هو حق شرعي. تثبته التوراة "المقدسة" التي تشكل الخلفية الفكرية لمعظم المفكرين السياسيين وغير السياسيين في العالم تقريباً.

"فليس غريباً ان معظم اليهود يصلون من أجل العودة إلى صهيون، ويرتلون تكراراً تلك المقطوعات المعروفة من المزامير والانبياء، والتي تبشر بالعودة. ولكن الغريب ان الطوائف المسيحية البروتستانتية، والتي تقبل التفسير الحرفي للكتاب المقدس، تتطلع كذلك إلى هذه العودة[107].

كان اليهود يسربون التفاسير، ويروجون الشروح والتأويلات، بتأن وحذر شديدين. وكان العقل المسيحي يتقبل هذه الشروح والتفاسير في صلب العقيدة المسيحية من تضليل أو تزييف.

فانشقت المسيحية إلى طوائف، وصار لكل طائفة تعاليم ومبادئ وعادات وتقاليد.. وكلها مشربة بالروح اليهودية.

ولم يظهر بين المسيحيين من يتصدى للزيف والتضليل، ويمحو عن وجه المسيحية ما علق به من زور وبهتان، ويعيد إليه بريق الحق. لأن اليهود كانوا يعملون لهدف ويجدون لتحقيق غاية. اما المسيحيون فقد انساقوا وراءهم، ولا غاية لهم يبغون الوصول إليها. وشتان بين من يسعى لغاية، وبين من يتقبل ما يلقى إليه من دون اجراء تمحيص أو تدقيق. الأول يصل إلى غايته، واما الآخر فقد سار من حيث لا يشعر في ركاب الأول، ووصل إلى نفس الغاية من حيث لا يدري.

---

[107] الحاخام المر بيرغر ـ إسرائيل في الكتاب المقدس ـ ترجمة حسني خشبة ص 41.

وهكذا انجرف المسيحيون، منذ عهد المسيح إلى اليوم، مع تيار التضليل اليهودي، المخطط له عن قصد وتصميم. ولم يظهر بين المسيحيين من يدحض الزيف ويمزق حجب الزور والبهتان.

وإذا كان بعض المفكرين قد اماطوا اللثام عن حقيقة التوراة، واعادوها إلى اصولها، في أثار أو غاريت، وما بين النهرين، ومصر. أو فضحوا حقيقة الاله "يهوه" الذي وعد اتباعه بتمليكهم القسم الجنوبي من أرض سوريا. فهؤلاء المفكرون يعدون بالعشرات، ولا نقول بالمئات. ثم، من سمع بهم؟ وإذا كان قد سمع، فمن قرأ كتاباً لهم؟

اما التوراة فتشكل القاعدة الفكرية عند غالبية الناس. تردد على مسامعه اياتها وقصصها منذ نشأته، في الكنيسة وفي المدرسة. ويكبر، ويرسخ في صدره الاعتقاد بأن التوراة مقدسة، وبالتالي فكل ما ورد فيها أمور ربانية واحكام الهية، لا يرقى إليها العقل البشري، ولا يقدر على الاحاطة بها. إذن فارض فلسطين هي "أرض إسرائيل" بموجب وعد الله لابراهيم. وجميع انبياء اليهود من بعده. والعودة إليها أمر حتمي، كما تنبأ انبياء إسرائيل، وهكذا عملوا على تضليل المسيحيين، حتى بات المسيحي يؤمن بحق اليهود في العودة إلى فلسطين، كاليهودي ذاته. لأن ايمانه مبني على عمى بصيرة، واستسلام عاطفي للتوراة وشروحها وتأويلاتها.

كما سخروا الجمعيات السرية، وسائر المجالس والاندية، لخدمة الصهيونية. واستخدموا الوسائل المختلفة، وخلقوا الذرائع المتنوعة، للاستيلاء على فلسطين، واقامة دولتهم فيها. وكانوا قبل ذلك قد غزوا عقول الغربيين، وملكوا عواطفهم، لتقبل كل فكرة صهيونية، وتبرير كل عمل.

تهويد الذهن المسيحي

وبعد. فقد رأيت، وترى، وسترى، ان بني إسرائيل يسخرون نفراً من ذوي العقول المريضة. يضفون على اساطيرهم صفة "المقدس". ويشترون الضمائر الرخيصة، والاقلام القذرة. يطمسون الحقائق، ويزورون التاريخ، ويشوهون الوقائع. حتى صارت الصهيونية افيوناً يخدر العقول، ويأخذ بمجامع الالباب.

واضحت طيوف الصهيونية تعشش في أفكار المسيحيين المتهودين. ولا يزال وجهها الحقيقي خافياً، ومراميها البعيدة مجهولة. لأنها تسدل على وجهها من الاقنعة والحجب الكثيفة ما يخفيه عن اعين الناس. وتطلق، عن طريق مؤسساتها المتعددة، والمنتشرة في انحاء العالم، سيولاً من الكتب والنشرات، الكثيرة الاتجاهات، والمتعددة الاساليب، لتصطاد كل من تسول له نفسه الخوض في غمار القضية الفلسطينية. محاولة ان تعطل فكرة، أو تجره إلى نوع من الكسل أو الخيل.

اما العامة، التي تتقبل ما يلقى إليها دون امعان أو تفكير أو تمحيص، فانها تدفق في وجوهها المعلومات السطحية، القريبة المتناول، في قالب من التاريخ، أو شكل من الدراسة. بعد ان تكسو زيفها ببريق الدعاية ولمعان الشهرة. شهرة الاقوال، أو شهرة من اطلقها. وكثرة من يتداولها. فتستدر بذلك عطف سواد الشعب، فينجرف في تيار التأييد السياسي، والعون العسكري، والمساعدة المادية. أو على الأقــل ينسى أو يتناسى العرب أصحاب القضية. والاكثر انه يضمر لهم سيف الحقد لاجتثاثهم من الوجود .أو يرميهم بنظرة اللامبالاة بهم وبوطنهم. وكأنهم نكرة في عالم المعارف.

واستطاع زعماء الصهيونية، وكتّابها، ان يصوروا اليهود حملان في غاب ذئاب، ومتحضرين في مجتمع برابرة. ليبرروا استجداء العطف والشفقة من العالم، وليضفوا طابع الشرعية على حروبهم التوسعية، مدعين انها حروب وقائية، لا تبغي غير حدود امنة.

رأيت..! ورأيت كيف استغلوا الدين لاخفاء اهدافهم السياسية، وتحقيق مآربهم في التسلط والتزعم والتوسع.

اما نحن، المسيحيين، فكنا، ولا نزال، نعتبرهم أصحاب شريعة سماوية. وانهم احفاد الانبياء، الذين دوخوا الجيوش ببطولاتهم الاسطورية، وادهشوا الدنيا باختبار معجزاتهم. نردد ما رواه كتاب العهد القديم من أخبار البطولات المنسوبة إلى اباء اليهود الاولين، ومعجزات انبيائهم، وكرامات اوليائهم. ولا يزال رجل الدين المسيحي، يجعل من نفسه داعية لاساطيرهم "المقدسة".

إسرائيل فرضت وجودها في ارضنا بالقوة. اما في الغرب، فقد وجدوا الأرض خصبة لزرع التشويه والتضليل، بالشروع والتفاسير، في العقيدة المسيحية. وهذا التضليل مهد إلى انشاء كيان ديني في عقول الغربيين. ثم تسجد في كيان سياسي، في أرض فلسطين. ايماناً من العقول الغربية المضللة، بأن ذلك هو تحقيق لوعد الله، وتنفيذ لاوامره العسكرية وارادته المطلقة.

فالدين هو الباحث الأول في انشاء دولة إسرائيل. وإذا كان هذا الباعث اصيلاً في النفسية اليهودية. فانه غرس في نفوس الغربيين، بالتضليل، وسقي بماء الشرح والتفسير والتأويل، عبر الطوائف المتعددة، والجمعيات المتباينة المبادئ والاهداف، ورجـــال الدين العميان، لجهـــلهم أو بساطتهم، أو ضحالة وعيهم. والمتعامين، طمعاً بالكسب المادي والمعنوي.

وهذا الكيان السياسي، الذي يحاول غرز جذوره في ارضنا، منذ اوائل القرن العشرين، يستند إلى مجموعة من القيم الدينية، والعنصرية، والتاريخية. وتجمع هذا الكيان رابطة قوية، هي الدين اليهودي. ويوحده كون اليهود يشكلون عنصراً جنسياً متميزاً.

وهذه القيم الثلاث مترابطة. فعنصرهم المتميز جعلهم شعب الله المختار. والهم خاص بهم. جعل من نصيبهم فلسطين "أرض الميعاد". ولذلك نرى زعماء الصهاينة يشددون على هذه القيم. ففي عام 1943 وقف بن غوريون، يخطب في حشد يهودي في فلسطين. قال "ان اليهود في العالم يكونون شعباً واحداً. شعباً لا وطن له، ولا خلاص، الا بالعودة إلى أرض الميعاد"[108].

اما نحن، المسيحيين، انا مثلاً، فمنذ نشأتي في البيت، المدرسة، المجتمع الصغير، نعرف من قصص العهد القديم، ومعجزات انبيائه، أكثر مما نعرفه من سيرة المسيح.

[108] Barent Litvinoff: Ben Gurion of Israel. London. 1954. P. 75.

عرفنا مثلاً، من رجال الدين، ومن ابائنا واجدادنا، ان الشعب اليهودي يتفرد بحمل رسالة الخلاص. وان خلاص البشرية لن يكون الا على أيديهم. وجميع ما ورد في كتاب العهد القديم من نبوءات سوف يتحقق. واختيار الله لهم، وحصر الانبياء بذريتهم، ووعدهم بأرض فلسطين. انما هو "قصد الهي" لا تدرك كنهه العقول ولا تحيط به المدارك.

وعرفنا، وعرفنا...

واليوم. هل يسمح لي اجدادي، وجميع اباء الكنيسة في العالم، ان اسأل:

لماذا اختار الله إبراهيم، وذريته شعباً خاصاً به. قصر اختياره على يعقوب "إسرائيل" ونسله من بعده؟ ولماذا وعدهم بتمليكهم ارضاً مأهولة بسكانها؟ ولماذا قضى على شعوب الأرض بالفتك والابادة؟ اما كان باستطاعته هو الحكيم القادر العادل الرحيم الشفوق الحنون العطوف.. ان يبدد هذه الشعوب من بيوتها واراضيها بغير قانون التذبيح والافناء لماذا اصر الله على وعده، رغم ان بني إسرائيل ضربوا بالشروط التي اخذها علهيم عرض الحائط ونكثوا بعهده وخالفوا اوامره ونواهيه مرات ومرات؟

لماذا؟

يقولون هذا "قصد الهي". وانا أقول بأن عقلي قاصر عن فهم هذا "القصد الالهي"، من أي ناحية شئت.

من الناحية الدينية؟ هل الله ومقاصده الغاز واسرار؟ يقولون: نعم. فاسرار الله لا تدركها العقول. لماذا؟ هل الله غير قادر على الافصاح. أم انه يخاف من الصراحة؟ من الطبيعي ان ننفي هذه التهم عنه "جل جلاله". فلماذا إذن يا ترى يلجأ إلى الاسرار؟

من الناحية الإنسانية؟ اليس هو اله الرحمة والمحبة والعدل والحق..

إلى أخر ما هنالك من معاني الكمال والخير؟ فكيف يقضي بابادة شعب وتمليك ارضه لاخرين؟ اما كان باستطاعته ان يجد ارضاً غير مأهولة، يفجر فيها انهاراً من العسل واللبن. ويقدمها هدية لشعبه الخاص؟

لماذا لماذا؟

فهل من مفسر لهذا "القصد الالهي"؟ ليت.

وإذا كان لي من رأي، فليس لدي غير تفسير واحد لهذا "القصد الالهي". هو ان اصحابه ابتدعوه لتبرير هذه الأعمال والاقوال التوراتية. التي يأباها العقل ويرفضها المنطق. لأن قصة عادية ودنيوية. فكيف يمكن رفعها إلى مرتبة القداسة. وجعلها اسفاراً تتلى في كنائس المسيحيين، بغير وصفها بهذا التعبير الغامض "القصد الالهي"؟

ثم، لماذا تبدلت حدود الأرض الموعودة بين وعد وآخر؟ وما "القصد الالهي" من وراء هذا التبدل؟

أليس معناه ان حدود الأرض مرتبطة بالمطامع الصهيونية. وان هذه الحدود كانت تتسع تبعاً لشعور اليهود بالقوة والغلبة. أو تتبع ارضاء لشهوة الاستيلاء على أرض الآخرين، أو ارواء لرغبات مكمودة تتلمظ في اكبادهم؟

ونسأل: لماذا اراد الله اقتلاع شعب من ارضه بالتذبيح والافناء والتشريد. ومنحها لقوم آخرين؟ وما الأسباب الكائنة وراء هذه المنحة السخية؟

واين، وكيف، ومتى، كان يقسم الله الأرض بين الشعوب؟ وليته كان عادلاً في التقسيم. يعطي هذا ويحرم ذاك. وإذا سالت: ما المبررات؟ قالوا انه "القصد الالهي"

وما دام الوعد قصداً الهياً. فلماذا كان الله يحارب، ويضع الخطط الحربية، ويقود الجيوش للغزو والاستيلاء. ويأمر بقتل الرجال والنساء والاطفال والجمال والحمير.. وقطع الاشجار؟..

أكان بحاجة إلى هذه العمليات الحربية التي لا حصر لها، ليستولي على أرض، ويقدمها إلى شعبه الخاص؟ اما كان بامكانه ان يحقق "قصده الالهي" من دون اراقة قطرة واحدة من الدم؟

والمؤسف ان يطلع علينا مجموعة من الدارسين، في الفترة الأخيرة، بدراسات تتناول الموضوع من شتى جوانبه. وقد أكد هؤلاء الدارسون الوعد، في حين ارادوا نفيه. قالوا: ان الله قد اعطى الوعد بشروط اهمها سماع

كلمته، واتباع تعاليمه، والولاء له، دون غيره من الالهة الأخرى. وقد تحقق الوعد، ثم انتفى بغضب الله الذي حل باليهود لانهم خالفوا تعاليمه، وكفروا باسمه، وعبدوا الهة أخرى. فعاقبهم بالتيه، وفقدان الأرض.

وإذا كان انبياء اليهود قد تنبأوا بغفران الله، وبالعودة. فهؤلاء الدارسون يعتبرون ان هذه النبوءات قد تحققت بالعودة من السبي. وهم يرون ان النبوءات لا تبشر بعودة ثانية بعد خراب الهيكل.

ويعتبر فريق آخر ان الوعد بالارض لا يقتصر على اليهود فقط، وانما يشمل العرب ايضاً، من مسيحيين ومسلمين، لانهم تحدروا من صلب اسماعيل بن إبراهيم.

قلت من المؤسف ان يظل بعض الدارسين في سراديب الصهيونية، أو على الأقل، ان يكونوا من فئة المسيحيين المتهودين، خاصة الطوائف الغربية، يؤمنون بصحة الوعد الالهي. كيف لا؟ وقد ورد الوعد في الجزء الأول من كتابهم المقدس، الذي تتلى اسفاره في كنائسهم ومجامعهم ومدارسهم وانديتهم.

هم يتسلحون بمبررات ومضامين من الكتاب المقدس. يحاولون اقحامها في عقول الناس. ويقدمون الشروح والتفسيرات التي تتفق وغاياتهم، وتبرر شرعية احتلالهم لفلسطين. فاستغلوا العواطف البسيطة وضللوا العقول. اما الاصوات التي تنبهت، وشاءت دحض هذه الاباطيل، وفضح هذه الآراء، فكانت خافتة، وضعيفة. لأن اليهود عرفوا، بذكاء اعلامي خارق، كيف يخنقون تلك الاصوات، يسخرون الفكر ووسائل الإعلام للسير في ركابهم.

وكانت جمعياتهم، كجمعية محبي صهيون، قد اخذت تنشر وعود الرب في الكتاب المقدس، واقوال الانبياء التي تؤكد حتمية الرجوع إلى فلسطين، واقامة الدولة، وبناء الهيكل.

اما نحن، الكنيسة البروتستانتية مثلاً، وما تفرع عنها من فرق وطوائف، فقد جعلنا من التوراة كتابنا المقدس. فكانت التفاسير اليهودية تفعل فعلها في

نفوس المؤمنين، الذين وقعوا اسرى لهذه التفاسير. مما أدى إلى تهويد الذهن المسيحي الغربي.

وقد استطاع اليهود، بوسائل الإعلام، وبالبغاء السياسي والمالي والديني، ان يوهموا العالم، خاصة بريطانيا، بأن البلاد المقدسة خالية من السكان، منذ نفيهم منها. وهم اليوم يبغون العودة إليها، ليعيدوا سيرة الملك داود، في بناء مجد لم يكن غير اساطير وحكايات اضفت عليه المبالغة لباساً فضفاضاً، حتى جعلته يسلي ويلهي.

ومن الواضح ان الاتجاهات الطائفية، والدعوات الدينية، وتفسير النبوءات والتنبوءات قد ترسخت في نفوس عامة الشعب البريطاني. وتركت اثراً قوياً في نفوس اغلب الساسة الإنكليز. ومن هنا كان انجرافهم، مع التيار الصهيوني. وكان الشعب يتقبل الانجراف لا بل يصفق له حباً وتاييداً.

وهكذا حرص اليهود على تهويد الله، مذ عرفوه، ثم احتكروه. ووضعوا على لسانه الوعود المشفوعة بقسمه بذاته، بتمليكهم أرض كنعان. وحرصوا على تهويد المسيحية منذ بطرس[109]، تلميذ المسيح، ورائد عملية ربط الانجيل بالتوراة، والمسيحية باليهودية. فكان من الطبيعي، ان يتطوع المسيحيون، بحسب الطلب، والعصر، والظروف، إلى تنفيذ ما يدعي بنبوءات التوراة، كونها كتابهم المقدس. وكانت الدول الغربية المتعمدة بماء المسيحية المتهودة. خير معوان لهم في عملية تهويد فلسطين. وجمعهم من أربع ناحيات الأرض، وكبهم في مدينة السلام "اورشليم" عاصمة ملكي صادق، كاهن الله العلي.

وعندما تهود المسيحيون، تخلقوا باخلاق التوراة، التي تقضي شرائعهم بابادة الأمم، وسحق الشعوب، وتدمير مظاهر الحضارة، ونشر الخراب في المدن العامرة،. وتقضي بعودة اليهود إلى فلسطين، وبعث دولة إسرائيل، التي هي تحقيق جزئي لنبوءات التوراة، ورؤيا المسيح المنتظر. فالتوراة لا تعدو ان تكون خيوطاً سياسية لمملكة أرضية. أو قل هي "الوطن الأم التائه للشعب اليهودي". والشعب اليهودي يحس برغبة عارمة في تحقيق نبوءة العودة إلى

[109] راجع ما كتبه ندره اليازجي في هذا الموضوع في كتابيه: رد على اليهودية واليهودية المسيحية. دمشق 1969 ورد على التوراة ـ دمشق 1974.

الأرض المقدسة. والشعب المسيحي المتهود يحس ايضاً بنفس الرغبة في تحقيق نبوءات العهد القديم، كتابه المقدس. فكان من الطبيعي ان يوجه الكاتب اليهودي ماركس رافاج كتاباً مفتوحاً إلى المسيحيين. جاء فيه "انكم، ايها المسيحيون، تثيرون ضجة حول النفوذ اليهودي في مؤسساتكم ومسارحكم. ومدارسكم وقوانينكم. حتى الأفكار التي تدور في اخلادكم.

اليهود غزوا بلادكم ونفوسكم بلا جيوش ولا أسلحة. كان غزوا وفتحاً بالروح اليهودية، بالمبادئ، بالدعاية. بلا شعور منكم، جعلناكم تحملون رسالتنا إلى العالم اجمع[110].

واستطاع اليهود جر المسيحيين في ركابهم منذ نجحوا في علمية ربط التوراة بالانجيل. وزاد في تماسك هذا الرباط ان المسيحيين الغافلين رأوا "عهدهم الجديد" متمماً أو مكملاً "للعهد القديم".

فانبرى الكتاب، وحملة الاقلام، ورجال الدين، يبوقون في نبوءات الكتاب المقدس. وجاء السياسيون يعملون على تنفيذ هذه النبوءات. وهم يرون في تحقيقها تقرباً لله وزلفى.

وكان في طليعة المسيحيين المتهودين، رجال السياسة، وحملة الاقلام، ورجال الدين. وما تبقى من المجتمع اغنام في حظيرة تساق بوسائل الإعلام، أو بوعظ الكهان، أو بأوامر الحكام. أو تساق بهذه الادوات جميعها، كما في اوربا واميركا مثلاً. وكان رجال السياسة، وحملة الاقلام، ورجال الدين، مشدودين بحبل العقل الباطن، الخاضع للتربية والنشأة والبيئة. وهذه العوامل التكوينية الثلاثة يسيطر عليها، ويوجهها، ويفعل بها كتاب مقدس، يضم بين دفتيه العهد القديم، والعهد الجديد.

الديانة القومية

منذ ولدت الصهيونية السياسية في القرن التاسع عشر، وهي تعمل جاهدة، على تكوين شخصية اليهودي القومية. حتى إذا ما انشئت الدولة

---

[110] مجلة القرن الاميركية شباط 1928.

المسخ، جاء ارتباطه السياسي بها قوياً، لأنها ارض قوميته. كارتباطه الديني بالتوراة، لأنها كتاب اماله ورجائه.

هذه الشخصية المختارة. كان لابد لها من أرض تأخذ بها ابعادها. والأرض ايضاً مختارة حددها الرب في وعوده المتكررة لانبياء إسرائيل. فالارتباط اليهودي بأرض فلسطين قوي جداً، لانه نتيجة حتمية لارتباطه بدينه. ومن هنا كانت الديانة اليهودية قومية. كما كانت القومية اليهودية دينية. فلا فرق عند اليهودي بين دينه وقوميته. ولا معنى لاحدهما من دون الآخر. لأن هذان المقومان يكونان شخصيته الدينية والدنيوية. ومخطئ من يدعي هذا القول. لأن الدين اليهودي يتضمن جميع مبادئ الصهيونية. والصهيونية متجذرة في الدين اليهودي. ولا وجود لحدود فاصلة بين شريعة اليهود الدينية. وبين مقومات قوميتهم. لأن الشريعة اليهودية تتلخص في تمجيد عنصرهم. وتقديس عرقهم، وتبشيرهم بأنه شعب الله المختار، ووعدهم بأرض يخطط حدودها الرب.

فاليهودية هي الديانة القومية للشعب اليهودي. والصهيونية تنحصر في تأمين أرض لهذا الشعب، أو قاعدة اقليمية لهذه القومية. وهذه الأرض أو القاعدة هي فلسطين، لارتباطها الشديد بالديانة اليهودية، من حيث هي "أرض الميعاد" أو جبل صهيون، أو مركز الهيكل. وهكذا كانت الديانة اليهودية المرتبطة بارض فلسطين، وسيلة لاستدرار العطف على الحركة الصهيونية. ودافعاً يهيب باليهود للعودة والاستيطان. فالصهيونية هي الصهيونية. فكان من الطبيعي التقاء القومية الدينية بالقومية اليهودية. القاعدة الاقليمية. لأن "اسم فلسطين "أرض الميعاد" هو القاعدة الاقليمية. لأن "اسم فلسطين، في حد ذاته، يجتذب شعبنا بقوة عجيبة الفعالية" كما قال هرتزل. ولأن القدس، حيث جبل صهيون، والهيكل، قلب فلسطين النابض، يجتذب اليهودي بسحر عاطفي فعال.

وهكذا تمخضت الديانة اليهودية، فكانت القومية الصهيونية. أو قل "ان الديانة اليهودية مرتبطة عضوياً بالقومية اليهودية. لأن الديانة اليهودية هي،

قبل كل شيء، قومية[111]. واليهودي لا يميز بين القومية والدين، بل جمعهما في تعصب عرقي اعمى. هدد العالم بكثير من الويلات.

واليهودية دين الشعب اليهودي. والصهيونية أرض "من جبل صهيون". ولا معنى لشعب بلا أرض. فلتكن الأرض جبل صهيون، لتحقيق وعود الرب المضمنة في التوراة.

والى جميع المسيحيين والمسلمين، الذين يقبلون اليهودية كدين. ويرفضون الصهيونية كقومية. نقول لهم: لا حدود بين الاعتبارات الدينية وبين المقومات القومية في عرف اليهودي. لأن تعصبه العرقي، وعنصريته الذميمة، جعلتاه يؤمن بأنه أقدس شعب، في اقدس أرض. وعده بها الهه الخاص "يهوه".

111 مورس هس ـ روما والقدس ـ 1958 ص19.

خاتمة

وبعد

ـ أرأيت إلى اليهود، يملكون سلاحين، من اقوى الأسلحة الفتاكة بعقول الناس: سلاح الدين، وسلاح الإعلام. أو بتعبير هرتزل سلاح الصياح. فقد ملكوا بالدين عواطف الامم. واستطاعوا بالفكر المراوغ الختال، تزوير الحقائق وتزييف التاريخ. وتمكنوا بالصياح، اقناع الناس بأباطيلهم. واضفاء صفة القدسية على خرافات التوراة واساطيرها. ومن ثم نشرها في العالم، على انها كتاب سماوي. تجلله ابراد القداسة والاعتبار.

يقول هرتزل في مذكراته المؤرخة في 12 ايار سنة 1898، وكأنه يضع القاعدة الرئيسية للدعاية "الصياح هو كل شيء. حقاً ان للصوت العالي شأناً كبيراً. الصياح المتواصل تعاقد مأثور. ليس تاريخ البشر سوى قعقعة السلاح وجعجعة الرأي الزاحف. عليكم ان تصيحوا وتصرخوا"[112].

ولا يزال الدين، والصياح، امضى سلاحين يملكهما اليهود.

ـ هل تعلم، أو علمت، ان انبياء اليهود هم ادعياء نبوة ومحترفو سياسة. يتسترون بالدين لتحقيق اغراضهم السياسية. واهمها استملاك أراضي الشعوب، واخضاع العالم لسيطرتهم؟

[112] اسرار المؤامرة الصهيونية لعبد الله النجار ص 18.

ـ أرأيت إلى اليهود ينظرون إلى الههم، نظرتهم إلى وسيلة، أو اداة، تصل بهم إلى تحقيق شهواتهم المادية، ومطالبهم الأرضية. في وقت رأى إنسان الشرق القديم في الهه قيماً إنسانية وروحية وخلقية، تسمو به في فضاء الروح وسمو الاخلاق؟[113].

ـ هل تستطيع الآن ان تجيبني على بعض الاسئلة التي طرحتها في مستهل هذا الحديث؟ مثل:

ـ لماذا تكشف الله لقبيلة معينة من دون سائر الشعوب. وفي بقعة خاصة من بقاع الأرض؟ وهل تعتقد ان الله بشموله، يقبل ان يترك سائر الشعوب من غير ان يمنحها فرصة خلاص؟

ـ لماذا اراد الله تأسيس مملكته في أرض معينة "فلسطين". واراد ان يعمر بيته على جبل صهيون. واراد للامم، كل الامم، ان تأتي إليه، تقدم الطاعة والخضوع؟ وهل تعتقد ان مملكة الله تكون في الأرض؟

ـ لماذا اختار الله اليهود من بين سائر الامم. وكان إلهاً خاصاً بهم؟ ولماذا اصطفى فلسطين وطناً لهم وموطناً لبيته وسكناه؟

هل سألت نفسك يوماً: متى، وكيف، وأين، يكون الاستيلاء على أراضي الآخرين، وإبادة سكانها بحد السيف، شريعة الهية؟

أرايت إلى دعوات الصهيونية، كيف تسربت إلى نفوس المسيحيين، بفعل نصوص العهد القديم من كتابهم المقدس؟

ـ ورأيت إلى كتاب العهد القديم، تاريخ بني إسرائيل، لا يحمل غير معالم الحياة القبلية البدائية. وان نصوصه "الدينية" التي تفيض وحشية، وعنصرية. لا تعدو ان تكون خيوطاً سياسية لمملكة أرضية؟

ـ وهل فكرت يوماً، أو تفكر الآن، ان تسلط بقعة ضوء على هذا الكتاب؟

---

[113] هذا موضوع بحثنا في الكتاب القادم.

ـ أرايت إلى مقدرة بني إسرائيل في اقناع العالم بأن اعادتهم إلى أرض فلسطين، هي قضية إنسانية عادلة؟

تُرى لأن قضيتهم تستمد ماء الحياة من تربة دينية خصبة؟

ورأيت إلى الصلة التي تربط اليهود بأرض فلسطين؟

ـ أرأيت إلى آباء الصهيونية، يسخرون الدين لاغراض سياسية، ويستخدمونه لمهمة بناء الدولة؟ وهل رأيت في نبوءات انبيائهم غير امال سياسية بانشاء مملكة لهم في فلسطين. وامنيات بالعودة إليها حين كسحتهم مناجل أصحاب الأرض؟

ـ أرأيت إلى الصهيونية السياسية ترتبط اوثق ارتباط بالدين اليهودي؟

فكلما كانت الحاسة الدينية قوية في اليهود كلما كانت الصهيونية السياسية اشد استفحالاً واكثر ضراوة. والعكس بالعكس؟

ـ هل تعلم، أو علمت، ان بني إسرائيل قبيلة ظهرت حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد. تبنت معتقدات دينية، غايتها الاستيلاء على أرض الآخرين؟ اعتقدوا بها، وهي خاصة بهم. ولكن لماذا نعتقد بها نحن المسيحيين؟

ـ ما جدوى المؤتمرات والعرائض والتوسلات للدول الكبرى. وما نفع الخطابات المجلجلة في قاعات هيئة الامم. والهتافات المدوية في الشوارع والاندية. ما دام الحق للقوة. وقوة الغرب مسخرة لاسرائيل. هذا الغرب القادر، المنقاد لاضاليل الصهيونية. قهر شعبنا الجاهل، المتخلف، الاعزل. وفتح ابوابنا بالقوة، واباح ارضنا لابشع غزوة دينية عرفها التاريخ؟

ـ الا تعتقد ان حـــركة الفـدائيين ـ الشـوكة، التي تدمي حلق إسرائيل، ستخنق انفاسها في المستقبل؟

ـ الا تزال تردد ما رواه "العهد القديم" من أخبار البطولات المنسوبة إلى آباء اليهود الاولين، ومعجزات انبيائهم وكرامات اوليائهم؟

ـ اما زال وعيك ارضاً بكراً، تمطرها سحب الوقائع الشائهة، وتجتاحها رياح الدعاية المخادعة. وتهوم في اجوائها غيوم التضليل المتعمد؟

وبعد...

ـ أرأيت إلى الوثيقة التي تستند إليها الصهيونية في ما تدعيه من حق في أرض فلسطين؟